
Agatha Christie
أجاثا كريستي
لغز
هيركيول بوارو
الجديد
لغز
الأرباع
الثلاثة
صوفي هانا
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
مكتبة



إهداء لـ..

ماري و فيوليت

من جمعا محبي الجريمة

في جروب اجاثا كريستي

مكتبة | سُر مَن قرأ
t.me/t_pdf

أجاثا كريستي

لغز الأرباع الثلاثة

لغز هيركيول بوارو الجديد

مكتبة | سُر مَن قرأ
t.me/t_pdf

صوفي هانا





للتعرف على فروعنا

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarir.com**

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والناتجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمّل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى 2019

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

ARABIC edition published by JARIR BOOKSTORE.
Copyright © 2019. All rights reserved.

لا يجوز إعادة إنتاج أو تخزين هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي نظام لتخزين المعلومات أو استرجاعها أو نقله بأية وسيلة إلكترونية أو آلية أو من خلال التصوير أو التسجيل أو بأية وسيلة أخرى .

إن المسح الضوئي أو التحميل أو التوزيع لهذا الكتاب من خلال الإنترنت أو أية وسيلة أخرى بدون موافقة صريحة من الناشر هو عمل غير قانوني. رجاءً شراء النسخ الإلكترونية المعتمدة فقط لهذا العمل، وعدم المشاركة في قرصنة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف سواء بوسيلة إلكترونية أو بأية وسيلة أخرى أو التشجيع على ذلك. ونحن نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

رجاءً عدم المشاركة في سرقة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف أو التشجيع على ذلك. نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

Translation entitled The Mystery of Three Quarters © 2018 Agatha Christie Limited. All rights reserved.
The AC Monogram logo is a trademark, and AGATHA CHRISTIE, POIROT and the Agatha Christie Signature are registered trademarks of Agatha Christie Limited in the UK and elsewhere. All rights reserved.

Agatha Christie

The Mystery of Three Quarters

THE NEW HERCULE POIROT MYSTERY

SOPHIE HANNAH





من مؤلفات صوفي هانا أيضًا

ألغاز هيركيول بوارو

جرائم الأحرف المزخرفة

التابوت المغلق

إهداء إلى فايث تيليراي،

التي بذلت جهدًا مضنيًا،
والتي علمتني الكثير.

شكر وتقدير



أشعر ببالغ الامتنان للأشخاص التالية أسماؤهم:

جيمس بريتشارد، وماثيو بريتشارد، وكل العاملين في شركة أجاثا كريستي المحدودة؛ وديفيد براون، وكايت إيلتون، وجميع العاملين في دار نشر هاربر كولينز في المملكة المتحدة؛ ووكيل أعمالي بيتر شتراوس وفريق عمله في شركة روجرز وكوليريدج ووايت؛ وكذلك ناشري الرائع ويليام مورو في نيويورك، وجميع ناشري ألغاز بوارو لي في جميع أنحاء العالم، الذين عملوا على توزيع الكتب في كل مكان؛ وكريس جريبل، الذي قرأ الكتاب، وتحمس له منذ مراحله الأولى؛ وإميلي وينسلو التي أعطتني مقترحاتها التحريرية التي كانت دقيقة وقيّمة كالعادة؛ وأيضًا جايمي بيرنثال هوكر، الذي قدَّم إليَّ ملايين المساعدات بداية من المراجعة النهائية للنص، حتى البحث عن اسم مناسب للرواية؛ وفايث تيليراي، التي صممت لي موقعًا إلكترونيًّا جديدًا رائعًا، ثم أصبحت مرشدتي التسويقية؛ كما أشعر بعميق الامتنان لأسرتي - دان وفيبي وجاي.. وبروستر على وجه الخصوص في هذه المناسبة؛ لأسباب ستتضح لكل من يقرأ هذا الكتاب!

كما أتقدم بالشكر إلى الفائزين في المسابقة: ميلاني فاوت وإيان مانسون اللذين اقترحا اسمي بيتر فاوت وهيربرت ثروبويل على التوالي؛ إنهما اسمان رائعان! كما أتوجه بجزيل الشكر إلى جميع القرَّاء الذين أحبوا روايتي جرائم

الأحـرف المزخرفـة، *والتابوت المغلق*، وكذلـك كتبي الأخرى، وكتبـوا، وغردوا، وأرسـلوا رسـائل لي ليخبرونـي بهذا - إن حماسـكم هو ما يجعـل كل ما قمت به يستحق العناء.

محتويات

الربع الأول

الربع الثاني

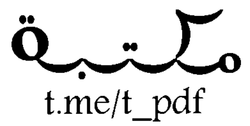
الربع الثالث

الربع الرابع

الربع الأول

الفصل ١

بوارو متهم



ابتسم هيركيول بوارو لنفسه، بينما كان سائقه يوقف السيارة في تناسق مُرض. وبوصفه محبًّا للترتيب والنظام، فقد قدَّر بوارو طريقة السائق المثالية تلك في صف السيارة أمام الأبواب الأمامية لمنزل وايت هافن حيث يقطن. وكان يمكن للمرء أن يرسم خطًّا مستقيمًا من منتصف السيارة وصولاً إلى نقطة التقاء مصراعي الباب بالضبط.

كانت مأدبة الغداء التي عاد منها من فوره *رائعة للغاية*: فقد كانت تحتوي على أفضل طعام، وأفضل صحبة. ترجَّل بوارو من السيارة، ووجَّه جزيل الشكر إلى سائقه، وكان على وشك الدخول إلى منزله عندما انتابه شعور غريب (هكذا وصف الشعور لنفسه) بأن هناك شيئًا ما خلفه يحتاج إلى أن يوليه اهتمامه.

وقد كان يتوقع، عندما يستدير إلى الخلف، أنه لن يرى شيئًا غريبًا؛ فقد كان يومًا معتدل الطقس بالنسبة إلى أحد أيام شهر فبراير، لكن نسمة هواء عليل ربما جعلته يشعر بقشعريرة.

وسرعان ما أدرك بوارو أن هذا الشعور لم يسببه الطقس، بل تبين أن السبب امرأة تقترب منه بخطى سريعة، وعلى الرغم من معطفها وقبعتها العصريين الزرقاوين الباهتين، بدت أنها مفعمة بالقوة والحيوية. وغمغم بوارو لنفسه، قائلًا: "إنها أقوى من العاصفة".

لم يعجب بوارو بالقبعة التي كانت ترتديها المرأة. كان يرى النساء في المدينة يرتدين قبعات مشابهة: بسيطة، دون زينة، وملتصقة للغاية بالرأس، كأنها قلنسوة استحمام مصنوعة من القماش. وكان بوارو يعتقد أنه من الأفضل وجود حافة مزينة على القبعة، أو أي نوع آخر من الزينة. على الأقل، يجدر بالقبعة أن تفعل ما هو أكثر من مجرد تغطية الرأس. ولا شك في أنه سرعان ما سيعتاد تلك القبعات العصرية، وبمجرد أن يفعل، ستتغير الموضة مرة أخرى كما يحدث دائمًا.

كانت شفتا المرأة الزرقاوان مضمومتين، ولكن لم يصدر منهما أي صوت، وكان يبدو أنها تراجع ما ستقوله عندما تصل، أخيرًا، إلى بوارو. لم يكن هناك شك في أنه هدفها. كان يبدو إصرارها على القيام بأمر غير سار بمجرد أن تقترب منه، فتراجع بوارو إلى الخلف، بينما كانت تسير نحوه بخطى بدت له كأنها خطوات قطيع كامل؛ قطيع مكون منها وحدها، ولا أحد سواها.

كان شعرها بني اللون، داكنًا ولامعًا. وعندما توقفت المرأة فجأة أمام بوارو مباشرة، رأى أنها ليست شابة مثلما بدت من بعيد. لا، إنها قد تخطت الخمسين من عمرها، بل ربما كانت في الستين من عمرها. لكنها بدت كامرأة في منتصف العمر، إنها لخبيرة في إخفاء آثار الزمن على وجهها. وكانت عيناها زرقاوين أخّاذتين، ولم تكونا فاتحتين أو داكنتين.

قالت المرأة بصوت خافت أقرب إلى الهمس: "هل أنت هيركيول بوارو؟"، ولاحظ بوارو أنها تحاول أن تبدو غاضبة، ولكن دون أن يسمعها أحد، على الرغم من أنه لم يكن هناك أحد في الجوار.

قال بوارو: "نعم يا سيدتي، أنا هو".

فقالت المرأة: "كيف تجرؤ؟ كيف تجرؤ على أن ترسل إليَّ بمثل هذا الخطاب؟".

قال بوارو: "معذرة يا سيدتي، ولكنني لا أعتقد أننا عرف كل منا الآخر".

ثم قالت المرأة: "لا تحاول تمثيل دور البريء *أمامي*. أنا سيلفيا رول، وأنت تعرفني جيدًا".

قال بوارو: "نعم، الآن أعرفك؛ لأنك أخبرتني بمن تكونين، فمنذ لحظة مضت لم أكن أعرف من تكونين. لقد أشرت إلى خطاب..".

فقالت له: "هل ستجبرني على تكرار إهانتك لي في مكان عام؟ حسنًا إذن، سأفعل. لقد وصلني خطاب صباح اليوم؛ أكثر خطاب كريه ومثير للاشمئزاز على الإطلاق، وموقع *باسمك*". طعنت المرأة الهواء بأصبعها السبابة الذي كان سيلكز بوارو في صدره؛ لولا أن الأخير تنحى جانبًا ليتفاداه.

حاول بوارو الاعتراض، قائلًا: "لا، سيدتي.."، لكنها منعته من الاسترسال في محاولته الإنكار.

واستطردت قائلةً: "في ذلك الخطاب المريع، اتهمتني *بالقتل*! أنا! سيلفيا رول! وادعيت أنك قادر على إثبات أنني مذنبة، ونصحتني بأن أذهب على الفور إلى الشرطة، وأعترف بجرمي. كيف تجرؤ على هذا؟ لن يمكنك أن تثبت أي شيء بحقي، وهذا لسبب واحد، هو أنني بريئة؛ فأنا لم أقتل أحدًا. أنا أكثر إنسان يكره العنف التقيته في حياتك، كما أنني لم أسمع مطلقًا عن بارناباس باندي!".

فقال بوارو: "بارناباس..".

ثم أردفت قائلةً: "من المريع أن تتهمني *أنا* بهذا من بين كل البشر! أمر مريع للغاية، ولن أوافق على فعلتك. إنني أفكر جديًا في أن أذهب إلى المحامي الخاص بي لأعرض عليه الأمر، ولكنني لا أرغب في أن يعرف أن هناك من يشهّر بي بهذه الطريقة. ربما سأذهب إلى الشرطة، لقد تعرضت للافتراء، والإهانة! فكيف يحدث ذلك لامرأة في مثل مكانتي في العالم؟!".

وواصلت سيلفيا رول التحدث بهذه الطريقة بعض الوقت، وكانت هناك الكثير من الهسهسة والأزيز في همساتها الثائرة. جعلت بوارو يتذكر الشلالات الهادرة التي رآها خلال أسفاره: من الممتع مشاهدتها، ولكنها مقلقة فيما يتعلق بمدى قوتها العاتية، ولم يكن هديرها يتوقف قط.

بمجرد أن تمكّن بوارو من أن يتحدث، قال: "سيدتي، من فضلك، أؤكد لك أنني لم أكتب مثل هذا الخطاب. وإن كان قد وصلك خطاب، فلم أكن أنا مَنْ أرسله. أنا أيضًا لم أسمع في حياتي عن بارناباس باندي. هل هو اسم الرجل الذي اتُهمت بقتله، من قبل الشخص الذي أرسل إليك بالخطاب؟".

فردت غاضبةً: "*أنت* من أرسل بالخطاب، ولا تحاول استفزازي أكثر عبر التظاهر بأنك لم تفعل. إن يوستيس هو من حرضك على هذا، أليس كذلك؟، وكل منكما يعلم جيدًا أنني لم أقتل أحدًا، وأنني بريئة من هذا الاتهام تمامًا! لقد دبرت ويوستيس خطةً معًا؛ لكي تثيرا جنوني! هذا بالضبط من نوعية الأمور التي يحب فعلها، ولا شك في أنه سيعترف لاحقًا بأن الأمر كله كان مزحة".

واصل بوارو المحاولة لكي يتحدث قائلًا: "لا أعلم من يكون يوستيس، سيدتي"، ولكن بدا جليًّا أن أيًّا مما يقول لا يلقى أي صدى لدى سيلفيا رول.

فقد أردفت قائلة: "إنه يظن نفسه ذكيًّا -أذكى رجل في إنجلترا! مع تلك الابتسامة المقززة التي لا تفارق وجهه المريع. كم دفع إليك من مال؟ أعلم أنها فكرته. ولقد قمت أنت بعمله القذر؛ أنت هيركيول بوارو الشهير، من تثق به شرطتنا الوفية، الكادحة. أنت إنسان مدع! كيف تجرؤ على هذا؟ أن تهين امرأة مثلي حسنة السمعة! سيحاول يوستيس فعل أي شيء ليهزمني، أي شيء! أيًّا كان ما أخبرك به عني، فإنه كذب!".

إن كانت على استعداد للاستماع إلى ما سيقول، فإن بوارو كان سيخبرها بأنه لن يتعاون أبدًا مع أي رجل يعتبر نفسه أذكى رجل في إنجلترا ما دام - هو هيركيول بوارو - يقطن في لندن.

فقال لها: "من فضلك، أريني ذلك الخطاب الذي وصل إليك يا سيدتي".

فردت قائلةً: "هل تعتقد أنني قد *احتفظت* به؟ لقد أصابني الاشمئزاز من إمساكه بيدي! لقد مزقته إلى عشرات القطع، وألقيت به في النار. وأود أن ألقي بيوستيس في النار! من المؤسف أن مثل هذا التصرف مخالف للقانون، كل ما يمكنني قوله إن مَن سن هذه القوانين لم يلتق بيوستيس من قبل. إن حاولت التشهير بي بهذه الطريقة مرة *أخرى*، فسأذهب مباشرة إلى شرطة سكوتلانديارد، ولكن ليس لأعترف بشيء؛ لأنني بريئة تمامًا، بل لأتهمك *أنت*، يا سيد بوارو".

قبل أن يتمكن بوارو من التفكير في رد مناسب، كانت سيلفيا رول قد استدارت، وسارت مبتعدة في خطى سريعة.

لم ينادِها لتعود، بل وقف في مكانه بضع لحظات يهز رأسه ببطء. وبينما كان يصعد الدرج المؤدي إلى منزله، غمغم في نفسه قائلًا: "إن كانت هذه أكثر إنسان يكره العنف، فلا أود أبدًا لقاء أكثر شخص يحبه".

وفي داخل شقته الفسيحة الفاخرة، كان خادمه ينتظره، وتحولت ابتسامة جورج الجامدة إلى تعبير ينم عن الذعر بمجرد أن رأى وجه بوارو.

وقال له: "هل أنت بخير يا سيدي؟".

فقال بوارو: "لا، أنا متحير يا جورج. أخبرني، بصفتك شخصًا مطلعًا على الطبقة الراقية من المجتمع الإنجليزي.. هل تعرف امرأة تدعى سيلفيا رول؟".

فقال جورج: "من سمعتها فقط يا سيدي. إنها أرملة الراحل كلارينس رول. كان رجلًا ذا شأن كبير. وأعتقد أنها تترأس الكثير من الجمعيات الخيرية".

ثم سأله بوارو: "ماذا عن بارناباس باندي؟".

هز جورج رأسه، وقال: "هذا الاسم ليس مألوفًا بالنسبة لي؛ إنني أعلم الكثير عن مجتمع لندن يا سيدي. إن كان السيد باندي يعيش في مكان آخر..".

فأجابه بوارو: "لا أعلم أين يعيش. لا أعلم *إن* كان على قيد الحياة، أو ربما قُتل. *في الواقع،* لا أعلم شيئًا عن بارناباس باندي أكثر مما أعلمه الآن، وهذا أمر مستحيل! ولكن، من فضلك يا جورج، لا تحاول أن تخبر سيلفيا رول بهذا، فهي تعتقد أنني أعرفُ الكثير عنه. إنها تعتقد أنني أرسلت إليها خطابًا أتهمها بقتله، الخطاب الذي أنكر تمامًا أنني أرسلته، فلم أكتب هذا الخطاب، ولم أرسل أي شيء إلى السيدة سيلفيا رول".

ثم خلع بوارو قبعته ومعطفه باهتمام أقل مما اعتاد، وأعطاهما جورج، وقال: "إنه لشعور سيئ أن يتهمك شخص ما بأمر لم تفعله. يجب على المرء أن يكون قادرًا على تنحية الأمور غير الحقيقية جانبًا، ولكنها تستحوذ على التفكير بشكل ما، وتتسبب في طيف من الشعور بالذنب، مثل شبح داخل الذهن، أو في الضمير! هناك من هو متأكد أنك قد ارتكبت هذا الفعل المريع، ومن ثم تبدأ الشعور بأنك قد ارتكبته، مع أنك تعلم يقينًا أنك لم تفعل. لقد بدأت أفهم يا جورج سبب اعتراف الناس بجرائم لم يقترفوها".

بدا التشكك على وجه جورج كعادته. وكان بوارو يعتقد بناءً على ملاحظته أن التحفظ الإنجليزي يضفي على صاحبه مظهرًا خارجيًّا ينم عن الشك، وكان العديد من الرجال والنساء الإنجليز الأكثر تهذيبًا الذين التقاهم على مر السنين يبدون كأنهم قد تلقوا أمرًا بألا يصدقوا أي شيء يُقال لهم.

قال جورج: "هل تريد مشروبًا يا سيدي؟ *شراب النعناع*، إن سمحت لي بأن أقترحه عليك؟".

فرد بوارو وقال: "*حسنًا*، سيكون هذا رائعًا".

ثم قال جورج: "يجدر بي أيضًا أن أخبرك يا سيدي بأن هناك ضيفًا ينتظر لقاءك. هل أحضر إليك الشراب من فوري، وأطلب منه أن ينتظرك بعض الوقت؟".

فقال بوارو باستغراب: "زائر؟".

فقال جورج: "نعم، يا سيدي".

فسأله بوارو: "ما اسمه؟ هل اسمه يوستيس؟".

فأجابه جورج: "لا يا سيدي. إنه يدعى السيد جون ماكرودن".

فقال بوارو: "حسنًا، لقد أرحتني. إنه ليس يوستيس. أتمنى أن يبتعد كابوس السيدة رول ويوستيس عن هيركيول بوارو، وألا يعودا! هل أخبرك السيد ماكرودن بسبب زيارته؟".

ردَّ جورج: "لا يا سيدي، ولكن يجدر بي أن أنبهك إلى أنه يبدو.. مستاءً".

أطلق بوارو زفرة من بين شفتيه. فبعد مأدبة الغداء الرائعة التي حضرها، كانت فترة ما بعد الظهيرة تتخذ منحى سيئًا، ولكن من المستبعد أن يكون جون ماكرودن مزعجًا مثل سيلفيا رول.

قال بوارو مخاطبًا جورج: "ربما يجب أن أؤجل الاستمتاع ب*شراب النعناع*، وأقابل السيد ماكرودن أولا. إن اسمه ليس غريبًا على مسامعي".

فقال له جورج: "ربما تقصد المحامي رولاند ماكرودن يا سيدي؟".

فقال بوارو: "*ربما نعم*. رولاند الملقب بـ "روب" والذي يعني بالإنجليزية "الحبل"، إنه الصديق المقرب للمشانق، ولكنك مهذب للغاية يا جورج لتدعوه

بهذا *اللقب* الذي يناسبه تمامًا. إن المشانق لم تسمح لرولاند الحبل بأن يحصل على لحظة راحة واحدة".

وافقه جورج، وقال بلباقته المعتادة: "لقد أدى عملًا رائعًا في تقديم الكثير من المجرمين إلى العدالة يا سيدي".

قال بوارو: "ربما كان جون ماكرودن على صلة بهذا الأمر. دعني أهدأ أولًا، ثم مُرْه ليدخل".

ولكن ما حدث هو أن جورج لم يُمنح الفرصة لإدخال جون ماكرودن إلى الغرفة بسبب إصرار ماكرودن نفسه على اقتحامها دون مساعدة أو تقديم؛ فقد تجاوز الخادم، وتوجه ليقف عند منتصف السجادة جامدًا صامتًا، كأنه شخص قد أُرسل ليؤدي دور تمثال.

قال بوارو مبتسمًا: "تفضل بالجلوس يا سيدي".

قال ماكرودن بنبرة صوت تنم عن الازدراء والاحتقار: "لا، شكرًا لك".

وقد خمَّن بوارو في نفسه أنه يبلغ من العمر ٤٠ عامًا أو نحوها. وكان يتحلى بالوسامة التي نادرًا ما يراها المرء خارج اللوحات الفنية، فقد كانت ملامحه منمقة كأنها قد نُحتت بواسطة نحات ماهر. وقد وجد بوارو صعوبة في الربط بين الوجه والملابس التي كانت رثة وملطخة بالطين. هل هو معتاد النوم على أرائك الحدائق؟ ألم يكن يمتلك وسائل الراحة العادية؟ تساءل بوارو إن كان ماكرودن قد سعى جاهدًا إلى رفض المزايا التي أنعمت الطبيعة بها عليه؛ العينين الخضراوين الواسعتين، والشعر الذهبي، بأن جعل نفسه يبدو كريهًا بكل ما يملك من قوة.

حدق ماكرودن إلى بوارو الجالس، وقال: "لقد وصلني خطابك، وصلني هذا الصباح".

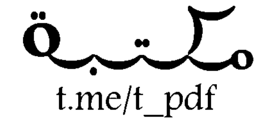
فقال بوارو: "يجدر بي أن أعارضك يا سيدي، أنا لم أرسل إليك أية خطابات".

خيَّمت فترة طويلة من الصمت المطبق التي كانت تبدو كأنها الهدوء الذي يسبق العاصفة. لم يرغب بوارو في القفز إلى أية استنتاجات متعجلة، ولكنه كان يخشى من أنه يعلم جيدًا الاتجاه الذي على وشك أن يتخذه الحوار، ولكن لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا! كيف يمكن أن يكون صحيحًا؟ لم يشعر بمثل هذا الشعور

من قبل إلا في أحلامه: الحقيقة التي لا مهرب منها بأن المرء قد علق بورطة غير مفهومة، ولن تكون مفهومة أبدًا، بغض النظر عما قد يحدث.

سأل بوارو: "ماذا ورد في الخطاب الذي وصل إليك؟".

قال جون ماكرودن: "يجب أن تعرف ما به، فإنك من كتبه. لقد اتهمتني بقتل رجل يُدعى بارناباس باندي".


t.me/t_pdf

الفصل ٢

استفزاز لا يُحتمل

تابع ماكرودن حديثه قائلًا: "يجدر بي أن أقول إنني قد خاب ظني. كيف يسمح هيركيول بوارو الشهير لنفسه بأن يُستغل للقيام بتلك التصرفات الصبيانية".

صمت بوارو بضع لحظات قبل أن يجيب، هل اختياره الكلمات هو ما أثبت أنه غير فعَّال في إقناع سيلفيا رول بأن تستمع إليه؟ عليه إذن أن يكون مع جون ماكرودن أكثر وضوحًا وإقناعًا، فقال: "سيدي، *من فضلك*. أعتقد أن هناك من أرسل إليك خطابًا اتهمك فيه بالقتل؛ قتل بارناباس باندي، وهذا الجزء من قصتك لن أجادلك فيه، ولكن..".

قال ماكرودن: "لست في وضع يؤهلك لتجادلني".

فقال بوارو: "سيدي، أرجو أن تصدقني عندما أقول لك إنني *لست من كتب الخطاب الذي وصل إليك*. مع هيركيول بوارو لا توجد تصرفات صبيانية في جرائم القتل، كنت..".

قاطعه ماكرودن مرة أخرى، مطلقًا ضحكة مريرة، وقال: "لم تكن هناك جريمة قتل من الأساس، ولو كانت هناك واحدة كذلك، فربما قبضت الشرطة بالفعل على مرتكبها، إنها واحدة من ألاعيب أبي الصبيانية"، ثم قطب جبينه كأنه قد مرت بخاطره فكرة أزعجته، ثم قال: "إلا لو كان هذا المسخ العجوز أكثر سادية مما كنت أعتقد، وكان على استعداد للمخاطرة بحياتي في جريمة

قتل حقيقية لم يكتشف مرتكبها. أعتقد أن هذا محتمل. فمع إصراره المتواصل على.."، قطع ماكرودن عبارته، ثم غمغم قائلًا: "نعم، هذا محتمل حقًّا. كان يجدر بي أن أفكر في هذا".

سأله بوارو: "هل والدك هو المحامي رولاند ماكرودن؟".

فأجابه: "أنت تعلم ذلك". بدت خيبة الأمل الكبيرة على مُحيًّا جون ماكرودن، وكذلك بدت في صوته بكل وضوح، كأن تقديره بوارو يقل مع كل كلمة ينطق بها.

فقال له بوارو: "أنا أعرف والدك من خلال سمعته فقط، ولم تجمعني به معرفة شخصية قط، ولم أتحدث معه من قبل مطلقًا".

فقال جون ماكرودن: "يجب عليك أن تواصل التظاهر بالطبع، أنا واثق بأنه دفع إليك مبلغًا كبيرًا من المال؛ لكيلا تأتي على ذكر اسمه"، ثم نظر حوله في الغرفة التي يقف بها، وبدا كأنه يراها للمرة الأولى، ثم أومأ برأسه كأنه يؤكد فكرة ما في ذهنه، ثم قال: "إن الأثرياء الذين لا يحتاجون إلى المال - مثلك ومثل والدي- لن يتورعوا عن فعل أي شيء ليحصلوا على المزيد منه؛ لهذا السبب لم أثق بالمال قط، وكنت محقًّا في هذا. إن المال مفسدة للأخلاق بمجرد أن تعتاد إياه، وأنت، يا سيد بوارو، مثالٌ حي على هذا".

لم يتمكن بوارو من تذكر متى كانت آخر مرة يقول فيها أحدهم شيئًا بغيضًا له، وكان ذلك إهانة كبيرة له وجرحًا بالغًا لمشاعره، فقال بهدوء: "لقد قضيت حياتي في العمل من أجل الصالح العام، وحماية الأبرياء، نعم، ومن اتُّهموا خطأً. وأنت واحد من بينهم يا سيدي، واليوم، أصبح هيركيول بوارو من بينهم أيضًا. لقد تم اتهامي خطأً أيضًا، فأنا بريء من كتابة هذا الخطاب وإرساله مثلما أنت بريء من تهمة القتل. أنا أيضًا لا أعرف شخصًا يُدعى بارناباس باندي؛ لا أعرف أي بارناباس باندي سواء أكان حيًّا أم ميتًا، ولكن هنا - آه! هنا حيث تنتهي أوجه التشابه بيننا، حيث إنك تصر على أنك بريء، وأنا أستمع إليك. وأفكر قائلًا: "أعتقد أن هذا الرجل يقول الحقيقة... بينما عندما أحاول أنا..".

قاطعه ماكرودن مرة أخرى، قائلًا: "اعفني من الاستماع إلى عباراتك الرنانة. إن كنت تظن أنني سأثق بخطابك المذهل أكثر مما أثق بالمال، أو السمعة، أو أي

شـيء آخر يضـعه والدي في مرتبة عاليـة، فأنت مخطئ تمامًـا. والآن، وحيث إن رولاند روب، ولا شـك، سـيطلب منـك أن تقص عليه ردي علـى مؤامرته الدنيئة، فأرجو منك أن تخبره بما يلي: لن أنضم إلى لعبته القذرة. لم أسمع قط ببارناباس بانـدي، كمـا أنني لم أقتل أحـدًا؛ لذا لا يوجد ما أخشـاه، كما أننـي أمتلك الثقة الكافية بقانون هذه البلاد؛ لأعرف أنني لن أشنق بسبب جريمة لم أرتكبها".

فقال له بوارو: "هل تعتقد أن والدك يرغب في حدوث هذا؟".

رد ماكـرودن قائـلًا: "لا أعلم، ولكنه أمر محتمل. فكثيرًا ما اعتقدت أن والدي إن لم يجد مذنبين ليرسـلهم إلى حبل المشـنقة، سـيحول انتباهـه إلى الأبرياء، ويتظاهـر بأنهم مذنبون في المحكمة، وفي خياله. سـيفعل أي شـيء ليروي ظمأه من دماء البشر".

رد بـوارو قائـلًا: "هذا اتهـام خطير يا سـيدي، وهو ليس الاتهـام الأول الذي تُلقيه منذ وصولك". بعث أسلوب ماكرودن، الفظ في الحديث، الرجفة في أوصال بوارو، حيث كان يتحدث كأنه يقول كلامًا عاديًّا؛ الأمر الذي أكسـب كلماته سـمة الموضوعية، كأنه يعرض الحقائق الدامغة التي لا تحتمل الجدل.

لم يكن رولاند روب الذي سـمع عنه بوارو الكثير على مدار سـنوات هو الرجل نفسـه الذي يصفه ابنه. لقد كان مناصرًا وبشـدة لتنفيذ عقوبة الإعدام لمعاقبة المذنبيـن، وهـو أمر كان بـوارو لا يتفق معه بشـكل كامل؛ حيـث إن هناك حالات تتطلب ترجيح العقل، ولكن كان بوارو يشـك في أن الأب ماكرودن سيصـدم مثلما سيصـدم هو إن كان هناك بريء قد يُرسـل إلى المشـنقة. وإن كان الرجل الذي أمامه هو ابنه..

فقـال بوارو: "سـيدي، لم ألتقِ قط، طوال سـنين عمري، بوالـد قد يرغب في الحكم على ابنه بالموت جراء تهمة قتل لم يرتكبها".

أجـاب جون ماكرودن بسـرعة: "ولكنك فعلت. على الرغم من إصـرارك على عكـس ذلك، فإننـي أعلم أنك لا بد قد التقيت والـدي، أو تحدثت معه على الأقل، وتآمرتمـا معًا لكي تتهماني. حسـنًا إذن، يمكنك أن تخبـر والدي العزيز بأنني لم أعد أكرهه، والآن بعدما رأيت قدر الانحطاط الذي يمكن أن يكون عليه، أصبحت

أشـفق عليه، إنه ليس أفضـل حالاً من القتلة، وكذلك أنت يا سـيد بوارو. وينطبق الأمر نفسـه على جميع من يفضلون خنق المذنبين بحبل؛ الطريقة التي يعمل بها نظامنا الوحشي".

فقل له بوارو: "هل هذا رأيك يا سيدي؟".

فرد ماكرودن قائلًا: "دائمًا ما كنت، طيلة حياتي، مصدرًا للإحراج والإحباط لوالدي: كنت أرفض الانصـياع له، وتنفيذ ما يريد، والتفكير بأسـلوبه، والعمل في المهن التي يختارها هو. إنه يريدني أن أعمل في القانون مثله. وهو لم يسامحني، قط، إذ إنني لم أرغب في أن أكون نسخة منه".

فسأله بوارو: "هل يمكنني أن أسألك عن مهنتك؟".

ضـحك ماكرودن هازئًا، وقال: "مهنتي؟ أنا أعمـل لأجني قوت يومي. لا أعمل في مهنة جيدة، ليسـت مهنة مهمة تمكنني من التلاعب بحياة الناس. لقد عملت في المناجم، والمزارع، والمصانع، كما صنعت الحلي للنساء وبعتها لهن. أنا بارع في التجارة، وفي الوقت الحالي أمتلك كشـكًا صـغيرًا في السـوق. إنه يمكِّنني من دفع مقابل سـكني، ولكن هذا ليس كافيًا في نظر والدي. ومن منطلق كونه رولاند ماكرودن، فإنه لا يعترف بالهزيمة.. أبدًا".

فسأله بوارو: "ماذا تعني؟".

فأجابـه ماكـرودن: "كنت آمل أن ينسـى أمري، ولكننـي أرى الآن أنه لن يفعل أبدًا، إنه يدرك أن الرجل المتهم بجريمة قتل سـيحتاج إلى الدفاع عن نفسه. لقد كانت خطة بارعة منه في الحقيقة؛ إنه يحاول استفزازي، وأعتقد أنه يتخيل أنني سأصر على الدفاع عن نفسي ضد الاتهام بالقتل في محكمة أولد بايلي الجنائية. ولكي أفعل هذا، سيكون عليَّ أن أقبل على دراسة القانون، أليس كذلك؟".

كان يبدو أن رولاند ماكرودن يمثل بالنسبة إلى جون ماكرودن ما يمثله يوستيس لسيلفيا رول.

ثـم أردف ماكـرودن قائلًا: "يمكنـك أن تخبره، على لسـاني، بـأن خطته قد فشـلت. لن أكـون أبدًا الرجل الـذي يريدني والـدي أن أكونه. وأفضِّـل ألا يحاول

التواصـل معي مرةً أخرى، بصـورة مباشـرة، أو من خلالك، أو من خلال أي من أساليبه الملتوية".

نهض بـوارو من مقعـده، وقـال: "انتظر هنا من فضـلك بضـع لحظات حتى أحضر"، ثم غادر الغرفة، وراعى أن يترك بابها خلفه مفتوحًا على مصراعيه.

وعندمـا عـاد إلى الغرفة، كان معه خادمه، وابتسـم في وجـه جون ماكرودن، قائلًا: "لقد التقيت جورج من قبل. أتمنى أن تكون قد سمعتني وأنا أوضح له سبب رغبتي في أن ينضـم إلينا بعض الوقت. لقد رفعت صـوتي، حتى يتسنى لك سماع كل ما قلته له".

قال ماكرودن بصوت ينم عن الملل: "نعم، لقد سمعت".

فقـال بوارو: "وإن كنت قد قلت أي شـيء آخر لجورج فكنت ستسـمعه أيضًـا، ولكنني لم أفعل؛ لذا، فإن ما سـيخبرك به الآن - كما آمل - سـيقنعك بأنني لست عدوك. من فضلك جورج.. تكلم".

رُسـمت الدهشـة على وجه جورج، فلم يكـن معتادًا تلقي مثل تلـك التعليمات الغامضة، فقال: "عن أي شيء يا سيدي؟".

التفـت بـوارو نحو جون ماكرودن، وقال: "أرأيـت؟ إنه لا يعلم؛ فأنا لم ألقنه ما عليه أن يقول. جورج، عندما عدت من مأدبة الغداء اليوم، أخبرتك بأمر ما حدث لي، أليس كذلك؟".

فأجاب جورج: "لقد فعلت يا سيدي".

فقال بوارو: "أرجو أن تعيد سرد القصة التي أخبرتك بها".

فقال جورج: "حسـنًا يا سـيدي. لقد تعرضـت لك سـيدة، دعت نفسها باسم سـيلفيا رول. واعتقدت السـيدة رول خطأً أنك قد أرسلت إليها خطابًا تتهمها فيه بأنها قاتلة".

فقال بوارو: "شكرًا لك جورج. أخبرني، من ضحية جريمة القتل المفترضة؟".

أجاب جورج: "السيد بارناباس باندي، يا سيدي".

ثم سأله بوارو: "وماذا قلت لك أيضًا؟".

فـردَّ جورج: "إنك لا تعرف رجلًا بهذا الاسـم يا سـيدي، وإن كان هناك رجل بهـذا الاسـم، فإنـك لا تعـرف إن كان حيًّا أم ميتًـا، أو أنه قد قُتـل أم لا. وعندما حاولت أن تشرح الأمر للسيدة رول، رفضت الاستماع إليك".

التفت بـوارو نحو ماكرودن، وقد علت وجهه نظرة ظفر، وقال: "سـيدي، ربما كان والـدك يرغب أيضًـا في أن تدافع سـيلفيا رول عن نفسـها فـي محكمة أولد بايلي؟ أم أنك سـتقر أخيرًا بأنك قد أسـأت الحكم علـى هيركيول بوارو، وطعنته في سمعته؟ وقد يهمك أن تعرف أن السيدة رول قد اتهمتني أيضًا بالتآمر مع أحد أعدائها، لكي نجعلها تشعر بالكرب؛ إنه رجل يُدعى يوستيس".

قال جون ماكرودن بعد فترة صمت قصيرة: "ما زلت مصرًّا على أن والدي هو من وراء كل ما يحدث"، كان يبدو أقل ثقة بما يقول مما كان عليه من ذي قبل، وهو يقول: "إن أكثر شيء يستمتع به هو الألغاز العسيرة، أعتقد أنه يفترض بي تخمين سبب تسلم السيدة رول الخطاب نفسه الذي وصل إليَّ".

قال بوارو وهو يتنهد: "عندما يكون هناك أمر يشـغل تفكير المرء، مثل شـأنك مع والدك، أو شـأن سيلفيا رول مع يوستيس هذا، فإنه يؤثر بشدة في نظرة المرء إلى العالم *بأسره*. لا أعتقد أنك قد أحضرت الخطاب معك".

فـرد ماكـرودن: "لا، لقد مزقته إربًا، وأرسـلت القطع الممزقـة إلى والدي مع رسـالة أخبره فيها برأيي فيه، وأنا أخبرك الآن يا سيد بوارو، لن أقف ساكنًا أمام فعلتك *هذه*. حتى العظيم هيركيول بوارو لا يمكنه اتهام الأبرياء جزافًا، ويتوقع أن يفلت بفعلته".

شـعر بوارو براحة كبيرة بعدمـا غادر جون ماكرودن أخيـرًا، ووقف بوارو إلى جوار النافذة، يراقب زائره وهو يغادر المنزل.

ثم سـأله جورج: "هل أنت جاهز لتناول *شراب النعناع* الآن يا سيدي؟".

قال بوارو: "صـديقي، أنا جاهز لكل *شـراب النعناع* في العالم"، ثم أدرك أنه سيسبب لجورج الارتباك، فقال: "كوب واحد فقط من فضلك يا جورج".

عـاد بـوارو ليجلس في مقعده مسـتاءً. ما الأمـل في أن تعم العدالة والسـلام العالم إن لم يتمكن ثلاثة أشـخاص لديهم قضية مشتركة -ثلاثة أشخاص اتُّهموا

خطأً: سيلفيا رول، وجون ماكرودن، وهيركيول بوارو، من الجلوس معًا، ومناقشة الأمر بهدوء وتعقل، ما يساعدهم على فهم ما حدث؟ بدلاً من هذا، كل ما أراه هو الغضب والرفض المتعصب للتفكير في وجهة نظر أخرى غير وجهة نظرهما، إلى جانب السيل الذي لا يتوقف من الإهانات، ولكن ليس من قبل هيركيول بوارو الذي تصرف بصورة محترمة في وجه الاستفزاز الذي لا يُحتمل.

عندما أحضر إليه جورج *الشراب*، قال له: "أخبرني.. هل هناك أحد آخر ينتظرني؟".

أجاب جورج: "لا، يا سيدي".

فسأله بوارو: "لم يتصل أحد هاتفيًّا ليطلب موعدًا؟".

رد جورج: "لا يا سيدي، هل تتوقع قدوم شخص ما؟".

فقال بوارو: "نعم، أتوقع شخصًا غريبًا غاضبًا، أو ربما العديد منهم".

فقال جورج: "لا أفهم ما تعني يا سيدي".

في تلك اللحظة علا صوت جرس الهاتف، فأومأ بوارو برأسه، وقد رُسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة. فكَّر بوارو، إن لم يكن هناك أي شيء ممتع في الموقف، فمن الأفضل أن يستمتع المرء بكونه محقًّا. قال بوارو: "ها هو ذا، أو ها هي ذي يا جورج. الشخص الثالث. الثالث من كم، من يعلم؟ ٣، ٤، ٥؟ قد يكون أي عدد".

فسأله جورج: "أي عدد يا سيدي؟".

أجاب بوارو قائلاً: "عدد الأشخاص الذين تلقوا خطابات تتهمهم بقتل بارناباس باندي، الذي يحمل توقيعًا زائفًا باسم هيركيول بوارو".

الفصل ٣

الشخص الثالث

في تمام الساعة الثالثة من اليوم التالي، استقبل بوارو زيارة في منزل وايت هافن من الآنسة أنابيل تريدواي، وبينما كان ينتظر جورج ليدخلها، وجد نفسه يتطلع بشدة إلى اللقاء. بالنسبة إلى الأشخاص ذوي الطبيعة المختلفة، قد يكون من المريع أن يتلقوا الاتهام نفسه المرة تلو الأخرى من سلسلة من الغرباء الذين اتحدوا في إصرارهم على عدم الاستماع إلى كلمة مما يُقال لهم، ولكن لم يكن الأمر كذلك بالنسبة إلى هيركيول بوارو. في هذه المرة الثالثة، قرر أن ينجح في عرض أفكاره، وأن يقنع الآنسة أنابيل تريدواي بأنه يقول الصدق. ربما بعد هذا سيمكنهما من إحراز بعض التقدم، وطرح بعض الأسئلة المهمة.

كان السبب في أن أغلب الناس - حتى أكثرهم ذكاءً - يصبحون غير عقلانيين ومتعجرفين محيرًا، وهو الموضوع الذي أولاه بوارو الكثير من تفكيره، بينما كان يرقد في فراشه مستيقظًا الليلة السابقة، فقد كان يتوق إلى تحويل اهتمامه إلى بارناباس باندي نفسه، وهذا بالطبع إن كان بارناباس باندي شخصية حقيقية. كان هناك احتمال بألا يكون له وجود، أو لم يوجد من الأساس، وقد يكون من ابتكار قريحة مَن كَتب الخطاب.

انفتح الباب، وأدخل جورج امرأة نحيلة، متوسطة الطول، ذات شعر ناعم، وعينين داكنتين، وملابس سوداء. انزعج بوارو من ردة فعله عند رؤيتها؛ فقد شعر

بأنــه يجب عليه أن ينحني أمامها، ويقول: "تعازيَّ يا آنســة"، ولكن لم يكن هناك سبب يدعوه إلى اعتقاد أنها قد فقدت شخصًا عزيزًا عليها، فتراجع عما فكر فيه. إن تسلم المرء خطابًا يتهمه بالقتل قد يسبب له الغضب أو الخوف، ولكن لا يعتبره المرء مأساة، إنه لن يجعل المرء، كما فكر بوارو، يشعر بالحزن.

ومــا لا شــك فيه، أنه كما بث جــون ماكرودن في غرفة بــوارو الازدراء البارد، دخلت أنابيل تريدواي الغرفة، وهي تحمل الأسى. فكر بوارو: "يا للقلب المحطم". وشعر بالأسى يؤثر فيه كأنه أساه هو.

قال بوارو: "شكرًا لك يا جورج. اجلسي من فضلك يا آنسة".

أسرعت نحو أقرب مقعد إليها، وجلست بطريقة لم تكن مريحة بالنسبة إليها. ولاحــظ بــوارو أن أكثر ملامح وجهها لفتًــا للنظر، كان الأخدود الرأســي العميق، الذي يبدأ من بين حاجبيها: ذلك التجعيد الظاهر الذي يبدو كأنه يقســم جبهتها إلى نصفين، فقرر بوارو ألا ينظر إليه مرة أخرى، فربما تلاحظ أنه يحدق إليه.

قالت الفتاة بهدوء: "شــكرًا لك على الســماح لي بالحضــور إلى هنا اليوم. لقد توقعــت أن ترفضــ لقائي". كانت قــد نظرت إلى بوارو خمس أو ســت مرات بينما كانت تتحدث، وكانت تشــيح ببصــرها ســريعًا في كل مرة كأنها تخشى أن يراها وهي تنظر إليه.

فسألها بوارو: "من أين أتيت يا آنسة؟".

فأجابته: "من مكان لم تسمع عنه من قبل، وربما لم يسمع عنه أحد. إنها قرية في الريف".

فسألها بوارو: "لماذا توقعت أن أرفض مقابلتك؟".

فــردت قائلة: "أغلــب النـاس قد يفعلون أي شــيء ليمنعوا شخصًــا من دخول منازلهــم يعتقــدون أنــه قاتل"، ثم اســتطرت قائلة: "ســيد بــوارو، إن ما أتيت لأخبــرك به هو.. حســنًا، قد لا تصــدقني، ولكننــي بريئة. لا يمكننــي أن أقتل أي مخلوق، أبدًا! إنك لا تعرف.."، ثم صمتت فجأة، وتنهدت بقوة.

قال بوارو بلطف: "أكملي من فضلك. ما الذي لا أعرفه؟".

فأردفت قائلة: "لم أسبّب قط أي ألم أو أذى لأي شخص، ولا يمكنني فعل ذلك. لقد أنقذت *حياة* الكثيرين".

فقال بوارو: "آنسة..".

أخرجت أنابيل تريدواي منديلًا من جيبها، وبدأت تمسح به عينيها، وقالت: "اعذرني أرجوك إن بدوت كأنني أتفاخر. لم أكن أقصد أن أبالغ في وصف أعمالي الخيرية، أو إسهاماتي، ولكنني أنقذت حياة أحدهم بالفعل.. منذ عدة سنوات".

فردَّ بوارو: "أنقذت حياة أحدهم؟ لقد قلت إنك أنقذت حياة الكثيرين".

قالت بصوت مرتجف: "ما أعنيه أنه إن سنحت لي فرصة تكرار هذا الأمر مرة أخرى، لأنقذت حياة كل شخص يمكنني إنقاذه، حتى إن كنت سأعرّض حياتي للخطر".

سألها بوارو: "هل لأنك تملكين شخصية بطولية، أم لأنك تعتقدين أن الناس أكثر منك أهمية؟".

فقالت: "أنا.. لا أعلم ما تعنيه. يجب علينا جميعًا أن نقدم الآخرين على أنفسنا، إنني لا أتظاهر بكوني أكثر إيثارًا من أغلب الناس، كما أنني لست شجاعة على الإطلاق، بل إنني جبانة للغاية في الحقيقة. لقد تطلب حضوري إلى هنا للتحدث معك، أن أستجمع كل ما أملك من شجاعة. إن شقيقتي لينور هي الأكثر شجاعة من بيننا. أنا واثقة بأنك شخص شجاع يا سيد بوارو. ألن تنقذ كل حياة يمكنك إنقاذها، جميعها؟".

قطب بوارو حاجبيه، فلقد كان سؤالًا غريبًا، ولم تكن المحادثة برمتها عادية، حتى بالنسبة إلى ما أطلق عليه بوارو في ذهنه اسم "عصر بارناباس باندي الجديد".

قالت أنابيل تريدواي: "لقد سمعت الكثير عن أعمالك، وأنا من أشد معجبيك، لهذا السبب، آلمني خطابك كثيرًا. سيد بوارو أنت مخطئ في شكك فيَّ. إنك تقول إنك تملك دليلًا ضدي، ولكنني لا أعلم كيف يكون هذا ممكنًا، فأنا لم أرتكب أية جريمة".

قال لها بوارو: "وأنا لم أرسل إليك أية خطابات، ولم أتهمك - ولا *أتهمك* - بقتل بارناباس باندي".

طرفت أنابيل تريدواي بعينيها، وحدقت إلى وجه بوارو في ذهول، وقالت: "ولكن.. أنا لا أفهم".

فاستطرد بوارو قائلًا: "إن الخطاب الذي وصل إليك لم يُكتب بيدي أنا هيركيول بوارو الحقيقي. أنا أيضًا بريء! لقد أرسل شخص ينتحل شخصيتي هذه الاتهامات، وكل منها موقع باسمي".

فقالت باندهاش: "كل.. كل واحد؟ هل تعني..؟".

فأجابها بوارو: "نعم، أنت الشخص الثالث الذي يقول لي، خلال يومين، الكلام نفسه: وهو أنني أرسلت إليك خطابًا، وأنني أتهمك فيه بقتل بارناباس باندي. أمس كانت السيدة سيلفيا رول والسيد جون ماكرودن. واليوم أنت". راقبها بوارو ليرى إن كان لاسمي المتهمين السابقين أي تأثير فيها، ولكنه لم ير أي شيء.

فقالت: "إذن، أنت لم.."، وتحركت شفتاها لحظة بعد أن صمتت، ثم قالت أخيرًا: "أنت لا تعتقد إذن أنني قاتلة؟".

فأجابها بوارو: "هذا صحيح. في الوقت الحالي، لا يوجد لديَّ أي سبب يدفعني إلى اعتقاد أنك قد قتلت أي شخص. والآن، إن كنت الشخص الوحيد الذي أتى إليَّ، وتحدث عن هذا الخطاب الذي يحوي الاتهامات، كنت لأتساءل.." قرر بوارو عدم البوح لها بما يفكر فيه، فابتسم، وقال: "إنها مزحة قاسية تلك التي يلعبها معنا ذلك المخادع، أيًّا كان، يا آنسة. ألا تعرفين سيلفيا رول أو جون ماكرودن؟".

قالت أنابيل تريدواي: "لم أسمع بأي منهما من قبل، كما أن الدعابات من المفترض بها أن تكون مضحكة، وهذه ليست مضحكة، بل إنها مروعة. من قد يفعل أمرًا كهذا؟ أنا لست شخصية مهمة، ولكن فعل أمر كهذا مع شخص بمثل سمعتك أمر صادم يا سيد بوارو".

قال لها بوارو: "بالنسبة إليَّ أنت مهمة للغاية. فأنت وحدك - من بين الأشخاص الثلاثة الذين وصلتهم هذه الخطابات - من استمع إليَّ. أنت فقط من صدق هيركيول بوارو عندما قال إنه لم يرسل مثل هذه الاتهامات. إنك لم تجعليني

أشعر بأنني على وشك أن أصاب بالجنون، مثلما فعل معي الاثنان الآخران. لهذا، أنا ممتن لك كثيرًا".

كان هناك جو من الأسى لا يزال يخيم على الغرفة. تمنى بوارو لو تمكن من رسم الابتسامة على وجه أنابيل تريدواي.. ولكن كانت تلك طريقة خطرة للتفكير. إن سمحت لشخص ما بالتأثير في مشاعرك، فسيتأثر حكمك على الأمور حتمًا، دائمًا. ذكَّر بوارو نفسه بأن الآنسة تريدواي، على الرغم من أنها تبدو بائسة، قد تكون قد قتلت رجلًا يُدعى بارناباس باندي، فتابع بوارو حديثه بتحفظ بعض الشيء، قائلًا: "إن السيدة رول والسيد ماكرودن لم يصدقا ما أقول، ولم يستمعا إليه".

فسألته: "هل اتهماك بالكذب؟".

فأجاب: "لقد فعلا للأسف".

فقالت: "ولكنك هيركيول بوارو!".

وافقها بوارو قائلًا: "هذه حقيقة لا يمكن إنكارها. هل تسمحين لي بأن أسألك: هل أحضرت الخطاب معك؟".

فردت قائلة: "لا، من المؤسف أنني قد مزقته على الفور. أنا.. لم أحتمل وجوده أمامي".

فقال بوارو: "*يا للخسارة*، كنت أود رؤيته. *لا بأس*، آنسة، دعينا نُقدم على الخطوة التالية في المناقشة. مَنْ الذي قد يريد أن يتلاعب بنا بهذه الطريقة، بك وبي وبالسيدة رول والسيد ماكرودن؟ أربعة أشخاص لا يعرفون شيئًا عن المدعو بارناباس باندي، إن كان له وجود من الأساس، حيث إن كل ما نعرفه..".

شهقت أنابيل تريدواي قائلة: "أوه!".

سألها بوارو: "ما الأمر؟ أخبريني. لا تخشي شيئًا".

بدا عليها الهلع، وهي تقول هامسة: "هذا ليس صحيحًا".

فسألها بوارو: "ما معنى ليس صحيحًا؟".

فأجابت: "إنه موجود بالفعل".

فسألها بوارو: "السيد باندي؟ بارناباس باندي؟".

"نعم، لقد *كان* موجودًا. ولكنه تُوفي، أتفهم؟ ولكنه لم يُقتل. لقد كان نائمًا و.. واعتقدت أنه.. لم يكن هدفي خداعك يا سيد بوارو. كان يجب أن أكون صريحة معك منذ البداية.. ولكنني اعتقدت.."، وراحت عيناها تجولان سريعًا في أركان الغرفة، وشعر بوارو بأن هناك فوضى عارمة داخل عقلها في تلك اللحظة.

طمأنها بوارو قائلًا: "إنك لم تخدعيني. لقد أصرت السيدة رول والسيد ماكرودن على أنهما لا يعرفان شخصًا يُدعى بارناباس باندي، كما أنني لا أعرفه، وافترضت أن الأمر ينطبق عليك أنت أيضًا. والآن، أخبريني من فضلك بكل ما تعرفينه عن بارناباس باندي. أنت تقولين إنه مات، أليس كذلك؟".

فأجابت قائلة: "نعم، لقد مات في شهر ديسمبر من العام الماضي، أي منذ ٣ أشهر".

ثم سألها بوارو: "وأنت تقولين إنه لم يُقتل، أي إنك تعلمين كيف مات، أليس كذلك؟".

فردت قائلة: "بالطبع أعلم، لقد كنت حاضرة. لقد كنا نعيش معًا في المنزل نفسه".

فقال بوارو في دهشة: "كنت.. كنتما تعيشان معًا؟"، كانت هذه مفاجأة لم يتوقعها بوارو.

قالت الفتاة: "نعم، منذ كنت في السابعة من عمري. إن بارناباس باندي كان جدي".

ثم استطردت أنابيل تريدواي قائلة لبوارو بمجرد أن نجح في إقناعها بأنه ليس غاضبًا منها لتضليلها إياه: "لقد كان أقرب إليَّ كوالد من أن يكون جدًّا. فلقد تُوفي والداي عندما كنت في السابعة من عمري، وتولى جدي رعايتنا، أنا ولينور. كانت لينور أيضًا كوالدتي، بشكل ما. لا أعرف ما كنت سأفعل دونها. لقد كان جدي مسنًّا للغاية. إننا نحزن كثيرًا على فراقهم، ولكن المسنين يموتون، أليس كذلك؟ أمر طبيعي عندما يحين أجلهم".

جعل التناقض، بين نبرتها العادية والحزن البادي عليها، بوارو يستنتج أن ما يسبب لها الحزن ليس وفاة جدها.

ثـم تغيرت هيئتها، فقد لمعت عيناها، بينما كانت تقول بحدة: "لا يهتم الناس كثيـرًا عندما يموت المسـنون، وهو أمر غير عادل على الإطـلاق، ويقولون: "لقد عاشـ عمرًا مديـدًا".. كأن هذه الكلمات تجعل فراقه محتملًا، ولكن عندما يموت طفل صغير يعتقد الجميع أنها الفاجعة الكبرى التي يمكن أن تحدث على الإطلاق. ألا ترى أن هذا ليس عادلًا يا سيد بوارو؟".

بدا كأن صـدى كلمة "فاجعـة" يتردد في المكان. إن كانـت هناك كلمة يُطلب منه اختيارها لوصـف جوهر المرأة الجالسـة أمامه، لاختارها. وكان من المريح بالنسبة إليه أن يسمع الكلمة تُقال بصوت عالٍ.

عندمـا لم يجب عن سـؤالها على الفـور، احمر وجه أنابيل تريـدواي، وقالت: "عندما تحدثت عن موت المسنين دون أن يولي أحد الأمر اهتمامًا مثلما.. حسنًا، أنـا لـم أعنِ.. كنـت أعني المتقدمين في السـن كثيرًا. كان جـدي يبلغ من العمر ٩٤ عامًا، وأنا واثقة بأنه أكبر سنًّا كثيرًا من.. آمل أنني لم أوجه إليك أية إهانة".

فكر بوارو، إن بعض العبارات المطمئنة قد تتسـبب في المزيد من الذعر أكثر مما فعل التعليق الأصـلي الذي كانا يسـعيان إلى التخفيف من وطأته. أخبر بوارو أنابيـل تريـدواي كذبًا بأنه لم يشـعر بأية إهانة، ثم سـألها: "كيف تخلصتِ من الخطاب؟".

نظرت إلى الأسفل نحو قدميها.

فسألها بوارو: "هل تفضلين ألا تخبريني؟".

فـردت قائلة: "إن الاتهـام بارتكاب جريمة قتل -ليس من قبلك، ولكن من قبل شخص ما دون شك- يجعل المرء قلقًا قليلًا بعض الشيء بشأن البوح بأي شيء".

فقال بوارو: "أفهم هذا، ولكن مع ذلك أود أن أعرف كيف تخلصت منه".

قطبـت جبينها، ففكر بوارو: "هكـذا إذن"، بينما كان التجعيد بين حاجبيها يـزداد عمقًـا، كانت تلك أحجية تم حلهـا على الأقل. إذ إنـه كان يبدو أن تقطيب الجبين إحدى عاداتها التي لازمتها منذ سـنوات طوال، وكان الأخدود في جبهتها دليلًا على هذا.

قالت، وهي ترفع منديلها إلى ما تحت أنفها: "ستظن أنني سخيفة ومؤمنة بالخرافات إن أخبرتك". لم تكن تبكي، ولكن كانت على وشك ذلك، ثم قالت: "لقد أمسكت قلمًا، ورسمت خطوطًا داكنة سميكة على كل كلمة، بحيث لا تبقى كلمة واحدة يمكن قراءتها. وفعلت المثل مع اسمك يا سيد بوارو. كل كلمة في الخطاب! ثم مزقت الخطاب وأحرقت بقاياه".

ابتسم بوارو، وقال: "ثلاث طرق مختلفة من الطمس. أنا منبهر. لم تكن السيدة رول والسيد ماكرودن دقيقين مثلك يا آنسة. هناك أمر آخر أود أن أسألك عنه، أشعر بأنك حزينة، بل ربما خائفة، أليس كذلك؟".

قالت بسرعة: "لا يوجد شيء أخافه. لقد أخبرتك بأنني بريئة. إن كانت لينور أو أيفي من يتهمني لكنت أستطيع إقناعهما. وكنت سأقول: أقسم بحياة هوبي.. وحينها ستدركان أنني أقول الصدق. إنهما تعلمان أنني لم أقتل جدي".

سألها بوارو: "من يكون هوبي؟".

"هوبسكوتش، كلبي؛ إنه كائن رائع. لا يمكن أن أقسم بحياته وأكذب أبدًا. ستحبه إن رأيته يا سيد بوارو، فمن المستحيل ألا تحبه". وللمرة الأولى منذ حضورها رُسمت ابتسامة على وجه أنابيل تريدواي، وانقشعت سحابة الحزن التي كانت تخيم على الغرفة قليلًا، ثم أردفت أنابيل قائلة: "يجب أن أعود إليه. قد تظن أنني حمقاء، ولكنني أفتقده بشدة، كما أنني لست خائفة حقًّا، فما دام من أرسل الخطاب لم يجرؤ على وضع اسمه عليه، فلن يكون الاتهام حقيقيًّا، أليس كذلك؟ إنها خدعة سخيفة، هذا كل ما في الأمر، وأنا مسرورة؛ لأنني تمكنت من مقابلتك، وتوضيح الأمور. والآن، عليَّ أن أذهب".

فقال لها بوارو: "من فضلك يا آنسة، لا تنصرفي. هناك أمر آخر أود أن أسألك عنه".

قالت أنابيل تريدواي بإصرار، وهي تنهض واقفة على قدميها: "ولكنني يجب أن أعود إلى هوبي. إنه بحاجة إليَّ.. ولا أحد منهما يمكنه أن.. عندما لا أكون في المنزل، فهو.. أنا آسفة للغاية. آمل ألا يسبب لك من أرسل الخطابات المزيد من المشكلات. شكرًا لك على مقابلتي سيد بوارو. عمت صباحًا".

قــال بــوارو مخاطبًا الغرفة التي أصــبحت خاليــة فجأة إلا منه، ومن الشــعور الممض بالكآبة: "عمت صباحًا يا آنسة" .

الفصل ٤

هل اكتُشف الشخص المختلف عن الباقين؟


t.me/t_pdf

شعر هيركيول بوارو بشعور غريب في صباح اليوم التالي. فحتى تمام العاشرة صباحًا، ولم يظهر أحد عند عتبة باب منزل وايت هافن يظن بأنه قد أرسل إليه خطابًا يتهمه فيه بقتل بارناباس باندي، ولم يتصل به هاتفيًّا أي شخص غريب. ظل منتظرًا حتى الحادية عشرة وأربعين دقيقة (لا أحد يعلم كيف يمكن أن يتسبب منبه معطل في أن يستغرق متهم في النوم)، ثم خرج من منزله إلى مقهى بليزانتس في الطرف الآخر من المدينة.

كانت هناك نادلة تدير مقهى بليزانتس بصورة غير رسمية، تُدعى يوفيما سبرينج، وكان الجميع يدعونها "في" اختصارًا. كان بوارو يكنُّ لها إعجابًا كبيرًا، فقد كانت تقول أشياء غير متوقعة على الإطلاق. وكان شعرها منفوشًا يتحدى الجاذبية عن طريق رفضه أن ينسدل على رأسها، ولكن لم يكن عقلها طائشًا أو أهوج على الإطلاق، بل كان دائمًا حادًّا ومركزًا، كما أنها كانت تعد أفضل قهوة في لندن، ثم تبذل ما في وسعها لكي تثنيهم عن تناولها. فقد كانت تهوى ادعاء أن الشاي مشروب أكثر رقيًّا وفائدة للصحة من القهوة، في حين يبدو أن القهوة تؤدي إلى الأرق ليلًا، وإلى تدمير الصحة بشتى الطرق.

ظل بوارو يشرب القهوة الممتازة التي تعدها "في"، على الرغم من تحذيراتها وتوسلاتها، ولاحظ أنها في الكثير من الموضوعات (عدا المذكور سابقًا) تمتلك

الكثيـر من الحكمة لتقدمها. ومـن بين المعلومات الجمّة التي كانت تملكها، كانت هنـاك معلومات عن صـديق بوارو ومسـاعده فـي بعض الأحيان المحقـق إدوارد كاتشبول؛ وهو السبب في ذهابه إلى المقهى في ذلك اليوم.

بـدأ رواد المقهى تتزايد أعدادهم، بينما قطرات المياه التي سـببتها الرطوبة تسيل على النوافذ. وكانت "في" تقدم الطلبات لرجل نبيل على الجانب الآخر من الغرفة، عندما دخل إليها بوارو، ولكنها لوحت إليه بيدها اليسرى: في إشارة بليغة دلته بدقة على مكان جلوسه، وانتظارها.

جلسـ بـوارو، وعدَّل من وضـع أدوات المائدة أمامه، كما يفعـل دائمًا، وحاول تجنب النظر إلى مجموعة أباريق الشاي التي تملأ الرفوف العالية على الجدران، فقـد كان لا يتحمـل منظرهـا: كانـت جميعها موضـوعة بزوايا مختلفـة، بل ربما بطريقـة عشـوائية. كان الأمر ينافي المنطـق تمامًا، أي أن تكون شخصًـا مهتمًّا بأباريق الشـاي بما يكفي أن تجمع الكثير منهـا، ولكن لا ترى الحاجة إلى ترتيبها جميعها في الاتجاه نفسه.. كثيرًا ما شك بوارو في أن "في" قد وضعت هذه الأباريق بهذا الشـكل غيـر المنظم، فقط لكي تجعله يشـعر بالانزعـاج. كان قد علَّق ذات مرة، عندما كانت أباريق الشـاي موضـوعة بنظام مرتب إلـى حد ما، بأن أحدها كان موضوعًا بطريقة غير صحيحة. ومنذ ذلك الوقت، كلما حضر إلى بليزانتس، لم يرَ أي نظام فيها على الإطلاق. إن في سبرينج لا تتقبل الانتقاد بروح رياضية.

ثم ظهرت "في" أمامه مباشـرة، ووضـعت طبقًا بقوة على الطاولة بين سكينه وشـوكته، وكانـت على الطبق قطعة من الكعك، لم يطلبهـا بوارو، ثم قالت قبل أن يتسـنى له سؤالها عن كاتشـبول: "سأحتاج إلى مسـاعدتك، ولكن عليك أن تأكل أولا".

كانت كعكتها تُعرف باسـم نافـذة دار العبادة؛ وهذا لأنهـا مكونة من مربعين أصفرين، ومربعين ورديين بالنسق نفسه الذي عليه ألوان نافذة دار العبادة. وكان بوارو يجد هذا الاسم مزعجًا؛ حيث إنه يدرك أن نوافذ دور العبادة ملونة، ولكنها أيضًا شفافة ومصنوعة من الزجاج. قد يُطلق المرء عليها أيضًا اسم "كعكة لوحة

الشطرنج"، وكان هذا الاسم هو أول ما خطر على ذهن بوارو عندما رآها: لوحة شطرنج، ولكنها صغيرة للغاية، ولا تحمل الألوان نفسها.

قال بوارو مخاطبًا إياها: "لقد اتصلت هاتفيًّا بشرطة سكوتلانديارد هذا الصباح، وقيل إن كاتشبول قد ذهب ليقضي عطلته على شاطئ البحر مع والدته، ولكن هذا الأمر لم يبدُ لي قابلًا للتصديق".

قالت: "كُلْ".

فقال: "*حسنًا، ولكن..*".

قالت: "ولكنك تريد أن تعرف أين إدوارد. لماذا؟ هل وقع خطب ما؟"، كانت قد بدأت تدعو كاتشبول في الآونة الأخيرة بـ"إدوارد"، ولكن ليس في وجوده قط، كما لاحظ بوارو.

فسألها بوارو: "هل تعلمين أين هو؟".

ابتسمت قائلة: "ربما. سيسعدني أن أخبرك بكل ما أعرف، ولكن بعد أن تعدني بأن تساعدني. والآن، كُلْ".

زفر بوارو، وقال: "كيف سيساعدك أن آكل قطعة من كعكتك؟".

جلست إلى جواره ووضعت مرفقها على الطاولة، وهمست قائلة، كأنها تتحدث عن أمر مخز: "هذه ليست كعكتي. إنها تبدو مثلها ومذاقها مثلها، ولكنها ليست كعكتي. هذه هي المشكلة".

فقال لها بوارو: "لا أفهم".

فقالت: "هل خدمتك هنا من قبل فتاة تُدعى فيليبا، نحيلة، وأسنانها تشبه أسنان الحصان؟".

فردَّ قائلًا: "لا، لا يبدو اسمها أو أوصافها مألوفة بالنسبة إليَّ".

فاستطردت قائلة: "لقد تركت العمل هنا منذ فترة، فقد أمسكت بها، وهي تختلس كميات صغيرة من الطعام المقدم إلى الزبائن، وتشاجرت معها. لم يكن ما يزعجني أنها في حاجة إلى تغذية؛ لأنها كانت في حاجة إليها بالفعل، ولكنني لم أرضَ بأن تختلس الطعام من أطباق أولئك الذين دفعوا ثمنه كاملًا. وأخبرتها بأنه يمكنها أن تأكل بقايا الطعام، ولكن لم يعجبها هذا. لم يعجبها أن أتحدث

معها كأنها لصة - جميع اللصوص لا يحبون هذا - لذا لم تعد إلى العمل منذ ذلك الحين. والآن، تعمل في المقهى الجديد، كيمبلز، بجوار متجر بائع المشروبات في شارع أوكسفورد. يمكنها العمل لديه، وحظًا سعيدًا لهما، ولكن أخبرني الزبائن بأنها تصنع كعكتي هناك. لم أصدقهم في البداية، فكيف يمكنها أن تعرف وصفتي؟ لقد ورثتها عن جدتي الكبرى، التي نقلتها إلى جدتي، ثم إلى والدتي، ثم إليَّ. كنت لأقطع لساني قبل أن أخبر أي شخص خارج العائلة هذه الوصفة، وأنا لم أفعل بالفعل، لم أخبر أي أحد بها، وبخاصة هي. كما أنني لم أكتبها، والطريقة الوحيدة التي تفسر معرفتها الوصفة هي أنها كانت تراقبني سرًّا وأنا أعدها.. وعندما فكرت مليًّا، قلت، نعم، ربما فعلت. سيمكنها أن تعد الكعكة لو أنها انتبهت لطريقة إعدادها، ولا يمكنني أن أقسم أنها لم تفعل. فطوال تلك الفترة، ظللنا معًا في ذلك المطبخ الصغير..".

ثم أشارت بإصبع اتهام نحو المطبخ، كأن اللوم يقع عليه، وقالت: "كان من السهل عليها أن تتظاهر بأنها مشغولة بفعل أي شيء آخر، ولكنها كانت تتلصص عليَّ. على أية حال، كان يجب عليَّ الذهاب وتجربة الكعكة، أليس كذلك؟ وأعتقد أنهم محقون، أولئك الذين أخبروني بأنها تصنع كعكتي. أعتقد أنهم محقون تمامًا"، وبرقت عيناها في سخط.

فسألها بوارو: "ما الذي تريدين مني أن أفعله يا آنسة؟".

فأجابته: "ألم أقل لك؟ ألم أكن أخبرك بذلك منذ أن تحدثنا؟ تناول هذه الكعكة وأخبرني إن كنت محقة أم لا؛ إنها كعكتها وليست كعكتي. لقد وضعتها في جيب معطفي عندما لم تكن منتبهة. إنها لم تعلم قط أنني كنت في مقهاها، لقد كنت حذرة للغاية. لقد ذهبت متخفية - مرتدية زيًّا مناسبًا!".

لم يكن بوارو يريد تناول أية كعكة كانت في جيب معطف شخص ما، فقال مخاطبًا "في": "أنا لم أذق كعكتك منذ أشهر طويلة، وذاكرتي ليست قوية إلى هذه الدرجة؛ لأتمكن من الحكم، كما أن المرء لا يمكنه تذكر المذاق بدقة، هذا مستحيل".

فقالت له بنفاد صبر: "هل تعتقد أنني لا أعرف هذا؟ سأعطيك قطعة من كعكتي بعدها، أليس كذلك؟ سأصحح الأمور على الفور"، ثم نهضت من مقعدها، وقالت: "خذ قضمة صغيرة من إحداهما، ثم قضمة من الأخرى. ثم كرر الأمر، قضمة واحدة من كل كعكة، وأخبرني إن كان هناك اختلاف بينهما".

فسألها بوارو: "وإن فعلت هذا، فستخبرينني أين يوجد كاتشبول؟".

فقالت: "لا".

فسألها بوارو بدهشة: "لا؟".

فقالت: "لقد أخبرتك بأنني سأخبرك أين يوجد إدوارد إن ساعدتني".

فرد بوارو قائلًا: "وقد وافقت على تذوق..".

قالت "في" بحزم: "التذوق ليس هو المساعدة التي أنشدها. سيأتي شق المساعدة لاحقًا".

نادرًا ما كان هيركيول بوارو يسمح لنفسه بأن ينصاع لإرادة الآخرين، ولكن كانت مقاومة إرادة في سبرينج تصرفًا أحمق، فانتظر حتى عادت تحمل قطعة أخرى من كعكة نافذة دار العبادة التي بدت مماثلة للقطعة الأولى تمامًا، ثم بدأ، صاغرًا، يتذوق كلتا القطعتين. ولكي يتأكد، تذوق ثلاث قضمات من كل قطعة.

جلست تراقبه عن كثب، ولكنها لم تطق صبرًا في النهاية، فسألته: "هيا أخبرني، هل هما متماثلتان أم لا؟".

أخبرها بوارو قائلًا: "لا يوجد فارق في المذاق على الإطلاق، ولكن يا آنسة، لا يوجد أي قانون يمنع أحدًا من إعداد كعكة مشابهة لكعكة شخص آخر، وإن كانت قد لاحظت إعدادها بعينيها..".

فقاطعته "في" قائلة: "أنا لا أسعى إلى إقامة دعوى قضائية ضدها، كل ما أريد أن أعرفه هو إن كانت تعتقد أنها قد سرقتها مني أم لا".

فقال بوارو: "فهمت. إنك لا تهتمين بالتعدي القانوني عليك، بل بالتعدي الأخلاقي".

فقالت له: "أريدك أن تذهب إلى مقهاها، وتطلب قطعة من الكعك، ثم تسألها عنها، أي تسألها من أين حصلت على الوصفة".

فقال لها بوارو: "ماذا لو قالت: إنها الوصفة التي كانت في سبرينج تستخدمها من مقهى بليزانتس؟".

فـردت قائلة: "حينها سـأذهب إليها بنفسـي، وأخبرها بمـا لا تعرفه: وهو أن وصـفة عائلة سـبرينج يجب ألا يسـتخدمها أحد من خارجها. فإن كان هذا خطأ غير مقصود، فهكذا سأعتبر الأمر".

ثـم سـألها بوارو: "وماذا سـتفعلين إن كانـت إجابتها أكثر مراوغـة؟ أو قالت مباشرة إنها حصلت على وصفة كعكتها من مصدر آخر، ولم تصدقيها؟".

ابتسـمت وضـيّقت عينيهـا، قائلة: "سـأجعلها تنـدم على ذلك"، ثم أضـافت بسرعة: "ولكن، ليس بالطريقة التي ستجعلك تندم على مساعدتك لي".

فقال لها بوارو: "يسـعدني سماع هذا يا آنسـة. إن كنت ستسمحين لبوارو بأن يسديك نصيحة: فإن السعي إلى الانتقام نادرًا ما يكون فكرة جيدة".

قالت بحزم: "وكذلك الجلوس وعض الأنامل بينما يسـتخدم الآخرون الأشياء التي من حقك أنت. ما أريده منك هو المسـاعدة التي طلبتها، وليسـت النصيحة التي لم أطلبها".

قال بوارو: "فهمت".

فقالت: "جيد".

ثم سألها بوارو: "أرجوك أخبريني، أين كاتشبول؟".

ابتسمت قائلة: "على شاطئ البحر مع والدته، كما قالت شرطة سكوتلانديارد".

اعتلت نظرة متجهمة على وجه بوارو، وقال: "أرى أنك خدعتني".

فردت: "على الإطلاق! إنك لم تصـدق ما سمعت عندما أخبروك به، والآن أنا أقول لك إنه صحيح. هذا هو المكان الذي يوجد به بالفعل. جريت يارموث، شرق البلاد".

فقال بوارو: "كما قلت من قبل.. هذا لا يبدو لي أمرًا قابلًا للتصديق".

فقالت "في": "لم يكن يريد الذهاب، ولكنه كان مضطرًّا إلى ذلك، لكي تتركه والدته في حاله. كانت قد عثرت له على زوجة رائعة".

فقال بوارو: "فهمت!" ، كان بوارو يعلم طموحات والدة كاتشبول في رؤية ولدها مستقرًّا مع زوجة جميلة شابة.

ثم قالت "في" : "كان لتلك العروس الكثير من السمات التي تصب في صالحها؛ إنها جميلة، كما قال إدوارد، ومن عائلة مرموقة، وعطوف، ومهذبة أيضًا. لقد وجد صعوبة كبيرة هذه المرة في أن يقول لا أكثر من المرات السابقة".

فسألها بوارو: "يقولها لوالدته؟ أم أن *المرأة الجميلة* هي من عرضت عليه الزواج؟".

ضحكت قائلة: "لا، لقد كانت فكرة والدته، وكان هذا كل ما في الأمر. لقد حزنت كثيرًا عندما أخبرها بأنه ليس مهتمًّا. ربما فكرت: "إن لم يقتنع، بهذه المرأة كذلك.." ، كان على إدوارد أن يفعل أمرًا ما ليرفع من معنوياتها، وهي تحب جريت يارموث، ولهذا اصطحبها إلى هناك".

قال بوارو مقطبًا حاجبيه: "إننا في شهر فبراير. إن الذهاب إلى منتجع شاطئي إنجليزي في شهر فبراير يُعد دعوة إلى الشقاء، أليس كذلك؟" ، ثم فكَّر بوارو في نفسه، قائلًا: يا له من وقت مريع ذلك الذي يقضيه كاتشبول الآن. يجب أن يعود إلى لندن على الفور، حتى يتمكن بوارو من التحدث إليه عن موضوع بارناباس باندي.

ثم قطع صوت متردد تسلسل أفكاره، قائلًا: "معذرة، هل أنت السيد بوارو؟ السيد هيركيول بوارو؟". التفت بوارو ليرى شابًّا يرتدي ملابس أنيقة، ويبتسم إليه كأنه يشعر بسعادة بالغة.

أكد بوارو قائلًا: "*أنا* هيركيول بوارو".

مدَّ الشاب يده ليصافح بوارو، وقال: "يسعدني لقاؤك للغاية. إن لديك سمعة طيبة جدًّا. من الصعب أن يجد المرء كلمات ليقولها أمام رجل عظيم مثلك. أنا دوكيريل - هيوجو دوكيريل".

حدقت إلى الوافد الجديد بشك، ثم قالت محذرة بوارو قبل أن تنصرف: "سأترككما لشأنكما الآن. ولا تنسَ أنك وعدتني بالمساعدة". طمأنها بوارو بأنه لن ينسى، ثم دعا الرجل المبتسم إلى الجلوس.

مكتبة 1041

كان هيوجو دوكيريل أصـلع الرأس كليةً تقريبًا، ولكن بوارو خمَّن أنه لم يتخط الخمسين من عمره بعد.

قـال دوكيريـل، وهو يبـدو سـعيدًا، وليس نادمًـا: "أنا آسـف للغايـة لاقتحام خصوصـيتك بهذه الطريقة. لقد أخبرني خادمـك بأنني قد أعثر عليك هنا، وقد طلب مني أن أحدد موعدًا للقائك عصـر اليوم، ولكنني متشوق للغاية إلى توضيح سوء التفاهم؛ لذا أخبرته بأنني أفضل أن أعثر عليك في وقت مبكر أكثر من هذا، وعندمـا أخبرته بما يتعلق بالأمر، بدا كأنه يفكر في أنك قد ترغب في رؤيتي على الفور؛ لذا حضرت إليك"، ثم قهقه بصوت عالٍ، كأنه قد ألقى بمزحة مضحكة.

فقال بوارو: "سوء تفاهم؟". كان بوارو يفكرً في احتمالية وجود خطاب رابع.. ولكن لا، كيف يمكن هذا؟ هل يمكن لأي شـخص، حتى أكثرهم حماسًا وتفاؤلًا أن يبتسم بمثل هذه الطريقة في ظل هذه الظروف؟

بـدأ هيوجو دوكيريل يتحدث قائـلًا: "نعم، لقد وصـلني خطابك منذ يومين، و.. حسـنًا، أعلـم أن الخطأ هو خطئي أنا كليةً، وأكـره أن تعتقد أنني أوجه أي نوع مـن الانتقـاد إليك، فأنا لا أفعل ذلـك على الإطلاق. في واقع الأمر، أنا من أشـد المعجبيـن بأعمالك، مما سـمعته عنهـا، ولكن.. لا بد أنني فعلـت أمرًا ما جعلك تأخـذ فكرة خاطئة عني، ولهذا أنا أعتذر. أنا أحيانًا أكون فوضـويًّا، وغير مرتب، يمكنك أن تسـأل زوجتي جاين، وسـتخبرك. وقد خططت لأن أقابلك على الفور، بعد أن تلقيت خطابك، ولكنني أضعته على الفور تقريبًا..".

قاطعه بوارو عابسًا: "سيدي، ما الخطاب الذي تتحدث عنه؟".

قال هيوجو دوكيريل: "ذلك الخطاب عن العجوز بارناباس باندي"، ثم ابتسم بحيوية متجددة بعدما جاء على ذكر الاسـم الجوهري في القضـية، ثم اسـتطرد قائـلًا: "لن أجرؤ في المعتاد أن أقـول إن هيركيول بوارو العظيم قد يكون مخطئًا في أمر ما، ولكن في هذه الحالة.. يؤسفني أنه لم يكن أنا. أعتقد أنه.. حسنًا، إن أخبرتني بما دفعك إلى اعتقاد أنني مَنْ فعلها، فربما تمكنا فيما بيننا من إصلاح هذا الخطأ المضحك. كما قلت، أعتقد أن سوء التفاهم هذا خطئي كليةً".

فسأله بوارو: "لقد قلت إنه لم يكن أنت يا سيدي، من الذي لم يكن أنت؟".

قال هيوجو دوكيريل: "الشخص الذي قتل بارناباس باندي".

بعدما أعلن هيوجو دوكيريل أنه بريء من جريمة القتل، أمسك بشوكة نظيفة من أمامه، حيث يجلس مقابلًا لهيركيول بوارو، وبدأ يتناول قطعة من كعك نافذة دار العبادة التي صنعتها "في"، أو ربما كانت قطعة فيليبا التي تشبهها، لم يعد بوارو يتذكر أيهما تخص مَنْ.

قال دوكيريل: "لا مانع لديك، أليس كذلك؟ من المؤسف أن تُلقى في القمامة. لا تخبر زوجتي! فهي تقول دومًا إنني أمتلك آداب مائدة تشبه تلك الخاصة بالمشردين، ولكننا معشر الرجال لا نفكر كثيرًا عندما يتعلق الأمر بملء بطوننا، أليس كذلك؟".

أصدر بوارو - الذي كان منزعجًا للغاية من كون تفكير أي شخص في أن كعكة نصف مأكولة قد تبدو مغرية بالنسبة إليه - غمغمة لا تنم عن أي شيء، وراح يفكر برهة في أوجه التشابه والاختلاف. عندما يقول الكثير من الناس، أو يفعلون الشيء نفسه تمامًا، فتكون النتيجة مغايرة لما قد يتوقعه المرء. والآن، فقد أتى إليه رجلان وامرأتان؛ ليوصلوا إليه الرسالة نفسها: وهي أنهم وصلتهم خطابات موقعة باسم هيركيول بوارو تتهمهم بقتل بارناباس باندي. وبدلًا من التفكير في أوجه التشابه بين تلك المقابلات الأربع، وجد بوارو نفسه منجذبًا إلى أوجه الاختلاف. كان لديه الآن اعتقاد راسخ بأنك إن كنت ترغب في أن ترى بوضوح مدى اختلاف شخصية إنسان ما عن الآخر، فإن أكثر الطرق فاعلية لفعل ذلك هي وضعهما في مواقف متماثلة.

كانت سيلفيا رول أنانية ومليئة بالغضب والتفاخر. ومثلما كانت الحال مع جون ماكرودن، كانت مهووسة للغاية بشخص معين، وكلاهما اعتقد أن بوارو قد تآمر مع هذا الشخص لكتابة الخطابات، سواء أكان رولاند ماكرودن "الحبل"، أو يوستيس الغامض. وقد فكر بوارو في أن غضب جون ماكرودن كان مساويًا لغضب سيلفيا رول، ولكنه كان مختلفًا؛ فلم يكن سريع الانفعال مثلها، ولكن غضبه كان متأججًا منذ فترة، وما زال، فهو لن ينسى الأمر، بينما هي ربما تنسى إذا وقعت مأساة جديدة أكثر خطرًا.

ومـن بين الأربعـة، كانت أنابيل تريـدواي هي الأصـعب لسـبر أغوارها. إنها لـم تكن غاضـبة على الإطـلاق، ولكنها كانت تخفـي أمرًا ما، وكانـت حزينة إلى حد ما.

كان هيوجو دوكيريل أول شخص يتسلم الخطاب ويظل مبتهجًا على الرغم من هذه المحنة، وما لا شـك فيه أنه أيضًـا أول من أظهر اعتقاد أن جميع مشـكلات العالـم يمكن حلهـا إن جلس رجلان مهذبان معًا إلى طاولـة، وحاولا حل أمورهما معًا. وإن كان مستاءً من اتهامه بالقتل، فقد تمكن من إخفاء الأمر بصورة رائعة. وكان لا يزال يبذل قصارى جهده؛ لكي يرسم على وجهه تلك الابتسامة العريضة، والتحـدث بفم مملوء بكعكة نافذة دار العبادة، عن مدى أسـفه إن كان شـيء مما فعله قد خلق لديَّ هذا الاعتقاد أنه قاتل.

فقال له بوارو: "لا تواصـل الاعتذار، لقـد قلت: بارناباس باندي العجوز.. منذ لحظات. لماذا نعته بهذه الصفة؟".

فأجـاب دوكيريل: "لقد كان على مشـارف بلوغ المائـة من عمره عندما توفي، أليس كذلك؟".

فسأله بوارو: "إذن، أنت تعرف السيد باندي، أليس كذلك؟".

فأجابـه دوكيريل: "لم ألتقه من قبل وجهًا لوجه، ولكنني سـمعت عنه بالطبع، بسبب تيموثي".

سـأله بوارو: "مَنْ تيموثي؟ سـيدي أود أن أوضـح لك أن الخطاب الذي وصـل إليك لم يكن أنا من أرسـله. لم أكن أعلم شـيئًا عـن بارناباس باندي حتى زارني ٣ أشـخاص وصـلت إليهم جميعًا خطابات مماثلة. والآن، أصبح هناك رابع: أنت. وقد تم توقيع هذه الخطابات باسـم هيركيول بوارو بواسـطة مدعٍ محتال! ولكنني لم أرسـلها، ولـم أتهم أحدًا بقتل السـيد باندي، الـذي أعتقد أنه توفي لأسـباب طبيعية".

بهتت ابتسـامة هيوجو دوكيريل قليلًا، وبدا الارتباك في عينيه، وهو يقول: "يا إلهي! يا له من أمر غريب. إنها خدعة دنيئة، أليس كذلك؟".

سأله بوارو مرة أخرى: "من تيموثي؟".

فأجــاب: "تيموثي لافينجتــون، إنه ابن حفيدة باندي. أنا معلمه في المدرســة الداخلية، وهي مدرسة تورفيل. كان باندي نفسه طالبًا فيها، وكذلك والد تيموثي، كان مــن طلبة تورفيــل القدامى. وكذلك كنت أنــا، ولكن الفــارق الوحيد أنني لم أتركها قط"، ثم أطلق ضحكة مقتضبة على مزحته.

فقال بوارو: "فهمت. أنت تعرف إذن عائلة تيموثي لافينجتون؟".

فأجاب: "نعم، ولكن، كما قلت لك، لم ألتقِ العجوز باندي قط".

ثم سأله بوارو: "متى توفي بارناباس باندي؟".

فرد دوكيريل: "لا يمكنني أن أخبرك بالتاريخ تحديدًا، لقد كان هذا في أواخر العام الماضي، على ما أعتقد، في نوفمبر أو ديسمبر". كان هذا الوقت يتوافق مع ما قالته أنابيل تريدواي.

"من منطلق كونك معلمًا في المدرسة الداخلية، أعتقد أنك علمت أن الجد الأكبر لأحد طلبتك قد تُوفي، أليس كذلك؟".

فأجــاب: "نعم، هذا ما حدث. لقد شــعرنا جميعنا بالحزن جــراء هذا، ولكن هــذا الرجل قد عاش عمرًا مديدًا. كلنا نتمنــى أن نكون محظوظين مثله!". كانت ابتسامته الجذلة قد عادت إلى وجهه، وهو يقول: "وإن كان من المفترض بشخص ما أن يموت، فأعتقد أن هناك طرقًا أسوأ من الغرق".

فقال بوارو في استغراب: "الغرق؟".

فردَّ دوكيريل: "نعم، لقد غفا باندي العجوز المســكين في حوض اســتحمامه، وغاصــ تحت الماء، وغرق. لقد كان حادثًا مريعًا. لم يقل أحد أي شــيء آخر عن الأمر".

تحدثــت أنابيــل تريدواي عــن أن جدها مات في أثناء نومه؛ مــا دعا بوارو إلى افتراضــ أنــه مات ميتة طبيعية في أثناء نومه ليلًا، ولكنها لم تذكر أي شــيء عن حوض الاستحمام أو الغرق. هل تعمدت عدم الإفصاح عن هذا الجزء من القصة؟

فســأله بــوارو: "هــل كان هذا مــا تعتقــده حتى وصــل إليك الخطــاب الموقع باســم هيركيول بوارو، أن الســيد باندي قد غرق في حوض اســتحمامه في حادث عرضي؟".

قــال هيوجو دوكيريل: "هذا ما يعتقــده الجميع. لقد أُجري تحقيق نتج عنه أنه قد مات ميتة عرضية. لقد سمعت زوجتي جاين تواسي تيموثي الصغير. أعتقد أن التحقيق قد أخطأ، أليس كذلك؟".

سأله بوارو: "هل معك الخطاب؟".

"لا، معــذرة، إنــه ليــس معي. كمــا قلت لك، لقد أضــعته؛ لقد أضــعته مرتين فــي الحقيقة. كنــت قد عثرت عليه المرة الأولى -حين حصــلت منــه على عنوان منزلك- ولكنه ضاع مني مجددًا. بحثت عن هذا الشيء اللعين قبل أن أنطلق نحو لنــدن، ولكننــي لم أتمكن من العثور عليه. آمل ألا تكون يد قذرة لأحد صــبيتنا قد عثــرت عليه. لا أريد أن يعرف أحد أنني متهم بالقتل، وبخاصــة أنك كما تبين لم تتهمني بالقتل من الأساس".

فسأله بوارو: "هل رُزقت وزوجتك بأطفال؟".

فــردَّ قائــلًا: "لا، ليســ بعــد. إننا نأمــل أن نُــرزق ببعضــهم. أوه أنــا أتحدث مــن منطلــق كوني معلمًا فــي المدرســة الداخلية عندمــا قلت صــبيتنا. إن لدينا ٧٥ مشــاغبًا صــغيرًا! ودائمًــا ما أقول لزوجتــي إنها بطلة لقدرتهــا على تحملهم، وعادة ما *تقول* إنهم لا يمثلون لها أية مشــكلة على الإطلاق، وإن كانت بطلة بحق، فسيكون هذا لأنها تتحملني *أنا*"، وتبعت هذه الدعابة قهقهة توقعها بوارو.

قــال بوارو: "ربما يمكنك أن تطلب من زوجتك أن تســاعدك في البحث داخل المنزل. حتى هذه اللحظة، لم يحضــر لي أحد الخطاب، وســيكون من المفيد لي للغاية أن أرى أحدها على الأقل".

فــردَّ قائــلًا: "بالطبــع. كان يجدر بي التفكير في هذا. ولا شــك فــي أن جاين ستعثر عليه. إنها رائعة! إنها موهوبة في العثور على الأشياء، ولكنها دائمًا ما تنكر هــذا. وتقول لي: "يمكنك أن تعثر على جميع الأشــياء التــي أعثر عليها يا هيوجو، فقط إن تنبهت جيدًا واستخدمت عقلك.." إنها رائعة!".

فسأله بوارو: "هل تعرف امرأة تُدعى أنابيل تريدواي يا سيدي؟".

اتسعت ابتسامة هيوجو أكثر، وقال: "أنابيل! بالطبع. إنها خالة تيموثي، وقريبة باندي العجوز، ما صلة قرابتها به؟ دعني أتذكر؛ إن لينور والدة تيموثي هي حفيدة

باندي، إذن.. نعم، أنابيل ستكون.. إمم.. إنها شقيقة لينور، إذن.. إنها حفيدة باندي أيضًا".

ظن بوارو أن هيوجو دوكيريل أحد أغبى من التقاهم في حياته.

قال دوكيريل موضحًا: "كثيرًا ما كانت لينور تصطحب أنابيل وابنتها أيفي -شقيقة تيموثي- عندما كانت تحضر إلى تورفيل؛ لذا أصبحت أعرف أنابيل جيدًا على مر السنوات. أخشى يا سيد بوارو أن تكون هناك *أبعاد أخرى لهذا الأمر*، كما يقولون. لقد طلبت يد أنابيل منذ بضع سنوات، لكي أتزوجها كما تعلم، فقد كنت واقعًا في حبها. أوه، لم أكن قد اقترنت بزوجتي في ذلك الوقت".

فردَّ عليه بوارو: "يسعدني يا سيدي أن أسمع أنك لم تتقدم إلى زواجها وأنت متزوج".

فقال دوكيريل: "ماذا؟ يا إلهي، لا. كنت أعزب في ذلك الوقت. كان الأمر غريبًا في الواقع، وحتى يومنا هذا لا يمكنني استيعاب ما حدث. فقد بدت أنابيل متحمسة عندما طلبت الزواج بها، ثم في اللحظة نفسها، انفجرت باكية، ورفضت طلبي. إن التقلب من شيم النساء، كما يعلم جميع الرجال -عدا جاين؛ إنها امرأة يمكن الاعتماد عليها إلى حد كبير، ولكن.. كان يبدو أن الرفض قد جعل أنابيل تستاء كثيرًا، لدرجة أنني اقترحت عليها أن تبدل الرفض بالقبول، حتى تصبح أكثر مرحًا".

فسأله بوارو: "وماذا كانت ردة فعلها؟".

أجاب: "يؤسفني أنها رفضت رفضًا قاطعًا، فالأمور التي قد تراها سيئة قد يتبين في النهاية أنها الأفضل لك، أليس كذلك؟ إن جاين مذهلة في التعامل مع الصبية، وكانت أنابيل قد أكدت لي عندما رفضتني أنها كانت ستصبح عاجزة عن التعامل معهم، لا أعرف لماذا اعتقدت هذا على الرغم من تفانيها من أجل تيموثي وأيفي، إنها تعتبر والدتهما الثانية. ولقد تساءلت أكثر من مرة عما إذا كانت تخشى من داخلها أن تُرزق بأطفال من صلبها، حتى لا يضعف الرابط الوثيق بينها وبين ابن وابنة شقيقتها، أو ربما كان عدد الصبية الكبير في منزلي هو ما حثّها على رفضي. إنهم يكونون في بعض الأحيان أشبه بقطيع من الحيوانات،

وأنابيل تحب الهدوء، ولكن، كما قلت لك، إنها شغوف بتيموثي الصغير لدرجة الجنون، وهو صبي صعب المراس، لقد سبب لنا الكثير من المشكلات على مدار سنوات".

فسأله بوارو: "أي نوع من المشكلات؟".

فرد دوكيريل: "ليست مشكلات خطيرة، وأعتقد أنه سيكف عنها مع الوقت. فعلى غرار الكثير من الصبية في تورفيل، يمكنه أن يهنئ نفسه على أمور لا تستحق التهنئة عليها. وأحيانًا يتصرف كأن قواعد المدرسة لا تسري عليه، كأنه أعلى منها. وتلقي جاين اللوم فيما يتعلق بتصرفاته على.. "، قطع هيوجو دوكيريل حديثه، ثم قال ضاحكًا: "معذرة. لم يكن يجدر بي أن أفشي مثل تلك الأمور".

طمأنه بوارو قائلًا: "لا تقلق، لا شيء مما تخبرني به سيخرج عما بيننا".

فاستطرد دوكيريل قائلًا: "كنت سأقول إن والدته تعتقد دائمًا أن الخطأ ليس خطأ تيموثي. ذات مرة شعرت بأنه يجب أن أعاقبه على التمرد -فقد أصرت جاين على عقابه- ولكنني عوقبت من قبل لينور لافينجتون، فلم تتحدث معي طوال ٦ أشهر، ولا كلمة واحدة قط".

سأله بوارو: "هل تعرف جون ماكرودن؟".

فأجاب: "لا، يؤسفني أنني لا أعرفه. هل يجدر بي أن أعرفه؟".

ثم سأله بوارو بعدها: "ماذا عن سيلفيا رول؟".

فقال هيوجو: "نعم، أعرف سيلفيا". وابتسم سعيدًا بأنه تمكن من الرد بالإيجاب.

اندهش بوارو، فقد أخطأ مرة أخرى، وهو أمر وجده مزعجًا للغاية. لقد افترض أن هناك زوجين من الأشخاص، مثل المربعين الأصفرين والمربعين الورديين على قطعة كعكة نافذة دار العبادة: سيلفيا رول وجون ماكرودن، وهما لا يعرفان بارناباس باندي ولم يسمعا اسمه من قبل، والزوج الآخر يعرف بارناباس باندي أو سمع به على الأقل، هو أنابيل تريدواي وهيوجو دوكيريل.

وقد افترض بوارو خطأً أن الزوجين سيظلان منفصلين تمامًا، منفصلين مثل المربعات الصفراء والمربعات الوردية من الكعكة، ولكن أصبحت الأمور فوضوية في هذه اللحظة: هيوجو دوكيريل يعرف سيلفيا رول.

فسأله بوارو: "كيف تعرفت بها؟".

فأجابه: "ابنها فريدي طالب في تورفيل. إنه في عمر تيموثي لافينجتون".

فسأله بوارو: "كم عمر الصبيين؟".

فرد قائلًا: "اثنا عشر عامًا على ما أعتقد. كلاهما في العام الثاني في المرحلة الإعدادية، على أية حال، وكلاهما في منزلي، ولكنهما مختلفان تمامًا! تيموثي شخص اجتماعي، يمتلك شعبية كبيرة، وهو محاط دومًا بحشد من المعجبين، أما فريدي المسكين فهو انطوائي، ويبدو أنه لا يمتلك أي أصدقاء. في الواقع، إنه يقضي الكثير من الوقت في مساعدة جاين. إنها رائعة، عادة ما تقول: "لن يشعر أي صبي هنا بالوحدة ما دام بإمكاني فعل شيء حيال ذلك"؛ وهي تعني ما تقول أيضًا".

تساءل بوارو، هل كذبت سيلفيا رول فيما يتعلق بعدم معرفتها باندي؟ هل يجب بالضرورة على الناس أن تعرف أسماء الأجداد الكبار لزملاء أبنائهم في المدرسة، وبخاصة عندما يكون اسم العائلة مختلفًا؟ إن اسم عائلة تيموثي هو لافينجتون، وليس باندي.

ثم غمغم بوارو مخاطبًا نفسه أكثر مما يخاطب هيوجو دوكيريل: "إن السيدة رول لديها إذن ابن في المنزل نفسه، في المدرسة نفسها التي يدرس فيها ابن حفيدة بارناباس باندي".

فصاح دوكيريل في دهشة، وقال: "يا إلهي، هل هذا صحيح؟".

فأجابه بوارو: "هذا ما توصلنا إليه الآن يا سيدي". ربما كان هيوجو دوكيريل يواجه صعوبة في فهم العلاقات الأسرية، إلى جانب معرفة أين وضع أشياءه؛ الأشياء على غرار الخطابات المهمة.

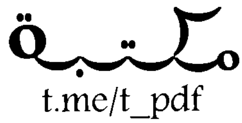
ثم خفتت ابتسامة دوكيريل، بينما كان يحاول استيعاب ما قاله بوارو: "ابن من.. ابن حفيدة.. بالطبع! نعم، هذا صحيح، هذا صحيح بالفعل".

فكر بوارو في أن هذا يعني أن الأمر ليس سـهلًا مثلما هي الحال مع المربعين الورديين والمربعين الأصـفرين في الكعكة، فلم يكن الأمر يتعلق بالأزواج، فهناك ٣ أشـخاص ممن تلقوا الخطاب قد تربطهم علاقـة ببارناباس باندي بكل تأكيد، وواحد لا تربطه علاقة به، على الأقل، ليس بعد.

كان هناك سـؤالان يشـغلان بال بوارو: هـل قُتل بارناباس بانـدي؟ وهل جون ماكرودن هو الشـخص المختلف عن الباقين؟ أم أنـه على علاقة بباندي الراحل بشكل ما، ولكن ذلك لم يتضح بعد؟

الفصل ٥

حرف ذو فجوة في منتصفه



إنني أقص عليكم الآن القصة التي قرر بوارو فيما بعد أن يُطلق عليها اسم "لغز الأرباع الثلاثة" على آلة كاتبة بها حرف الـ"ي" تالف. لا أعلم إن كان هناك مَنْ سينشرها، ولكن إن كنت تقرأ نسخة مطبوعة، فستكون حروف الياء بها مكتوبة بالشكل الصحيح. وعلى الرغم من ذلك كان العيب واضحًا في النسخة الأصلية المطبوعة على الآلة الكاتبة، حيث إن بها (أم يجدر بي من أجل القراء المستقبليين، أن أقول كان بها؟) فجوة صغيرة بيضاء في منتصف حرف الياء، تفصله رأسيًّا، فجوة صغيرة للغاية في الحبر الأسود للحرف.

لماذا يعد هذا مهمًّا؟ إن أجبت عن هذا السؤال على الفور، فسأكون بهذا أستبق أحداث قصتي، فدعوني أشرح لكم.

اسمي إدوارد كاتشبول، وأعمل محققًا في شرطة سكوتلانديارد، كما أنني راوي هذه القصة؛ ليس من هذه النقطة فحسب، ولكن منذ بدايتها، على الرغم من أنني تلقيت المساعدة من عدة أشخاص لملء تلك الأجزاء من الأحداث الدرامية التي لم أحضرها. وأحمل في قلبي الكثير من الامتنان للعينين الحادتين، وثرثرة هيركيول بوارو، الذي عندما تتعلق الأمور بالتفاصيل، لا تفوته فائتة؛ فبفضله لم

أشعر بأنني قد فاتني أية أحداث مهمة، كانت قد حدثت قبل عودتي من جريت يارموث.

كلما قل الحديث عن إقامتي المملة المحبطة على الساحل، كان أفضل، فالمغزى الوحيد من ذكرها هو أنني كنت مجبرًا على العودة إلى لندن في وقت مبكر عما خططت (ولك أن تتصور مدى راحتي) بسبب تسلمي برقيتين؛ إحداهما كانت من هيركيول بوارو، الذي قال فيها إنه بحاجة ماسة إلى مساعدتي، وسألني إن كان يمكنني العودة على الفور. والثانية، وكان من المستحيل تجاهلها، كانت من رئيس شرطة سكوتلانديارد، ناثانيال بيوس. على الرغم من أن هذه البرقية الثانية لم تكن من بوارو، ولكنها كانت تتحدث عنه، فقد بدا أنه "يسبب المشكلات"، وأراد مني بيوس أن أوقفه عند حده.

تأثرت بثقة رئيس الشرطة غير المبررة بقدرتي على تغيير سلوك صديقي البلجيكي؛ لذا وبمجرد عودتي إلى مكتب بيوس، جلست صامتًا، أومئ برأسي في تعاطف، بينما كان ينفث غضبه. وأصبح جوهر الأمر الذي كان يتحدث عنه واضحًا لي بما يكفي، فقد كان بوارو يعتقد أن ابن رولاند روب "الحبل" ماكرودن قاتل، وقال هذا بالفعل، وادعى أنه يملك الأدلة الكافية لإثبات هذا. لم يحب رئيس الشرطة هذا؛ لأن رولاند روب من أصدقائه المقربين، وطلب مني أن أقنع بوارو بأن يعدل عن أفكاره تلك.

وبدلًا من أن أولي عبارات رئيس الشرطة الصاخبة المتنوعة التي تنم عن الاشمئزاز اهتمامي، كنت مشغولًا بإعداد إجابتي في ذهني. هل أقول له: "لا فائدة من التحدث مع بوارو عن هذا الأمر، فإن كان واثقًا بصحة تفكيره، فلن يستمع إليَّ؟". لا، ستجعلني هذه الإجابة أبدو عدائيًّا وانهزاميًّا. وحيث إن بوارو قد طلب التحدث إليَّ على وجه السرعة، فربما كان ما يريدني من أجله يتعلق بالأمر نفسه، فقررت أن أعد رئيس الشرطة بأنني سأبذل قصارى جهدي؛ لكي أجعله يرى الصواب، ثم عندما أتحدث مع بوارو، سأعرف منه السبب الذي جعله يظن أن ابن رولاند روب قاتل، في حين لم ير أحدٌ غيره ذلك، ثم أنقل أفكاره إلى رئيس الشرطة. كل هذه الأمور تبدو في مقدوري، ولم أرَ داعيًا إلى أن أحدث فوضى

في مكان عملي عبر الإشـارة إلى أن عبارة "كونه ابن صـديقي" ليست دليلًا على البراءة، ولا دفاعًا يُعتد به.

إن ناثانيال بيوس رجل حليم، وهادئ الطباع، وراجح العقل، عدا حالته عندما يجعله شـيءٌ ما ينزعج. في تلك اللحظات النادرة لا يمكنه ملاحظة قدر الانزعاج البـادي عليـه، ولا أن حالته العاطفية ربما أثرت في حكمه على الأمور. ولأن حكمه على الأمور عادة ما يكون صـحيحًا، فإنه يفترض أنه كذلك طوال الوقت ما يدفعه إلى قول أكثر العبارات السخيفة على الإطلاق؛ أمور سيكون هو أول من يقول عنها، عندمـا يكون في حالتـه الذهنية الهادئة، إنها حمقاء. بمجرد أن يعود إلى *رشـده* بعـد واحدة من حالات هياجه، لا يذكر أبدًا تلك الفترة التي ألقى فيها العديد من التصـريحات والتوجيهات السخيفة، وعلى حد علمي، لا يأتي على ذكرها أي أحد أيضًـا، وأنا بالطبـع لا آتي على ذكرها. على الرغم مـن أن الفكرة خيالية، لكنني لسـت مقتنعًا بأن رئيس الشـرطة الطبيعي يدرك وجود نظيره المختل، هذا الذي يُظهره في بعض الأحيان بهذا المظهر السيئ.

وأومأت برأسـي بتـأن، بينما كان النظيـر المختل يرغي ويزبـد، ويذرع غرفة مكتبـه الصـغيرة جيئةً وذهابًا، ويدفـع نظارته نحو أعلى أنفـه، التي كانت تنزلق عليها مرارًا وتكرارًا.

وقال لي بيوس: "ابن رولي قاتل؟ هذا أمر منافٍ للعقل! إنه ابن رولاند ماكرودن! إن كنت ابن مثل هذا الرجل يا كاتشبول، هل كنتَ ستتخذ من جرائم القتل وسيلة لشـغل وقـت الفراغ؟ بالطبـع لا! الأحمق فقط هو من قد يفعل! هـذا إلى جانب أن وفـاة بارناباس باندي كانت عرضـية، لقد اطلعت بنفسـي على التقرير الرسـمي لوفاته، وكل شـيء مذكور بعبارات جلية، واضـحة كالشـمس: *حادث عرضـي*! لقد غرق الرجل في حوض اسـتحمامه، وكان يبلغ مـن العمر ٩٤ عامًا. أعني، أنه كان يبلـغ ٩٤ *عامًـا*، بالله عليـك! إلى كم من الوقت كان من المتوقـع أن يظل على قيد الحياة؟ هل كنت لتخاطر بحياتك؛ لكي تقتل رجلًا في الرابعة والتسعين من عمره يا كاتشبول؟ إنه أمر لا يصدقه عقل، لن يفعل أحد هذا. لِمَ قد يفعل؟".

فقلت: "حسنًا ..".

اختتم بيوس حديثه قائلًا: "لا يوجد سبب لقتله. والآن، لا أعلم إلى ما يرمي إليه صديقك البلجيكي، ولكن من الأفضل أن توضح له بشكل قاطع أنه يجب أن يرسل خطابًا إلى رولي ماكرودن على الفور، يعبر فيه عن بالغ اعتذاره". كان من الواضح أن بيوس قد نسي أنه أيضًا صديق بوارو.

بالطبع كانت هناك الكثير من الأسباب التي قد تدفع المرء إلى قتل رجل تخطى التسعين من عمره: على سبيل المثال إن كان قد هدد بفضح أسراره المخزية على الملأ في اليوم التالي، كما أن بيوس - بيوس الحقيقي وليس *شبيهه* غير المتزن هذا- كان يدرك مثلي تمامًا أن بعض جرائم القتل يُعتقد في البداية أنها حوادث عرضية. وأن نشأتك كابن رجل اشتهر بسعيه الدءوب إلى إعدام المجرمين، ربما تسببت في التأثير في حالتك النفسية؛ لدرجة أنك قد تقرر أن ترتكب جريمة قتل.

أعلم أنه لا فائدة من قول كل هذا لرئيس الشرطة اليوم، ولكنه عندما يكون في مزاج مختلف، سيفكر في وجهات النظر الصحيحة تلك نفسها. وقررت أن أخاطر مخاطرة صغيرة بأن أعرض تحديًا بسيطًا، فقلت له: "ألم تقل إن بوارو أرسل هذا الخطاب ليتهم ابن رولاند روب، وليس رولاند روب نفسه؟".

التفت بيوس نحوي في حدة، وقال غاضبًا: "حسنًا، وماذا إن فعل؟ ما الفارق بين الحالتين؟".

فسألته: "كم يبلغ عمر جون ماكرودن؟".

فسألني بيوس في دهشة، وقال: "كم عمره؟ ما الذي تتحدث عنه بحق السماء؟ هل تُشكل السن فارقًا؟".

واصلت حديثي في هدوء: "هل هو رجل بالغ أم صبي صغير؟".

فصاح بي بيوس، وقال: "هل أصابك الجنون يا كاتشبول؟ جون ماكرودن رجل بالغ".

فاستطردت قائلًا: "ألـن يكـون من المنطقـي أن أجعـل بوارو يعتـذر *لجون* ماكرودن، وليس لوالـده؟ بفرض أنه مخطئ، وأن جون ماكرودن بريء. أعني، إن لم يكن جون صبيًّا قاصرًا.. ".

قال بيوس: "لقد كان عامل منجم، ولكنه لم يعد كذلك. لقد كان يعمل في أحد المناجم في مكان ما من شمال شرقي البلاد".

قلـت: "فهمت"، وقـد أدركت أن قدرة رئيسـي على فهم ما أريد توصـيله إليه ستعود إن أوجزت حديثي قدر الإمكان.

ثم قال بيوس: "ولكن، هذه يا كاتشـبول، نقطة فرعية، إن رولي المسـكين هو من يجب علينا أن نقلق بشـأنه. إن جون يلومه على كل هذه الفوضـى. ويجب على بوارو أن يرسل إليه خطابًا على الفور، ويعتذر عن كل ما بدر منه. إنه اتهام مريع؛ محض افتراء! أرجو أن تعمل على تحقيق ما طلبته منك يا كاتشبول".

فقلت: "سأبذل قصارى جهدي يا سيدي".

فقال لي: "جيد".

ثم سـألت بيوس: "هل يمكنك أن تخبرني بالمزيد من التفاصـيل عن القضـية يا سـيدي؟ لا أعتقد أن رولاند روب قد ذكر لك *الأسـباب* التي دفعت بوارو إلى أن يعتقد هذه الفكرة عن.. ".

فقاطعني بيوس، وصـاح قائلًا: "كيف *يمكنني* أن أعرف السـبب بحق السـماء يا كاتشـبول؟ لا بد أن الرجل قد فقد عقله؛ هذا هو التفسير الوحيد الذي يمكنني التفكير فيه. يمكنك أن تقرأ الخطاب بنفسك إن أردت".

فسألته: "هل هو معك؟".

فأجابني: "لقد مزقه جون إربًا، وأرسله إلى رولي مع رسالة تتهمه بتدبير هذه المؤامـرة، ثم لصـق رولـي القطع معًا وأرسـلها إليَّ. لا أعلم لمـاذا يظن جون أن رولي هو مدبر كل هذا. إن رولي رجل مسـتقيم، ودائمًا ما كان كذلك. ويجب على ابنه من بين كل البشـر أن يدرك هذا، وإن كان لدى رولي شـيء ليقوله لجون، كان سيقوله له بنفسه".

فقلت: "أريد رؤية الخطاب إن سمحت لي يا سيدي".

سار بيوس نحو مكتبه، وفتح أحد أدراجه، وقطب جبينه، بينما كان يُخرج الخطاب المسيء، ثم أعطاني إياه، وهو يقول تحسبًا لكوني لست واثقًا بصحة رأيه عن الأمر: "إنه محض هراء! هراء كيدي!".

كدت أقول: "ولكن بوارو لم يكن شخصًا مؤذيًا قط"، ولكنني عدلت عن ذلك في الوقت المناسب.

ثم قرأت الخطاب، وكان موجزًا: مكونًا من فقرة واحدة فقط، ولكنها طبقًا للرسالة التي يريد إيصالها، كان يمكن أن يقتصر الخطاب على النصف فقط. وورد في الخطاب، وعلى نحو مشوش وغير منمق، اتهام لجون ماكرودن بقتل بارناباس باندي، وادعى أن هناك دليلًا يثبت هذا الاتهام. وإن لم يقر ماكرودن على الفور بجرمه، فسيتم تقديم هذا الدليل إلى الشرطة.

ثم حدقت إلى التوقيع الذي ذيّل الخطاب، قد كُتب بخط مائل اسم "*هيركيول بوارو*".

كان سيفيدني كثيرًا لو أنني تذكرت توقيع صديقي، ولكنني لم أتمكن من تذكره، على الرغم من أنني رأيته مرة أو مرتين في السابق. ربما من أرسل هذا الخطاب، أيًّا كان، قد تمكن من تقليد خط يد بوارو بدقة، ولكن ما لم يتمكن من فعله هو أن عباراته تبدو مثل الرجل الذي يحاول انتحال شخصيته، والذي لم يكن ليكتب مثل ذلك الخطاب الذي كتبه المحتال.

فإن كان بوارو يعتقد أن جون ماكرودن قد قتل بارناباس باندي، ونجح في أن يجعل جريمته تبدو كأنها حادث عرضي، كان سيذهب إلى حيث يقطن ماكرودن ومعه رجال الشرطة؛ فهو لم يكن ليرسل مثل هذا الخطاب، ويمنح ماكرودن الفرصة ليفر بفعلته، أو ينهي حياته قبل أن يواجهه هيركيول بوارو، وينظر في عينيه، ويشرح له سلسلة الأخطاء التي ارتكبها، وأدت إلى كشف سره. وذلك الأسلوب البغيض الذي يبعث على الشك.. لا، مستحيل. لا يوجد لديَّ أدنى شك.

لم يتوافر لي ما يكفي من وقت لأفكر في تأثير وجهة نظري هذه في رئيس الشرطة، ولكنني شعرت برغبة عارمة في إخباره بها على الفور: "سيدي، إن

الموقف لا يبدو مثلما اعتقدت أنا .. أو أنت .. ما أريد قوله هو أنني لست واثقًا بأن تقديم بوارو أي اعتذار .." . لم أكن ناجحًا في أن أوصل ما أود قوله بشكل جيد.

فسألني بيوس: "ما الذي تحاول قوله يا كاتشبول؟" .

فقلت: "هذا الخطاب زائف يا سيدي. لا أعلم مَنْ كتبه، ولكنني أعلم على وجه اليقين أنه ليس هيركيول بوارو" .

الفصل ٦

رولاند روب "الحبل"



كانت تعليمات رئيس الشرطة واضحة: كان عليَّ أن أعثر على بوارو فورًا، وأطلب منه الذهاب معي إلى مقر شركة رولاند روب للمحاماة، شركة دونالدسون وماكرودن. وبمجرد أن نصل إلى هناك، سيكون علينا أن نفسر أن الخطاب الذي وصل إلى جون ماكرودن لم يرسله بوارو، وأن نقدم بالغ اعتذارنا عن الأذى الذي لم يتسبب به أي منا.

وبسبب الأيام الكثيرة التي أضعتها في جريت يارموث، كان لديَّ الكثير من العمل المتراكم، ولم أكن سعيدًا على الإطلاق بتولي هذه المهمة الموكلة إليَّ. ألم تكن مكالمة هاتفية من بيوس إلى رولاند روب كافية؟ ففي النهاية، الاثنان صديقان مقربان، ولكن لا، فقد أصر رئيس الشرطة على أن ماكرودن الأب رجل حذر للغاية، وأنه سيطلب تأكيدًا من بوارو نفسه أنه لم يرسل بذلك الخطاب المسيء. وقد طلب مني بيوس أن أحضر اللقاء حتى أخبره بما إذا كان الأمر قد مرَّ بسلام.

خاطبت نفسي، بينما كنت أنطلق نحو منزل وايت هافن: "يجب أن يتم حل الأمر في غضون ساعة أو ساعتين"، ولكن لم يكن بوارو في المنزل، وأخبرني خادمه بأنه على الأرجح في طريقه إلى سكوتلانديارد. لقد كان متعجلًا للوصول إليَّ، مثلما كنت أريد الوصول إليه.

عدت أدراجي إلى سكوتلانديارد، ووجدت بوارو قد وصل إلى هناك بالفعل، وسأل عني، بل انتظر كذلك فترة قصيرة، ثم انصرف، كما لم يكن رئيس الشرطة بيوس موجودًا أيضًا؛ لذا لم أتمكن من سؤاله عما يجب عليَّ فعله بعد ذلك، ثم ذهبت إلى مقهى بليزانتس، ولكن لم يكن بوارو هناك أيضًا. وفي نهاية المطاف، قررت غاضبًا أن أذهب إلى مقر شركة رولاند ماكرودن وحدي؛ فقد فكرت في أنه سيكون من الأفضل أن يعرف رولاند ماكرودن في أسرع وقت ممكن أن ابنه لم يُتهم بالقتل من قبل هيركيول بوارو، حيث إن تأكيد أحد محققي سكوتلانديارد سيكون كافيًا ولو لرولاند روب نفسه.

كانت شركة دونالدسون وماكرودن للمحاماة تحتل الطابقين العلويين من بناية عالية، ذات فناء طويل، يكسوه الجص بالكامل في شارع هنرييتا، بجوار فندق كوفنت جاردن. وهناك استقبلتني امرأة شابة مبتسمة ذات وجه وردي اللون، وشعر بني داكن قصير بتصفيفة غريبة لافتة. كانت ترتدي سترة بيضاء، وتنورة منقوشة بمربعات ذكّرتني بملاءات النزهات الخلوية.

وعرفتني بنفسها بأنها الآنسة مايسون، قبل أن تطرح عليَّ سيلًا من الأسئلة التي منعتني من الإفصاح عن سبب حضوري بالسهولة التي كانت لتتحقق، لو أنها سألتني بكل بساطة: "كيف يمكنني مساعدتك؟"، ولكن بدلًا من هذا، ضاع الكثير من الوقت الثمين في أسئلة على غرار: "هل يمكنني معرفة اسمك يا سيدي؟"، "وهل تسمح لي بسؤالك مع من ترغب في التحدث يا سيدي؟"، "وهل يمكنني أن أسألك يا سيدي عما إذا كنت قد حددت موعدًا؟"، "وهل تسمح لي بمعرفة سبب زيارتك؟". كانت طريقتها في السؤال قد أدت إلى أنني لم أتمكن إلا من نطق كلمتين في كل مرة، وطوال تلك الفترة كانت تنظر بطريقة فضولية متوارية إلى الظرف الذي أمسكه في يدي، الذي أرسل به شخص ما إلى جون ماكرودن يتهمه فيه بالقتل.

وفي اللحظة الذي تقدمتني فيه الآنسة مايسون عبر رواق طويل ضيق تصطف على جانبيه كتب مغلفة بالجلد عن القانون، انتابتني رغبة عارمة في العدو في الاتجاه العكسي بدلًا من أن أتبعها إلى أي مكان. ولاحظت -مثلما قد يلاحظ أي

أحد - أنها لم تكن تسير بالمعنى المتعارف عليه، بل كانت تقفز قفزات نحو الأمام، على أصغر قدمين رأيتهما في حياتي.

ثم وصلنا إلى باب مدهون باللون الأسود، مكتوب عليه اسم "رولاند ماكرودن" باللون الأبيض. طرقت الآنسة مايسون الباب، وسمعت من خلفه صوتًا عميقًا، يقول: "تفضَّل". ودخلنا إلى الغرفة، واستقبلني رجل ذو شعر رمادي مجعد، وجبهة عريضة للغاية، بدت كأنها تحتل جزءًا كبيرًا من وجهه، وعينين سوداوين ضيقتين كانتا قريبتين من ذقنه، أكثر من المفترض بهما أن تكونا.

وحيث إن ماكرودن قد وافق على مقابلتي، توقعت أن نبدأ محادثتنا على الفور، ولكنني لم آخذ في الحسبان قدرة الآنسة مايسون على تعطيل أي تقدم. وتبع هذا محاولة محبطة لإقناع ماكرودن بإدخال اسمي في جدول مواعيده، فسألها ماكرودن بنفاد صبر واضح: "وما الفائدة من ذلك؟ إن المحقق كاتشبول هنا بالفعل". كان صوته رفيعًا مثل المزمار، يجعل المرء يتذكر آلة النفخ الخشبية تلك.

فأجابته: "ولكن، سيدي، تنص القواعد على أنه لا يمكن لأحد أن يقابلك دون موعد".

فرد عليها ماكرودن: "لقد دخل المحقق كاتشبول بالفعل لمقابلتي يا آنسة مايسون. ها هو أمامي، *وأنت* من أدخله!".

فقالت له: "سيدي، إن كنت ستلتقي المحقق كاتشبول، ألا ينبغي أن أحدد موعدًا، حسنًا، *الآن*، وتسجيله في..؟".

قاطعها رولاند ماكرودن في منتصف سؤالها: "لا. شكرًا لك آنسة مايسون، هذا كل شيء. تفضل بالجلوس من فضلك أيها المحقق ..."، ثم قطع حديثه، وطرف بعينيه بضع مرات، ثم قال: "ماذا هنالك يا آنسة مايسون؟".

فقالت له: "كنت سأسأل يا سيدي، ما إن كان المحقق كاتشبول قد يرغب في بعض الشاي، أو القهوة، أو كوب من الماء كذلك؟ أو إن كنت أنت يا سيدي تريد..؟".

قال ماكرودن: "لا أريد شيئًا. ماذا عنك أيها المحقق؟".

لـم أرد علـى الفـور، فقد كان كوب الشـاي هو مـا أحتاج إليـه بالفعل في تلك اللحظة، ولكن كان هذا يعني عودة الآنسة مايسون.

فقالـت لـي: "لماذا لا تفكر في الأمر بضـع لحظـات أيها المحقق كاتشـبول، وسأعود إليك بعد قليل..".

قال ماكرودن في حدة: "أنا واثق بأن المحقق يمكنه أن يقرر بنفسه".

فقلت مبتسمًا: "لا أريد شيئًا، شكرًا لك".

وأخيـرًا، ولله الحمـد، انصـرفت الآنسـة مايسـون. وكنت مصـرًّا على عدم إضاعة المزيد من الوقت؛ لذا أخرجت الخطاب من الظرف، ووضعته على مكتب ماكرودن، وأخبرته بأن هذا الخطاب مستحيل أن يكون من طرف هيركيول بوارو. وســألني ماكرودن عن كيف أمكنني التأكد من هذا، وشرحت له أن أسلوب الكتابة والرسالة نفسها لم يدعا لديَّ مجالاً للشك.

فسألني ماكرودن: "حسنًا، إن لم يكن بوارو هو مَنْ أرسل الخطاب، فمن أرسله إذن؟".

فأجبته: "يؤسفني أنني لا أعرف".

ثم سألني ماكرودن: "هل يعرف بوارو؟".

فقلت: "لم تتوافر لديّ بعدُ فرصة التحدث إليه".

ثم قال ماكرودن: "ولماذا قد يتظاهر أحدهم بأنه هيركيول بوارو؟".

فأجبته: "لا أعرف".

"إذن، فإن معلوماتك التي جئت لتنقلها إليَّ - معذرةً فيما سأقول - خاطئة".

أقررت قائلًا: "لا أعتقد أنني فهمت ما تعني".

فقال ماكرودن: "لقد قلت إنك هنا من أجل توضـيح أمر ما، وأسلوبك ينم عن أنك تعتقد الآن أنك قد أوضحته: وهو أن هيركيول بوارو لم يتهم ابني بالقتل، لهذا لم يعد هناك ما أقلق بشأنه، أليس هذا هو ما تفكر فيه؟".

حاولت التفكير في الإجابة الصـحيحة، وقلت: "حسـنًا .. أرى أن ما حدث أمر مزعج للغاية، ولكن إن كان الاتهام مجرد مزحة سـخيفة، فإنني لن أولي الأمر أي اهتمام لو كنت في مكانك".

فــردَّ علــيَّ ماكــرودن، قائــلًا: "لا أتفــق معــك، إننــي الآن أكثر قلقًــا". نهض ماكرودن، وســار نحو النافذة، ثم نظر عبرها إلى الشارع في الأسفل لحظات قبل أن يخطــو خطوتين نحو اليمين، ويقف ليحــدق إلى الجدار، ثم قال: "عندما كنت أعتقد أنه بوارو، كنت واثقًا بأننا ســنحل الموقف بشــكل لائــق. فكرت في أنه كان ســيقر بخطئه في النهاية، فلقد ســمعت أنه رجل فخور بنفســه، ولكنه أيضًا رجل شــريف، والأهم من كل هذا، أنه ينســاق خلف المنطق. إنه يتعامل مع شخصيات البشر كأنها حقيقة راسخة، كما قيل لي، هل هذا صحيح؟".

فقلت: "بالفعل، إنه يعتقد أن معرفة الشخصــيات أمر ضروري لحل الجرائم. ودون معرفــة الدافع، لن يمكنك أن تحل أية جريمة، ودون فهم الشخصــيات، لن يمكنــك التعــرف على الدافع. لقد ســمعته يقول أيضًــا إنه لا يوجد إنســان يمكنه التصرف بما يخالف طبيعته".

فأردف ماكرودن قائلًا: "ثم حينها كنت سأتمكن من إقناعه بأن جون لا يمكنه أن يرتكــب جريمة قتل أبدًا؛ حيث إن فعلته هذه ســتتعارض مــع مبادئه تمامًا، إن الفكــرة في حد ذاتها مثيرة للضــحك، ولكــن الآن علمت أن هيركيــول بوارو ليس الرجــل الــذي أحتاج إلى إقناعه، حيــث إنه ليس من أرســل الخطاب. علاوة على ذلــك، يمكنني أن أتوصــل إلى الاســتنتاج الــذي لا مفر منه بأن مرســل الخطاب الحقيقــي كاذب ومزور. ومثل هذا الشــخص لن يُردع قبل أن يتم مســعاه لتدمير ابني".

ثم عاد ماكرودن بسرعة إلى مقعده، كأن الجدار الذي كان يحدق إليه قد أمره فــي صــمت بأن يفعل ذلك، ثم قــال: "يجب أن أعرف من كتب الخطاب وأرســله. هذا أمر ضــروري، إن كنت أريد أن أضــمن أمن جون. إنني أرغب في أن أســتعين بخدمــات هيركيــول بوارو، فهــل تعتقد أنه قــد يوافق على التحقيق فــي الأمر من أجلي؟".

فقلــت: "ربمــا، ولكن .. لســنا متأكدين تمامًــا من أن من كتــب الخطاب واثق بالمزاعــم التــي أوردهــا في خطابــه. فماذا لو كانــت مجرد مزحــة ثقيلة الظل؟ ستكون هذه نهاية الأمر. إن لم تصل إلى ابنك أية خطابات أخرى ..".

فقاطعني ماكرودن، قائلًا: "ستكون ساذجًا للغاية إن اعتقدت هذا". وأمسك بالخطاب وألقاه في وجهي، فسقط الخطاب على الأرض أمامي، ثم استطرد قائلًا: "عندما يرسل شخص ما بشيء مثل هذا، فإنه يقصد إيذاءك. وإن تجاهلته، فستكون قد عرّضت نفسك للخطر".

فقلت له: "يقول رئيس الشرطة إن موت بارناباس باندي كان حادثًا عرضيًّا. لقد غرق في حوض استحمامه، بينما كان يستحم".

فرد ماكرودن: "نعم، هذا ما يُقال. فمن الناحية الرسمية، لا توجد أية شبهة جنائية تشير إلى كونه قد قُتل".

قلت: "يبدو الأمر كأنك تعتقد أنه ربما قد قُتل".

قال ماكرودن: "بمجرد أن تطرح الاحتمالية، من واجب المرء أن يفكر فيها".

فقلت: "ولكن الاحتمالية هي أن باندي لم يُقتل، وأنت تقول إن ابنك لا يمكن أن يرتكب جريمة قتل، لذا..".

قاطعني ماكرودن، قائلًا: "فهمت ما تعني، إنك تعتقد أنني أفكر من منطلق الحب الأبوي الأعمى، أليس كذلك؟ لا، إن الأمر ليس كما تظن. لا أحد يعرف جون مثلما أعرفه، إن له الكثير من الأخطاء، ولكنه ليس بقاتل".

لم يكن قد فهم ما أعنيه، فكل ما كنت أريد قوله إنه حيث لا أحد يبحث عن قاتل ليربطه بوفاة باندي، وحيث إنه يدرك يقينًا أن ابنه بريء، فلا يوجد ما يقلق ماكرودن بشأنه.

واستطرد قائلًا: "أعتقد أنك سمعت أنني أحد أكبر المناصرين لعقوبة الإعدام، وأن الناس يدعونني رولاند روب "الحبل". لا أكترث بما يطلقونه عليَّ، فلا أحد يجرؤ على أن يقوله لي وجهًا لوجه، ولكن كنت أفضل أن يطلقوا عليَّ: "رولاند الداعي إلى مجتمع عادل ومتحضر يحمي الأبرياء".. ولكن، للأسف، لا يستسيغ اللسان هذه العبارة بسهولة. أنا واثق بأنك توافقني الرأي أيها المحقق، في أنه يجب أن نكون جميعًا مسئولين عن أفعالنا. ولست في حاجة إلى أن أخبرك بخاتم كيكس لأفلاطون. لقد تناقشت وجون حوله مرات عدة، لقد فعلت كل ما أمكنني فعله حتى أغرس القيم الفاضلة فيه، ولكنني فشلت. إنه معارض شرس

لسلب الناس أرواحهم؛ لدرجة أنه يعارض إعدام أكثر الوحوش المتجردين من كل صفات الإنسانية. إنه يقول عني إنني لا أختلف كثيرًا كقاتل عن المجرم المتعطش إلى الدماء الذي ينحر رقاب الناس في الأزقة من أجل سرقة بضعة نقود منهم. يقول إن القتل في الحالتين لا يختلف؛ لذا كما ترى، فإنه لن يسمح لنفسه بأن يقتل إنسانًا آخر مطلقًا، فسيجعله هذا يبدو مدعيًا أمام نفسه، وهو الأمر الذي لن يمكنه تحمله".

أومأت برأسي موافقًا، ولكنني لم أكن مقتنعًا في الحقيقة. لقد علمتني خبرتي كمحقق شرطة أن الكثير من الناس يبجلون أنفسهم بشغف مبالغ فيه، بغض النظر عن الجرائم الشنيعة التي ارتكبوها. وكل ما يهمهم هو كيف يراهم الآخرون، وما إذا كان يمكنهم أن ينجوا بفعلتهم.

تابع ماكرودن حديثه قائلًا: "وكما تقول، لا أحد، عدا كاتب هذا الخطاب اللعين، يعتقد أن وفاة باندي جنائية. لقد كان رجلًا فاحش الثراء؛ مالك ضيعة كومبنجهام هول، والمالك السابق لعدة مناجم صخور الأردواز في ويلز. هكذا جمع ثروته".

قلت: "مناجم؟"، ثم تذكرت حواري مع رئيس الشرطة، واللبس الذي حدث عندما لم يستمع إلى عبارة قاصر، ورد عليَّ بأنه كان يعمل في المناجم، وتابعت قائلًا: "هل كان ابنك جون يعمل في منجم؟".

فأجابني: "نعم، في الشمال إلى جوار جيسبوروه".

فسألته: "ليس في ويلز إذن؟".

فردَّ قائلًا: "لم يعمل في ويلز قط، تخلَّ عن فكرتك هذه".

بذلت قصارى جهدي، لكي أبدو كأنني قد تخليت عنها بالفعل.

ثم قال ماكرودن: "كان باندي في الرابعة والتسعين من عمره عندما غرق في حوض استحمامه. وكان أرمل طوال ٦٥ عامًا، ورُزق وزوجته بابنة واحدة، تزوجت وأنجبت ابنتين قبل أن تموت وزوجها في حريق نشب في منزلهما، ثم تولى باندي رعاية حفيدتيه اليتيمتين، لينور وأنابيل، اللتين تعيشان في ضيعة كومبنجهام هول منذ ذلك الحين. ولا تزال الحفيدة الصغرى، أنابيل، عزباء، أما شقيقتها

الكبرى، لينور، فتزوجت من رجل يُدعى سيسيل لافينجتون، ورُزقا بطفلين، أيفي وتيموثي، بهذا الترتيب. وتوفي سيسيل بعدوى مرضية منذ ٤ سنوات. وهذا كل ما تمكنت من معرفته حتى الآن، ولا شيء منه مثير للاهتمام، أو يقترح أية خطوة تالية علينا الإقدام عليها؛ آمل أن يُبلي بوارو أفضل منا".

قلت: "لا يوجد شيء لاكتشافه. ربما كانت عائلة عادية هادئة، لم تُرتكب بها أية جريمة قتل من الأساس".

صحح ماكرودن ما قلت بأن قال: "هناك الكثير لاكتشافه. من يكون كاتب الخطاب، ولماذا صب تركيزه على ابني؟ وحتى نكتشف هذه الأمور، سيظل أولئك الذين طالهم الاتهام في وضع حرج".

قلت: "ولكنك لم تُتهم بشيء يا سيدي".

أشار ماكرودن إلى الأرض، حيث كان الخطاب لا يزال ملقى عند قدميَّ، قائلًا: "لم تكن لتقول هذا إن رأيت رسالة جون المرفقة بالخطاب. إنه يتهمني بحثّ بوارو على فعل ذلك، بحيث لا يكون أمام جون خيار سوى دراسة القانون لكي يبرئ ساحته".

فسألته: "لماذا يعتقد أنك قد تفعل هذا؟".

فأجابني: "إن جون يعتقد أنني أكرهه، وهذا ليس صحيحًا على الإطلاق. كنت أنتقد أسلوبه في إدارة شئونه في الماضي، ولكنني كنت أفعل هذا لأنني أريده أن ينجح، ولكن يبدو أنه يأمل العكس تمامًا لنفسه. لقد أهدر جميع الفرص التي وفرتها له. ومن بين أسباب عدم تصديقي أنه قد قتل بارناباس باندي هو أنه لا يملك في داخله المزيد من الروح العدائية، فكل حقده موجه نحوي أنا، على نحو خاطئ".

أصدرت صوتًا مهذبًا، أملت أن ينم عن التعاطف.

ثم استطرد ماكرودن: "كلما تمكنت من التحدث إلى هيركيول بوارو مبكرًا، كان أفضل. وآمل أن يتمكن من كشف خفايا هذا الأمر البغيض. لقد فقدت الأمل منذ وقت طويل في أن يغير ابني رأيه بي، ولكنني أود أن أثبت، إن تمكنت، أنه لا دخل لي بهذا الخطاب".

الفصل ٧

عدو قديم

عندما كنت في مقر شركة دونالدسون وماكرودن للمحاماة في شارع هنرييتا، كان بوارو أيضًا في مقر شركة محاماة أخرى: وهي شركة فولر وفولر وفاوت، بالقرب من طريق دروري لاين، ولكنني لم أكن على علم بهذا في ذلك الوقت.

من منطلق شعوره بالإحباط من عدم قدرته على العثور عليَّ، بدأ صديقي البلجيكي يحاول اكتشاف كل ما يمكنه اكتشافه عن بارناباس باندي، وكان أول ما اكتشفه هو أن ممثل السيد باندي في جميع الأمور القانونية كان بيتر فاوت، الشريك الرئيسي في الشركة.

كان بوارو، على العكس مني، قد حدد موعدًا للقاء، أو بالأحرى خادمه جورج هو من حدد الموعد من أجله. وصل بوارو في موعده تمامًا، واصطحبته إلى مكتب فاوت فتاة أقل تطفلًا من الآنسة مايسون التي تعمل لدى رولاند ماكرودن. وحاول بوارو إخفاء صدمته عندما رأى الغرفة التي يعمل فيها المحامي.

قال فاوت، وهو ينهض من مقعده ليصافح يد زائره: "مرحبًا، مرحبًا". كانت لديه ابتسامة جذابة، وكان شعره ناصع البياض، يلتف ويتجعد بصورة عشوائية، وتابع قائلًا: "لا بد أنك، هيركيول بوارو، هل أنطقه بالطريقة الصحيحة؟".

قال بوارو مؤكدًا: "*صحيح تمامًا*". كانت هناك قلة من الإنجليز فقط هم من يمكنهم نطق اسمه الأول واسم عائلته بالشكل الصحيح، ولكن هل من المناسب

الشعور بالإعجاب برجل يعمل في مثل هذه الظروف؟ كانت الغرفة غير عادية. كانت شاسعة المساحة، فقد كانت مساحتها تبلغ ٦ أمتار × ٤ أمتار ونصف المتر، ذات سقف عالٍ. وإلى الجدار الأيمن من الغرفة، كان يوجد مكتب فاوت الضخم المصنوع من خشب الماهوجني، ومقعد جلدي أخضر اللون. وأمامهما، كان هناك مقعدان وثيران ذوا ظهرين منتصبين من الجلد البني. وقد شغلت الثلث الأيمن من الغرفة مكتبة ومصباح ومدفأة. وعلى الرف فوق المدفأة كانت هناك دعوة على العشاء من نقابة المحامين.

كانت تشغل ثلثي مساحة الغرفة المتبقيين صناديق كرتونية قبيحة الشكل، مكدس بعضها فوق بعض حتى وصلت إلى ارتفاع كبير، مكونة بنيانًا ضخمًا غير مستوٍ يسلب الأنفاس من مدى بشاعته. وكان من المستحيل السير حول الصناديق أو عبرها. وفي الواقع قد تسبب وجود هذه الصناديق في تضييق مساحة الغرفة لدرجة يراها أي إنسان عاقل لا تُحتمل. كان الكثير من الصناديق مفتوحًا، ويتدلى الكثير من الأشياء: أوراق مصفرة، وأطر صور مكسورة، وملابس قديمة قذرة. وخلف بنية الصناديق الهائلة تلك، كانت هناك نافذة عُلقت عليها قطعة من القماش الأصفر الباهت، لم تتمكن من تغطية الزجاج المعلقة عليه.

غمغم بوارو: "*هذا مريع!*".

قال فاوت بنبرة اعتذار: "أرى أنك قد رأيت الستائر. أعتقد أن الغرفة ستكون أكثر جمالاً إن غيرتها. إنها قديمة للغاية، سأجعل واحدة من العاملات في المكتب تزيلها، ولكن، كما ترى، لا يمكن لأحد الوصول إليها".

فسأله بوارو: "هل بسبب الصناديق؟".

بدا سعيدًا بالموقف، وهو يقول: "لقد توفيت والدتي منذ ٣ سنوات، وهناك الكثير من أشيائها التي أحتاج إلى ترتيبها، ويؤسفني أنني لم أتمكن من ذلك حتى الآن. لا تظن أن كل هذه الصناديق تضم أغراضًا تخص أمي، بل الكثير من هذه الأشياء تخصني.. ممتلكاتي الشخصية. تفضل بالجلوس يا سيد بوارو. كيف يمكنني مساعدتك؟".

جلس بوارو على أحد المقاعد الوثيرة الموجودة في الغرفة، وقال: "ألا تمانع العمل هنا مع كل هذه .. الممتلكات الشخصية؟".

فقال له فاوت: "أرى أنها قد استرعت الكثير من انتباهك يا سيد بوارو. أعتقد أنك من نوعية الرجال الذين يحبون أن يكون كل شيء منظمًا ومرتبًا طوال الوقت، أليس كذلك؟".

فرد عليه بوارو، وقال: "أنا كما تقول دون شك يا سيدي. أنا بطبيعتي عاشق للنظام، فمن الضروري بالنسبة إليَّ أن أكون في بيئة مرتبة إن كنت بحاجة إلى التفكير بوضوح؛ لأحقق نتائج مثمرة. أليس الأمر كذلك بالنسبة إليك؟".

ضحك فاوت قائلًا: "لن أدع بضعة صناديق تضايقني. لم أعد ألحظ وجودها بمرور الأيام. سأعمل على التخلص منها في وقت ما، ولكن حتى ذلك الوقت .. لماذا أقلق بشأنها؟".

قطب بوارو حاجبيه قليلًا، ثم تحول إلى الحديث عن الأمر الذي حضر ليناقشه. عبَّر فاوت عن أساه لوفاة صديقه القديم الأثير إلى قلبه بارناباس باندي، وبدأ يقص على بوارو الحقائق نفسها التي قصها رولاند روب "الحبل" عليَّ (بل ربما في الوقت نفسه): مناجم الأردواز في ويلز، ضيعة كومبنجهام هول، الحفيدتان، لينور وأنابيل، وابنا الحفيدة، أيفي وتيموثي. كما قص فاوت أيضًا جزءًا مفصلًا عن بارناباس باندي لم يرد فيما قصه رولاند روب: حيث ذكر له كينجزبيري المخلص، الذي خدم بارناباس زمنًا طويلًا، حيث قال: "كان كينجزبيري أقرب إلى الشقيق الأصغر لبارناباس. وكان أقرب إلى كونه أحد أفراد العائلة من كونه خادمًا، ولكنه كان مخلصًا للغاية فيما يتعلق بأداء مهماته. وبطبيعة الحال، كان بارناباس قد رتب وصية للعناية به..".

قال بوارو: "نعم، الوصية. أريد أن أعرف المزيد عنها".

فرد عليه فاوت، وقال: "حسنًا، لا أرى أي مانع من إخبارك، لم يكن بارناباس ليمانع، كما أن شئون ميراثه كانت شديدة البساطة، مثلما قد يتوقع المرء تمامًا، في واقع الأمر، ولكن .. هل يمكنني أن أسألك عن سبب اهتمامك بهذا الأمر؟".

فقال بوارو: "لقد ألمح أحدهم لي - بصـورة غير مباشـرة- بأن السيد باندي قد قُتل".

ضحك فاوت وأدار عينيه في محجريهما في استخفاف، وقال: "حسنًا فهمت. جريمة قتل، أليس كذلك؟ لا، هذا ليس صحيحًا على الإطلاق. لقد غرق بارناباس. غطَّ في النوم، بينما كان في حوض استـحمامه، وغرق تحت الماء، وللأسف .."، ثم صمت حيث إن ما حدث بعدها أمر بديهي.

فقال بوارو: "تلك هي القصة الرسمية لما حدث، ولكن هناك احتمالية أُثيرت بأنـه قد تـم إعداد جريمة القتل بحيـث تبدو حادثًا عرضـيًّا، ولكنها في الحقيقة كانت جريمة قتل متعمدة".

راح فاوت يهز رأسـه رافضًـا ما يسـمع، وقال: "هذا محض هراء! يا إلهي! إن أحدهـم يروج للشـائعات بكل ما أوتي من قوة، أليس كذلـك؟ أو ربما أحدهن. إن النسـاء عادة هن من يحببن النميمة، وإننا معشـر الرجال أكثر تعقلًا من إضاعة أوقاتنا في إثارة المشكلات".

سأله بوارو: "هل أنت واثق إذن بأن وفاة السيد باندي كانت عرضية؟".

فأجاب فاوت: "لم أكن أكثر ثقة بشيء في حياتي من هذا".

فسـأله بـوارو: "كيـف يمكنك أن تكون واثقًـا بهذه الدرجة؟ هـل كنت معه في حمامه عندما توفي؟".

بدا فاوت كأنه شعر بالمهانة، وقال باستنكار: "بالطبع لم أكن معه في الحمام! لم أكن هناك على الإطلاق! كان هذا في يوم السـابع من ديسـمبر، أليس كذلك؟ تصادف أنني كنت وزوجتي نحضر عرس ابن أخي في ذلك اليوم، في كوفنتري".

ابتسـم بـوارو بأدب، قائلًا: "كل ما كنت أريد قوله هـو أنك لم تكن في الغرفة التي توفي فيها، بل لم تكن في ضيعة كومبنجهام هول من الأساس؛ لذا فإنك لست في وضع يجعلك تُجزم بأن وفاة السيد باندي كانت عرضية. إن تسلل أحدهم إلى داخل الحمام، ودفعه تحت سـطح الماء، وأغرقه .. كيف يمكنك أن تعرف أن هذا ما حدث، أو لم يحدث، حيث إنك كنت تحضر العرس في كوفنتري؟".

قال فاوت، أخيرًا، عابسًا في استياء: "أنا أعرف هذه العائلة جيدًا، حيث إنني صديق مقرب من جميع أفرادها، وجميعهم كذلك من أصدقائي المقربين. كما أنني أعلم من كان في الضيعة عندما حدثت هذه المأساة: لينور وأنابيل وأيفي وكينجزبيري، ويمكنني أن أؤكد لك أن أيًّا منهم لا يمكنه أن يرفع إصبعًا ليؤذي بارناباس. هذه الفكرة مستبعدة تمامًا! لقد رأيت بنفسي مدى الحزن الذي كانوا عليه يا سيد بوارو".

غمغم بوارو لنفسه: "*هكذا إذن*". كانت شكوكه صحيحة، كان فاوت من نوعية الأشخاص الذين يفكرون في أمور على غرار جرائم القتل والشر، وجميع أنواع القبائح الأخرى، فقط عندما لا تؤثر فيه بصورة شخصية. فإن قرأ في إحدى الصحف أن مجنونًا قد هشم رءوس ٥ أشخاص من أسرة واحدة إربًا، لم يكن ليشك في صحة الخبر، ولكن على النقيض عندما تخبره بأن رجلًا يعتبره صديقًا ربما كان قاتلًا، فلن تتمكن حينئذٍ أبدًا من إقناعه بأن هذا الاحتمال قد يكون احتمالًا قائمًا.

قال بوارو: "أخبرني من فضلك بوصية السيد باندي".

قال فاوت: "كما أخبرتك من قبل، لقد ترك لكينجزبيري مبلغًا جيدًا من المال: كافيًا ليعيش في دعة وراحة لما تبقى من حياته. كما ترك المنزل والضيعة وديعة لأيفي وتيموثي، بشرط أن تواصل كل من لينور وأنابيل العيش فيها لما تبقى من حياتهما. أما بقية الأموال والأصول - وهي كثيرة بالمناسبة - فتذهب إلى لينور وأنابيل. وأصبحت كل منهما الآن، امرأة فاحشة الثراء".

قال بوارو: "قد يكون الإرث إذن دافعًا إلى القتل".

فتنهد فاوت في نفاد صبر، وقال: "سيد بوارو، أرجو أن تعي ما أقول. ليست هناك أية ملابسات ..".

فقال بوارو: "نعم، نعم، لقد استوعبت ما تقول. إن أغلب الناس قد يفترضون أن رجلًا في الرابعة والتسعين من عمره قد يموت قريبًا، ولكن إن كان هناك من يحتاج إلى المال على الفور .. وإن كان الانتظار سنة أخرى قد يتسبب في عواقب وخيمة لهذا الشخص ..".

قـال فـاوت، وقد بدا الذعر جليًّا في عينيه، وصـوته: "أقول لـك إنك تفكر في الاتجاه الخاطئ أيها الرجل، إنها عائلة رائعة".

ذكّره بوارو برفق قائلًا: "أنت الصديق المقرب لها يا سيدي".

فقال فاوت: "نعم! بالفعل! هل تعتقد أنني كنت سأواصل صداقتي بهذه العائلة إن كان من بين أفرادها قاتل؟ إن بارناباس لم يُقتل. ويمكنني إثبات هذا. إنه .."، ثم صمت فاوت فجأة، واحمرت وجنتاه.

قال بوارو: "أيًّا ما يمكنك أن تخبرني به، سيكون مفيدًا للغاية".

بـدا الوجوم على وجه فاوت. فبعدما قال أمرًا لم يكن من المفترض أن يقوله، لم تعد فطنته تسعفه الآن للعثور على طريقة ذكية للمراوغة.

تنهـد فـاوت، وقـال: "حسـنًا، أعتقـد أنـه لا مانع مـن أن أخبرك. بـدا لي أن بارناباس كان يشـعر بأنه سـيموت قريبًا. لقد رأيته قبل فترة قصيرة من وفاته .. وحسنًا، بدا كأنه كان يعلم أن ساعته قد اقتربت".

فسأله بوارو: "ما الذي ترك لديك هذا الانطباع؟".

فأجابه فاوت: "المرة الأخيرة التي رأيته فيها، وجدته كأنه رجل قد انزاح عن كاهليه عبء كبير. كان يبدو كأنه قد عثر على السلام الداخلي أخيرًا، كان يبتسم ابتسامة غامضة، وصرَّح بطريقة غير مباشرة بحاجته إلى تسوية الأمور *الآن* قبل فوات الأوان. شعرت حينها بأنه يشعر باقتراب أجله، وتبين أنه محق للأسف".

وافقه بوارو قائلًا: "يا للخسـارة، ولكن من الأفضـل أن يصل المرء إلى نهايته الحتمية، وقد نال السـلام الداخلي، أليس كذلك؟ ما الأمور التي كان يريد السيد باندي تسويتها؟".

فأجـاب فـاوت: "كان هناك رجل يرى أنـه .. *عدوه*، إن لم تكـن الكلمة مبالغًا فيها؛ يُدعى الرجل فينسـنت لوب. خلال لقائنـا الأخير، قال بارناباس إنه يود أن يرسل خطابًا إلى هذا الرجل يقترح تسوية الخلافات بينهما".

غمغـم بوارو: "رغبة ملحة مفاجئة لمسـامحة عدو قديم"، ثم اسـتطرد قائلًا بصـوت عال: "هذا أمر مثير للاهتمام. أتسـاءل إن كان هناك من لم يكن يرغب في أن يتحقق هذا السلام الداخلي .. هل أرسل بذلك الخطاب إلى السيد لوب؟".

قال فاوت: "نعم، لقد أخبرت بارناباس بأنني أعتقد أنها مبادرة رائعة، وأرسل الخطاب بالفعل في اليوم ذاته. ولا أعلم إن كان قد وصل إليه الرد. وبعد بضعة أيام كان قد .. توفي. أمر محزن للغاية، ولكنه كان قد عاش حياة حافلة بالكثير من الإنجازات الطيبة عندما توفي في سن الرابعة والتسعين! أعتقد أن الرد على خطابه ربما وصل بعد وفاته، ولكنني أعتقد أن أيًّا من أنابيل أو لينور كانت ستخبرني إن حدث هذا".

سأله بوارو: "ما كان سبب العداء بين السيد باندي والسيد لوب؟".

أجاب فاوت: "يؤسفني أنني لن أستطيع مساعدتك في هذا، فلم يخبرني بارناباس بالسبب قط".

قال بوارو: "سأكون ممتنًا لك إن أخبرتني عن العائلة. هل كانت تعيش - أو بالأحرى هل تعيش - سعيدة في ضيعة كومبنجهام هول؟".

فأجاب فاوت: "تعيش في سعادة .. سعادة غامرة. إن لينور امرأة شديدة البأس، وكل من أنابيل وأيفي يحترمانها كثيرًا، كما أن أنابيل تعشق أبناء لينور إلى جانب كلبها الأثير إلى قلبها بالطبع، ويدعى هوبسكوتش. إنه كلب ذو شخصية مميزة! ضخم البنية. ويحب القفز لأعلى ولعق الوجوه! كما أنه، لعلمك، عنيد، ولكنه ودود للغاية. وبالنسبة إلى تيموثي الصغير، فسيمكن لهذا الفتى تحقيق الكثير. إن لديه عقلاً ألمعيًّا، وعزيمة وإصرارًا كبيرين. وأتوقع أن أراه رئيس وزراء البلاد ذات يوم. كان بارناباس دائمًا ما يقول: "يمكن لهذا الفتى أن يكون أي شيء يريده. أي شيء أيًّا كان" .. كان بارناباس مخلصًا لهم جميعًا، وكانوا هم مخلصين له".

قال بوارو: "في الواقع أنت تصف عائلة مثالية. ولكن، لا توجد عائلة دون مشكلات، لا بد من وجود شيء غير مثالي بها".

فقال فاوت: "حسنًا .. لا يمكنني قول .. أعني، من الجلي أنه لا توجد حياة دون منغصات، ولكن في أغلب الأحيان .. كما قلت من قبل يا سيد بوارو: النساء هن من يحببن النميمة السفيهة. كان بارناباس يحب عائلته - وكذلك يحب كينجزبيري- وكانوا يبادلونه هذا الحب. هذا كل ما يمكنني قوله. ولا شك في

أن الوفاة كانت نتيجة حادث عرضـــي، ولا أرى داعيًا إلى إقحام أنفسنا في الحياة الخاصة لرجل طيب وعائلته، بحثًا عن جوانب كريهة منها".

بعدما أدرك بوارو أن فاوت قرر ألا يفصـــح عن المزيد، شـكره على مساعدته، وانصرف.

قال لنفسه دون أن يخاطب أحدًا معينًا، بينما كان يقف على الرصيف في شارع دروري لاين: "ولكن، لا يزال هناك المزيد للكشف عنه. لا شك في وجود المزيد، وسأكتشفه. لن تفوت أي من الجوانب الكريهة على هيركيول بوارو".

الفصل ٨

بوارو يصدر بعض التعليمات

وجدت بوارو ينتظرني في مكتبي، عندما عدت إلى سكوتلانديارد. كان يبدو شاردًا، ويغمغم دون صوت لنفسه، فيما كنت أدخل إلى الغرفة. كان متأنقًا كعهدي به، وكان شاربه المميز يبدو مهذَّبًا بعناية تامة.

فصحت قائلًا: "بوارو، أخيرًا".

جفل بوارو، وقد عاد إلى أرض الواقع من تأملاته، ونهض واقفًا، وقال: "صديقي كاتشبول! أين كنت؟ هناك أمر أود التحدث معك بشأنه، وهو يؤرقني كثيرًا".

فقلت: "دعني أخمن؛ الأمر يتعلق بخطاب، موقع باسمك، ولكنك لم تكتبه أو ترسل به، يتهم جون ماكرودن بقتل بارناباس باندي".

بدت الحيرة على وجه بوارو، وقال: "عزيزي .. لقد علمت الأمر بطريقة ما. أنا واثق بأنك ستخبرني كيف عرفت، ولكنك قلت خطابًا واحدًا، لا خطابات! هل يعني هذا أنك لا تدرك وجود الخطابات الأخرى؟".

فسألت في دهشة: "خطابات أخرى؟".

فأجابني بوارو: "نعم يا صديقي؛ أحدها إلى السيدة سيلفيا رول، والآخر إلى الآنسة أنابيل تريدواي، والأخير إلى السيد هيوجو دوكيريل".

أنابيل؟ أنا أثق بأنني سمعت هذا الاسم مؤخرًا، ولكنني لم أتمكن من تذكر أين سمعته، ثم تذكرت: لقد أخبرني رولاند ماكرودن بأن إحدى حفيدتيّ باندي تُدعى أنابيل.

قال بوارو بعدما سألته عن ذلك: "هذا صحيح. إن الآنسة تريدواي هي فعلًا حفيدة السيد باندي".

ثم سألته: "مَنْ يكون الآخران إذن؟ أخبرني باسميهما مرة أخرى".

فأخبرني بوارو، وقال: "سيلفيا رول وهيوجو دوكيريل. وهما اثنان، وأنابيل تريدواي الثالثة، وجون ماكرودن الرابع، وصلت إليهم خطابات موقعة باسمي، تتهمهم بقتل بارناباس باندي. أغلب هؤلاء الأشخاص حضروا إلى منزلي ليوبخوني على إرسال خطاب لم أرسله، ولم يستمعوا إليَّ عندما حاولت أن أشرح لهم أنني لم أرسل هذه الخطابات! لقد كان الأمر عصيبًا ومحبطًا يا صديقي. ولم يقدم إليَّ أي منهم الخطاب الذي تسلمه".

فقلت له: "يمكنني مساعدتك في هذا الأمر".

اتسعت عيناه، وقال: "هل لديك أحد هذه الخطابات؟ إنه معك! لا بد أن معك الخطاب الذي تسلمه جون ماكرودن، حيث إنك ذكرت اسمه بالفعل. من الرائع أن أكون في مكتبك يا كاتشبول. فلا توجد كومات عالية من الصناديق القبيحة!".

فسألته باستغراب: "صناديق؟ ولماذا قد توجد صناديق هنا؟".

فقال بوارو: "يجب ألا تكون هناك صناديق يا صديقي، ولكن، أخبرني، كيف تسنى لك الحصول على الخطاب الذي وصل إلى جون ماكرودن؟ لقد أخبرني بأنه مزقه إربًا، وأرسل بتلك القطع إلى والده".

حكيت له عن برقية رئيس الشرطة، وعن لقائي برولاند روب، وحاولت ألا أنسى أيًّا من الجوانب المهمة مما حدث. وكان يومئ برأسه بحماس، بينما كنت أتحدث.

بعدما انتهيت من قص ما حدث قال بوارو: "يا لها من مصادفة. فدون أن ندرك، تصرف كل منا بصورة فعالة، وكيف يمكنني أن أصيغ الأمر؟ وبتنسيق كامل فيما بيننا! بينما كنت أنت تتحدث مع رولاند ماكرودن، كنت أنا أتحدث مع محامي بارناباس باندي"، ثم أخبرني بما اكتشفه، وما لم يتمكن من اكتشافه،

قائلًا: "هناك أمر آخر، وربما الكثير من الأمور الأخرى التي لم يرغب بيتر فاوت فـي إخباري بها عن عائلة بارناباس باندي. ومن منطلق ثقته التامة بأن باندي لم يُقتل، لم يشعر بأي التزام يجبره على الإفصاح عما يعرفه، ولكن لديَّ فكرة يمكن لرولاند روب أن يساعدنا على تنفيذها، إن وافق. يجب أن أتحدث إليه في أقرب فرصة ممكنة، ولكن، أولًا، أرني الخطاب الذي وصل إلى جون ماكرودن".

فأعطيته الخطاب، ولمعت عينا بوارو من الغضب، بينما كان يقرؤه.

ثـم قال لي: "ليس من المنطقي أن يكتب هيركيول بوارو مثل هذا الخطاب يا كاتشبول ويرسل به. إن صياغته ركيكة، وأسلوبه رديء! إنني أشعر بالإهانة عندما أفكر في أن أحدًا قد يصدق أنني من كتب هذا الخطاب".

حاولت التسرية عنه، قائلًا: "لا أحد ممن وصلت إليهم الخطابات يعرفك. وإن كانوا يعرفونك، لكانوا أدركوا، مثلما فعلت أنا فور أن قرأته، أنك لم تكتبه".

فقال بوارو: "هناك الكثير من الأمور التي يجب وضعها في الاعتبار؛ سأعد قائمة بها. يجب أن نبدأ العمل على الفور يا كاتشبول".

"يؤسفني أنه يجب عليَّ العودة *أنا* إلى عملي يا بوارو، فبأية حال من الأحوال، اذهب إلى التحدث مع رولاند روب - إنه يتوق إلى التحدث إليك - ولكنني أخشى أنه يجدر بك أن تخرجني من خططك، إن كنت تنوي الإقدام على أية إجراءات أخرى تخص بارناباس باندي".

فقال بوارو: "كيف يمكنني ألا أتخذ إجراءات أخرى يا صديقي؟ لماذا تعتقد أنه تم إرسال تلك الخطابات الأربعة؟ هناك من يريد أن يغرس في ذهني فكرة أن بارناباس باندي قد قُتل. ألا يعلم الجميع أنني فضولي؟ والآن، هناك أمر أريد منك أن تفعله من أجلي".

فقلت: "بوارو..".

قاطعني قائلًا: "نعم، نعم. أعلم أنك تريد أن تنهي أعمالك. *أعي ذلك جيدًا*. وسأتركك لتفعل هذا بمجرد أن تنتهي من مساعدتي. إنها مجرد مهمة بسيطة، وسيمكنك أن تتمها بسهولة أكبر كثيرًا مما لو حاولت إتمامها أنا. اكتشف أين كان كل واحد من الأشخاص الأربعة يوم وفاة بارناباس باندي: سيلفيا رول، وهيوجو

دوكيريل، وأنابيل تريدواي، وجون ماكرودن. أخبرني المحامي فاوت بأن الآنسة تريدواي كانت في المنزل عندما توفي جدها، في ضيعة كومبنجهام هول. اكتشف إن كانت ستؤكد على هذا الأمر. والآن، من الضروري للغاية أن تسأل كلًّا منهم *بالطريقة نفسها تمامًا*: الأسئلة ذاتها وبالترتيب نفسه. هل هذا واضح؟ لقد أدركت أن هذه هي الطريقة الفعالة للتفرقة بين شخصيات البشر، كما أنني أريد معرفة من يكون يوستيس الذي يسبب كل هذا الهوس للسيدة رول. وإن تمكنت من.. ".

لوَّحت له بيدي لكي يتوقف، كما لو كنت عامل إشارة يواجه قطارًا خارجًا على السيطرة ويندفع نحوه.

وقلت له: "بوارو، من فضلك! من يكون يوستيس؟ لا - لا تجب عن هذا السؤال. لديَّ عمل لأؤديه. لقد تم تسجيل وفاة بارناباس باندي رسميًّا بناءً على حادث عرضي، ويؤسفني أن هذا يعني أنه لا يمكنني أن أذهب إلى الناس، وأن أطلب منهم أن يذكروا لي حجة غيابهم وقت وقوع الجريمة".

وافقني بوارو قائلًا: "ليس بطريقة مباشرة بالطبع"، ثم نهض واقفًا، وبدأ يعدل من تجعدات وهمية على ملابسه، واستطرد قائلًا: "أنا واثق بأنك ستتوصل إلى طريقة إبداعية لحل المشكلة. عمت صباحًا يا *صديقي*. تعال للقائي عندما تحصل على المعلومات التي طلبتها منك. ونعم -نعم- *حينها* سيمكنك أن تعود إلى تأدية عملك الذي كلفتك به شرطة سكوتلانديارد".

الفصل ٩

أربع حجج للغياب

في وقت لاحق من الأمسية نفسها، وصلت إلى جون ماكرودن مكالمة هاتفية في المنزل الذي يقطن به، وأجابت صاحبة المنزل على الهاتف.

قالت صاحبة المنزل: "أنت تريدين جون ماكرودن، أليس كذلك؟ ليس جون ويبر؟ ماكرودن، نعم؟ حسنًا، سأحضره. ربما في غرفته في الطابق العلوي. أنت بحاجة إلى التحدث معه، أليس كذلك؟ حسنًا سأحضره. انتظري قليلًا وسأحضره".

انتظرت المتصلة نحو ٥ دقائق، ظلت خلالها تتخيل صاحبة المنزل امرأةً عاجزةً لا يمكنها العثور على رجل يعيش معها في المنزل نفسه.

وأخيرًا، سمعت صوت رجل عبر الهاتف، يقول: "معك ماكرودن. مَن المتحدث؟".

قالت المتصلة: "أنا أتحدث نيابة عن المحقق إدوارد كاتشبول من شرطة سكوتلانديارد".

ساد الصمت برهة، ثم قال ماكرودن: "حقًّا؟". كان يبدو من نبرة صوته كأنه كان من الممكن أن يستمتع بفكرة اتصال أحد من طرف رجال الشرطة؛ لو لم يكن متعبًا بهذه الدرجة.

فردت المتصلة: "نعم، نعم، حقًّا".

سأل ماكرودن ساخرًا: "ومَنْ تكونين إذن؟ زوجته؟".

لم تكن المتصلة تمانع في إخبار ماكرودن بمن تكون، ولكنها كانت قد تلقت تعليمات صارمة بعدم إخباره بذلك. وكان مكتوبًا أمامها، على بطاقات صغيرة، الكلمات نفسها التي من المفترض أن تقولها، ويجب أن تلتزم بها.

فقالت له: "لديَّ بضعة أسئلة أريد أن أطرحها عليك، أسئلة يرغب المحقق كاتشبول في معرفة إجابتها. إن كنت ..".

فسألها ماكرودن: "لماذا إذن لم يسألني بنفسه؟ ما اسمك؟ أخبريني على الفور، وإلا سأنهي هذه المكالمة".

فردت قائلة: "إن منحتني إجابات شافية، فإن المحقق كاتشبول يأمل ألا تكون هناك حاجة إلى أن يستجوبك في قسم الشرطة. كل ما أريد معرفته هو: أين كنت يوم توفي بارناباس باندي؟".

ضحك ماكرودن، وقال: "من فضلك أخبري والدي بأنني لن أصبر على حملة المضايقة المستمرة تلك ثانيةً واحدةً أخرى. وإن لم يتوقف عن ملاحقته الملتوية لي، فإنني أنصحه بشدة بأن يتخذ الاحتياطات اللازمة ليضمن أمنه وسلامته. أخبريه بأنني لا أملك أية فكرة عن وقت موت بارناباس باندي؛ لأنني لا أعرف مَنْ يكون بارناباس باندي. لا أعلم إن كان قد عاش أو مات، أو التحق بالعمل في السيرك كلاعب ترابيز، ولا أعلم متى فعل هذه الأمور، إن كان قد فعلها من الأساس".

كان قد تم تحذير المتصلة مسبقًا بأن جون ماكرودن قد لا يكون متجاوبًا ومتعاونًا، فظلت تستمع إليه في صبر، بينما كان يواصل التحدث إليها ببرود واشمئزاز.

ثم استطرد ماكرودن، قائلًا: "كما يمكنك أن تخبريه بأنني لست غبيًّا كما يعتقد، وأنني على يقين تام بأنه إن كان هناك محقق يعمل في شرطة سكوتلانديارد اسمه "إدوارد كاتشبول" -وهو الأمر الذي أشك فيه تمامًا- فإنه لا يعلم شيئًا عن هذه المكالمة الهاتفية، ومن ثم ليس مصرحًا لك بأن تجريها من الأساس. ولهذا السبب ترفضين أن تخبريني باسمك".

فقالت له المتصلة: "توفي بارناباس باندي في اليوم السابع من شهر ديسمبر من العام الماضي".

فردَّ ماكرودن قائلًا: "حقًّا؟ أنا سعيد بسماع هذا".

ثم سألته المتصلة: "أين كنت في ذلك اليوم يا سيدي؟ يعتقد المحقق كاتشبول أن السيد باندي توفي في منزله في الريف، ضيعة كومبنجهام هول..".

فقاطعها ماكرودن قائلًا: "لم أسمع بها مطلقًا".

ثم سألته المتصلة: ".. لذا، إن أمكنك أن تخبرني بمكان وجودك في ذلك اليوم، وإن كان هناك مَنْ يمكنه أن يشهد بصدقك، فلن يكون المحقق كاتشبول مضطرًّا إلى أن ..".

فقاطعها ماكرودن ثانية، وقال: "مكان وجودي؟ بالطبع سأخبرك! قبل ثوانٍ من أن يلفظ بارناباس باندي أنفاسه الأخيرة، كنت واقفًا أمام جسده المستلقي أمامي، ممسكًا بسكين مطبخ في يدي، ومستعدًّا لأن أغمد السكين في قلبه. أليس هذا ما يريد أبي أن يسمعني أقوله؟".

صدر عبر سماعة الهاتف صوت دوي قوي، ثم انقطع الخط.

على ظهر واحدة من بطاقات الأسئلة الموضوعة أمامها، كتبت المتصلة ملاحظاتها التي رأت أنها الأكثر أهمية: وهي أن جون ماكرودن يعتقد أن والده هو مدبر هذه المكالمة الهاتفية، وأنه يشك في وجود إدوارد كاتشبول من الأساس - والملاحظة الأكثر أهمية، من وجهة نظر المتصلة- هي أنه لا يعرف، أو يدعي أنه لا يعرف، تاريخ وفاة بارناباس باندي.

ثم كتبت: "لم يمنحني حجة غياب. وقال إنه كان يقف أمام باندي ممسكًا بسكين في يده قبل أن يموت باندي مباشرة، ولكنه قالها كأنه يجدر بي ألا أصدق ما يقول".

بعد أن قرأت ما كتبت مرتين، وبعد التفكير بضع دقائق، أمسكت المتصلة قلمها، وأضافت: "وربما *كان* ما قاله صحيحًا، وأن ما كان كذبًا إنما هو الطريقة التي قاله بها".

ثم رفعت المتصلة سماعة هاتفها وطلبت رقمًا آخر.

قالت المتصلة: "هل أنت السيدة رول؟ السيدة سيلفيا رول؟".

ردت قائلة: "نعم، إنها أنا؛ من المتحدث؟".

أردفت المتصلة قائلة: "مساء الخير سيدة رول؛ أنا أتصل بك نيابة عن المحقق إدوارد كاتشبول من شرطة سكوتلانديارد".

بدا الخوف على الفور في نبرة صوت سيلفيا رول، وهي تقول: "سكوتلانديارد؟ هل وقع خطب ما؟ هل الأمر يتعلق بميلدريد؟ هل ميلدريد بخير؟".

أخبرتها المتصلة: "الأمر لا يتعلق بأية ميلدريد على الإطلاق يا سيدتي".

فقالت سيلفيا: "كان من المفترض أن تكون قد وصلت إلى المنزل الآن. وكنت قد بدأت أقلق من تأخرها، ثم .. سكوتلانديارد؟ يا إلهي!".

"أنا أتصل بشأن أمر مختلف تمامًا. لا سبب يدعوك إلى أن تظني أن خطبًا ما قد حل بميلدريد".

صاحت سيلفيا رول، ما دعا المتصلة إلى أن تبعد أذنها عن سماعة الهاتف: "مهلًا. أعتقد أنها وصلت. حمدًا لله! اسمحي لي بأن ..". بعد بضع أصوات أنين ولهاث، عادت السيدة رول لتقول: "نعم، إنها ميلدريد. لقد عادت إلى المنزل آمنة. هل لديك أبناء أيها المحقق كاتشبول؟".

ردت المتصلة: "لقد قلت إنني أتصل *نيابة* عن المحقق كاتشبول، ولكنني لست المحقق كاتشبول". يا للحمقاء، ألا تعلم أنه لا يمكن لامرأة أن تصبح محققة شرطة، بغض النظر عن مدى رغبتها أو موهبتها؟ كانت المتصلة تشعر باستياء لاضطرارها إلى التفكير في هذه الحقيقة المحزنة، وفي مدى جورها. فقد كانت تؤمن في نفسها سرًّا بأنها ستكون محققة شرطة أفضل من أي شخص تعرفه.

قالت سيلفيا رول التي بدت كأنها غير منتبهة إلى ما يُقال: "نعم. نعم، حسنًا. إن كان لديك أبناء، فستدركين، مثلما أدرك تمامًا، أن المرء يقلق عليهم بغض النظر عن أعمارهم. قد يكونون في أي مكان، وكيف يمكن للمرء أن يعرف؟ وقد يكونون مع أكثر الناس انحطاطًا! *هل* لديك أبناء؟".

أجابت المتصلة: "لا".

ثم استطردت سيلفيا رول قائلة: "حسنًا، أنا واثقة بأنك سترزقين بأطفال ذات يوم. وآمل، وأدعو الله، ألا تعانين ما أعانيه الآن! إن ابنتي ميلدريد مخطوبة إلى الرجل الذي أراه الأكثر بغضًا ممن رأيت ..".

نظرت المتصلة إلى الملاحظات التي أُعطيت إياها، وخمنت على الفور أنها على وشك سماع اسم يوستيس.

وأردفت: ".. والآن، حددا موعد الزفاف! في يونيو المقبل، أو هكذا يقولان. إن يوستيس قادر على إقناع ميلدريد بالزواج به سرًّا قبل هذا التاريخ. إنه يدرك أنني سأستغل كل دقيقة منذ الآن حتى يونيو المقبل لمحاولة جعل الفتاة ترى الصواب، ولكن لا أعتقد أنها ستستمع إليَّ! من يستمع إلى والدته من الأساس؟ أعتقد أنه يستغل الفرصة ليلعب عليَّ لعبة قذرة".

"سيدة رول، أريد أن أطرح عليك سؤالًا ..".

قاطعت سيلفيا رول المتصلة، وقالت: "إنه يريد مني أن أعتقد أن أمامي ١٦ شهرًا كاملة لأقنع ميلدريد بعدم الزواج به، وبهذا لا أتعجل الأمر. إنني أعلم جيدًا كيف يعمل عقله البغيض! لن أتعجب إن وجدته وميلدريد قد تزوجا بالفعل خلال شهر من الآن، ثم يأتيان ويقولان: "مفاجأة، لقد تزوجنا". لهذا السبب أقلق كثيرًا عندما تخرج من المنزل. إن يوستيس قادر على إقناعها بفعل أي شيء، لا أعلم لماذا لا يمكن أبدًا لهذه الفتاة الخرقاء، أن تتصرف دون توجيه منه".

كانت المتصلة قد كونت بضع أفكار عن سبب هذا.

"سيدة رول، أريد أن أطرح عليك سؤالًا. إن الأمر يتعلق بوفاة بارناباس باندي. فإن منحتني إجابةً شافيةً، فلن يكون المحقق كاتشبول بحاجة إلى التحقيق معك في قسم الشرطة".

"بارناباس باندي؟ من يكون؟ آه، تذكرت! الخطاب الذي أوعز يوستيس إلى ذلك المحقق الأجنبي بأن يرسل به إليَّ - يا له من شخص كريه! فكثيرًا ما كنت أكن لهيركيول بوارو الكثير من الاحترام، ولكن من يسمح لنفسه بأن ينصاع لرغبات يوستيس، أيًّا كان، بهذه الطريقة .. أرفض أن أفكر فيه من الأساس".

قالت المتصلة بصبر: "إن منحتني إجابة شافية، فلن يكون المحقق كاتشبول بحاجة إلى التحقيق معك في قسم الشرطة. أين كنت يوم وفاة بارناباس باندي؟".

سمعت المتصلة شهقة عبر سماعة الهاتف، وسيلفيا تقول: "أين كنت؟ هل تسألينني أين كنت؟".

مكتبة
t.me/t_pdf

"نعم".

"وتقولين إن ذلك المحقق .. ماذا يُدعى؟".

"إدوارد كاتشبول".

بدا الأمر كأن سيلفيا رول تكتب الاسم: "وهل يريد المحقق إدوارد كاتشبول، من شرطة سكوتلانديارد، أن يعرف؟".

"نعم".

"لماذا؟ ألا يعلم أن يوستيس وذلك الأجنبي قد دبرا الأمر برمته؟".

"هل يمكنك أن تخبريني فحسب أين كنت في اليوم الذي ذكرته لك؟".

"أي يوم؟ اليوم الذي قُتل فيه رجل يُدعى بارناباس باندي؛ الرجل الذي لا أعرفه، ولم أكن سمعت باسمه من الأساس حتى وصلني هذا الخطاب المقيت؟ كيف يتسنى لي أن أعرف أين كنت عندما قُتل شخص ما؟ لا أعلم متى قُتل من الأساس".

دوَّنت المتصلة ٣ ملاحظات: أولًا، يبدو أن سيلفيا رول تتقبل فكرة أن باندي قد قُتل، ثانيًا؛ سيكون هذا منطقيًّا إن صدقت أن المكالمة موجهة إليها من شرطة سكوتلانديارد، ثالثًا؛ إنها أقرت بعدم معرفتها وقت وفاة باندي؛ الأمر الذي إن دل على شيء، فقد يدل على أنها لم تقتله.

قالت المتصلة: "تُوفي السيد باندي في اليوم السابع من شهر ديسمبر الماضي".

قالت السيدة رول: "انتظري لحظة، وسأذهب لألقي نظرة على دفتر يومياتي العام الماضي... بالمصادفة، سواء أكان المحقق .. يرى أم لا يرى"، ثم صمتت، وتخيلتها المتصلة وهي تنظر إلى قطعة من الورق. "سواء أكان المحقق كاتشبول يرى أم لا يرى أنه من الضروري أن يحقق معي، فإنني أرغب بشدة في

التحدث إليه. أريد أن أوضح له أنني لم أقتل أحدًا، كما أنني لست من نوعية الأشخاص الذين قد يرتكبون مثل هذه الجريمة. وبمجرد أن أشرح له وضع يوستيس، أنا واثقة بأنه سيرى هذا الأمر البغيض على حقيقته: محاولة توريطي في جريمة لم أقترفها. سيجد أن الأمر صادم، لا شك لديَّ في هذا، فأنا امرأة ذات سمعة جيدة ومكانة مرموقة! كما أنني مسرورة بأن هذا قد حدث، حيث إنني أتوقع أن تكون هذه نهاية يوستيس. إن عرقلة سير التحقيق في جريمة قتل، وإلقاء الاتهامات جزافًا، يُعدان جريمة في حد ذاته، أليس كذلك؟".

قالت المتصلة: "أعتقد هذا".

"حسنًا، سألقي نظرة على دفتر يومياتي. هل قلت السابع من ديسمبر من العام الماضي؟".

"نعم".

انتظرت المتصلة على سماعة الهاتف تستمع إلى الأصوات الصادرة من منزل سيلفيا رول. كان هناك الكثير من أصوات فتح الأبواب وإغلاقها، وصوت خطوات أقدام على الدرج. وعندما عادت السيدة رول لتتحدث، كان صوتها ينم عن الانتصار، وهي تقول:

"كنت في مدرسة تورفيل في السابع من ديسمبر، منذ العاشرةٍ صباحًا حتى وقت العشاء. إن ابني فريدي طالب هناك، وكان هذا اليوم الذي أُقيم فيه حفل السنة الجديدة. لم أغادر حتى تخطت الساعة الثامنة مساءً. علاوة على ذلك، كان هناك *المئات* من الحضور -آباء ومعلمين وطلابًا- *وجميعهم* سيؤكدون ما أخبرتك به الآن. كم أنني سعيدة بذلك!"، ثم تنهدت سيلفيا رول، وقالت: "إن خطة يوستيس ستبوء بالفشل. ألن يكون من الرائع أن يُشنق جراء أكاذيبه وادعاءاته بشأني؛ المصير نفسه الذي كان يريده لي؟".

بعد ما حدث مع جون ماكرودن وسيلفيا رول، كانت أنابيل تريدواي إيجابية للغاية عند استجوابها. لم تكن تحمل أية ضغائن ظاهرة، أو لديها أي أشخاص على شاكلة يوستيس، ولم تكن تتحدث بطريقة سيئة أو مستفيضة عن أي شخص لا

يهم المتصلة. علاوة على ذلك، كانت لديها معلومات وثيقة الصلة بالأمر لتفصح عنها.

قالت أنابيل: "كنت في منزلي في اليوم السابع من ديسمبر. كنا جميعًا في المنزل؛ جميع من يقطنون في كومبنجهام هول. كان كينجزبيري قد عاد من فوره من إجازة بضعة أيام. وأعد حوض الاستحمام كما يفعل دائمًا، وكان هو.. من اكتشف جثة جدي غارقة تحت الماء بعد بعض الوقت. كان الأمر صادمًا لنا جميعًا، ولكن لا بد أنه كان مريعًا بشكل خاص بالنسبة إلى كينجزبيري. أن تكون من يكتشف مثل هذه المأساة .. عندما وصلت أنا ولينور وأيفي إلى الحمام، أدركنا أن هناك خطبًا ما. لا أقول إننا كنا مستعدين، كيف يمكن لأحد أن يستعد لأمر مريع مثل هذا؟ ولكننا كنا قد تلقينا تحذيرًا، فالطريقة التي صاح بها كينجزبيري عندما رأى .. يا لكينجزبيري المسكين! لن يمكنني أن أنسى الطريقة التي تهدج بها صوته عندما كان ينادي علينا".

أصدرت أنابيل تريدواي صوتًا ينم عن الألم، وقالت: "كينجزبيري ليس شابًا ولا قويًا، ومنذ وفاة جدي، ازداد شيخوخة ووهنًا. لم يتقدم في العمر فعليًا بالطبع، ولكنه أصبح يبدو كأنه أكبر من عمره الحقيقي بعشر سنوات. لقد كان ملازمًا لجدي أغلب سنوات عمره".

"مَن كينجزبيري؟": لم يكن هذا السؤال في قائمة الأسئلة التي مع المتصلة، ولكنها شعرت بأنها ستكون مهملة إن لم تطرحه.

"إنه الخادم الشخصي لجدي، أو بالأحرى عليّ أن أقول *كان*. إنه رجل لطيف وعطوف، وأعرفه منذ كنت طفلة. في واقع الأمر، إنه أقرب إلى أن يكون أحد أفراد العائلة. إننا قلقون للغاية عليه، إننا لا نعلم كيف سيعيش الآن بعدما تُوفي جدي".

"هل يعيش في ضيعة كومبنجهام هول؟".

"إنه يعيش في كوخ على أرض الضيعة، ولكنه معتاد قضاء أغلب وقته معنا داخل المنزل، ولكن منذ وفاة جدي، لم نعد نراه تقريبًا. إنه يؤدي عمله، ثم يتسلل إلى الخارج، ويعود إلى كوخه".

"عدا كينجزبيري، هل يعيش أي أحد آخر في ضيعة كومبنجهام هول؟".

"لا، لدينا طاهٍ ومساعدة مطبخ، وخادمتا منزل، ولكنهم يعيشون جميعًا في المدينة".

"ومن يعيش في كومبنجهام هول؟".

"أربعتنا، وكلبي هوبسكوتش، ثم منذ وفاة جدي، أصبح يعيش في المنزل كل من شقيقتي لينور وابنة شقيقتي أيفي، وكلبي هوبسكوتش وأنا. آه، وتيموثي خلال بعض العطلات والإجازات من المدرسة، بالطبع، ولكنه عادةً ما يخرج من المنزل بصحبة أصدقائه، ويبيت عندهم".

فحصت المتصلة الملاحظات التي أمامها، وكانت قد رتبت كل شيء أمامها على الطاولة؛ لتسهل على نفسها رؤية جميع البطاقات دون أن تقلب فيها، وتحتوي على جميع المعلومات التي قد تكون مهمة عن المشتبهين الأربعة، وكذلك جميع الأسئلة التي قد تحتاج إلى طرحها على كل من المشتبهين الأربعة، إن كانت تسمية "مشتبهين" وصفًا دقيقًا لهم، ثم سألت المتصلة: "هل تيموثي ابن شقيقتك يا آنسة تريدواي؟".

"نعم، إنه ابن شقيقتي لينور، وشقيق أيفي الأصغر".

"هل كان تيموثي في كومبنجهام هول عندما توفي جدك؟".

"لا، بل كان في حفل السنة الجديدة في مدرسته".

أومأت المتصلة برأسها في استحسان، بينما كانت تدوّن هذه الملحوظة. كانت البطاقات تقول إن تيموثي لافينجتون طالب في مدرسة تورفيل. ويبدو أن سيلفيا رول قد قالت الحقيقة فيما يتعلق بإقامة الحفل المدرسي يوم السابع من ديسمبر.

ثم سألتها المتصلة: "هل كان هناك أي شخص آخر في كومبنجهام هول عندما تُوفي السيد باندي سواك، وشقيقتك لينور، وابنة شقيقتك أيفي وكينجزبيري؟".

قالت أنابيل تريدواي: "لا، لا أحد. إن الطاهي كان من المفترض وجوده بطبيعة الحال، وكذلك الخادمة، ولكننا كنا قد أعطيناهما هذا اليوم عطلة. فقد كان من المفترض بي ولينور وأيفي أن نذهب إلى حفل المدرسة، ما يعني تناول الغداء والعشاء في تورفيل، ولكننا لم نذهب في نهاية المطاف".

كانت المتصلة تحاول ألا تبدو شديدة الفضول وهي تسأل عن سبب إلغاء خطة الذهاب إلى حفل رأس السنة الجديدة.

فقالت أنابيل بسرعة: "يؤسفني أنني لا أذكر"، ولكن المتصلة لم تصدقها.

"أنت تقولين، إذن، إن الخادم كينجزبيري عثر على السيد باندي ميتًا في حوض استحمامه في الساعة الخامسة والعشرين دقيقة، ثم صاح طالبًا النجدة؟ أين كنت عندما سمعت صياحه؟".

بدت السعادة في صوتها؛ لأن هذا السؤال طُرح عليها: "هكذا أعرف أن جدي لا يمكن أن يكون قد قُتل. لقد كنت في غرفة نوم ابنة شقيقتي، أيفي، مع أيفي ولينور وهوبسكوتش، بينما كان لا يزال على قيد الحياة، وفي الوقت الذي توفي فيه. وبين هذين الوقتين، لم يغادر أي منا الغرفة، ولو ثانية واحدة".

"بين أي وقتين يا آنسة تريدواي؟".

"معذرة، يبدو أنني لم أعبر عما أعنيه جيدًا. بعد فترة قصيرة من دخولنا، أنا ولينور، إلى غرفة أيفي لنتحدث معها، سمعنا صوت جدي. كنا نعلم أنه يستحم، فقد كنت قد مررت أمام الحمام، بينما كنت في طريقي إلى غرفة أيفي، ورأيت كينجزبيري يجهز حوض الاستحمام. كنت أسمع صوت ماء جارٍ، ثم بعد قليل، عندما كنت ولينور قد قضينا في غرفة أيفي ١٠ دقائق أو نحوها، سمعنا جميعًا جدي يصيح؛ لذا من المؤكد أنه كان لا يزال على قيد الحياة".

سألت المتصلة: "يصيح؟ هل تعنين يصيح طلبًا للمساعدة؟".

"لا، لا شيء من هذا القبيل! كان يصيح بغلظة قائلًا: "ألا يمكن للمرء أن يستحم دون إزعاج؟ هل كل هذه الضوضاء ضرورية؟". لقد استخدم كلمة "ضوضاء". أخشى من أنه كان يقصدنا: أنا ولينور وأيفي. ربما علت أصواتنا كثيرًا مثلما نفعل دائمًا عندما نكون في حالة معنوية مرتفعة، ومثلما نفعل عادة عندما نتصرف بهرج، وينضم إلينا هوبي بالعواء والنباح. بالنسبة إلى كونه كلبًا، ستذهلين -من العدد الكبير للأصوات التي يصدرها، ولكنني أخشى من أن جدي كان يعتبرها جميعًا مزعجة، وكان منزعجًا منها للغاية في تلك اللحظة.

وبعدما صاح فينا، بقينا ثلاثتنا في غرفة نوم أيفي حتى سمعنا صوت كينجزبيري يصيح في جزع".

"كم من الوقت قد مرّ حتى سمعتم صياح كينجزبيري؟".

"من الصعب تذكر هذا بدقة بعد مرور هذا العدد من الأسابيع، ولكن يمكنني أن أقول إنه ربما مرت ٣٠ دقيقة".

سألت المتصلة التي بدا في تلك اللحظة أنها قد اختارت أن تتناسى أنها ليست محققة في شرطة سكوتلانديارد: "ما الذي كنتم تتحدثون عنه وأنتم في حالة معنوية مرتفعة، أنت وشقيقتك وابنة شقيقتك طوال ذلك الوقت؟".

قالت أنابيل تريدواي، ومرة أخرى جاءت إجابتها بسرعة: "لا يمكنني إخبارك بهذا، ليس بعد مرور كل هذه الفترة. لا أعتقد أنه كان أمرًا مهمًّا".

اعتقدت المتصلة أنه من المحتمل أن يكون أمرًا مهمًّا، وكتبت في ملاحظاتها عبارة "كاذبة سيئة"، ووضعت تحتها خطين من أجل زيادة التأكيد.

"الأمر المهم أن هذا يثبت أن جدي لا يمكن أن يكون قد قُتل، أليس كذلك؟ لقد غطّ في النوم، وغرق في حوض استحمامه، مثلما قد يحدث مع أي من كبار السن على شاكلته".

لم تتمكن المتصلة من منع نفسها من قول: "يمكن لكينجزبيري أن يكون قد دفعه تحت الماء. لقد توافرت له فرصة كافية لفعل هذا".

"ماذا؟".

"أين كان كينجزبيري عندما كنتن أنتن الثلاث تتحدثن في غرفة ابنة شقيقتك، وبابها مغلق؟".

"لا أعرف، ولكن .. لا يمكنك أن تفكري في .. أعني، كينجزبيري هو من عثر على جثة جدي. إنك لا تعنين أنه ..".

انتظرت المتصلة قليلًا.

قالت أنابيل تريدواي بعدما تمالكت نفسها: "من المستحيل أن تفكري في أن كينجزبيري قد قتل جدي. مستحيل تمامًا".

"كيف يتسنى لك أن تعرفي إن لم تكوني موجودة حيث كان، أو أن تعرفي ما كان يفعله عندما توفي السيد باندي؟".

"إن كينجزبيري صديق مقرب للغاية من عائلتنا، ولا يمكن أن يكون قاتلًا. مطلقًا!"، بدا الأمر كأن أنابيل تريدواي قد راحت تبكي، ثم قالت: "يجب أن أذهب الآن. لقد أهملت هوبي كثيرًا اليوم؛ كلبي المسكين! من فضلك، أخبري المحقق كاتشبول .."، ثم صمتت، وزفرت بصوت عالٍ.

سألتها المتصلة: "أخبره بماذا؟".

قالت أنابيل تريدواي: "لا شيء. كل ما في الأمر .. أتمنى لو تمكنت من جعله يعدني بألا يشك في كينجزبيري. وأتمنى لو أنني لم أجب عن أي من أسئلتك، ولكن سبق السيف العذل، أليس كذلك؟ *دائمًا* ما يسبق السيف العذل".

*

قال هيوجو دوكيريل: "السابع من ديسمبر؟ لا يمكنني أن أخبرك أين كنت في ذلك اليوم. معذرة! ربما كنت جالسًا في المنزل".

سألته المتصلة: "ألم تكن في حفل السنة الجديدة في مدرسة تورفيل؟".

"حفل السنة الجديدة؟ بالطبع -لم أكن لأفوته قط!- ولكنه كان في يوم آخر".

"حقًا؟ في أي يوم أُقيم الحفل؟".

"حسنًا، لا يمكنني تذكر التاريخ بالتحديد؛ ذاكرتي لا تسعفني في هذه الأمور، ولكن يمكنني أن أخبرك متى كان الاحتفال في الخامس والعشرين من ديسمبر، مثل كل عام"، ثم ضحك دوكيريل، وقال: "أعتقد أن الحفل أُقيم في يوم الثالث والعشرين أو نحوه. ماذا يا عزيزتي؟".

وسمعت المتصلة صوت امرأة يصدر من الخلفية: فظ ومرهق قليلًا.

قال هيوجو دوكيريل: "آها .. آه! لحظة من فضلك. لقد ذكرتني زوجتي جاين بأننا قد بدأنا عطلة السنة الجديدة قبل يوم الثالث والعشرين بوقت طويل. نعم، بالطبع، إنها محقة. أنت محقة يا عزيزتي جاين؛ لذا .. آه! إن انتظرت قليلًا فستذهب جاين لتنظر إلى روزنامة العام الماضي؛ لترى متى أقمنا

الحفل بالتحديد. ما الأمر يا عزيزتي؟ نعم، نعم، أنت محقة تمامًا. بالطبع، لم يكن الحفل في هذا التاريخ، يا لها من فكرة حمقاء".

سمعت المتصلة صوت المرأة يقول: "السابع من ديسمبر".

"لقد تيقنت الآن من أن حفل السنة الجديدة في مدرستنا قد أُقيم العام الماضي في يوم السابع من ديسمبر. والآن، متى كان التاريخ الذي ترغبين في سؤالي عنه؟ أنا مرتبك قليلا".

قالت له المتصلة: "السابع من ديسمبر. هل كنت في الحفل في ذلك اليوم يا سيد دوكيريل؟".

"بالطبع كنت حاضرًا! إنه حدث مبهج. دائمًا كذلك. إننا في تورفيل نعرف كيف.."، ثم قطع حديثه فجأة، ثم عاد ليقول: "تقول جاين إنك قد لا تهتمين بما سأقوله، وإنه يجدر بي أن ألتزم بالإجابة عن أسئلتك".

"من أية ساعة وإلى أية ساعة ظللت في الحفل؟".

"أعتقد أنني بقيت من بدايته حتى نهايته. فقد كانت هناك وليمة عشاء بعده، وعادة ما ننهي بها الحدث.. جاين، متى كان..؟ شكرًا لك عزيزتي. في نحو الثامنة مساءً، كما تقول جاين. اسمعي، ربما كان من اليسير أن تتحدثي مع جاين مباشرة".

قالت المتصلة: "يسعدني هذا". وفي خلال دقيقة واحدة، كانت قد حصلت على جميع المعلومات التي تحتاج إليها: طبقًا لجاين دوكيريل، كانت وهيوجو في حفل رأس السنة الجيدة في يوم السابع من ديسمبر منذ بدايته في الساعة الحادية عشرة صباحًا حتى انتهاء وليمة العشاء في الثامنة مساءً. نعم، كان تيموثي لافينجتون حاضرًا أيضًا، ولكن لم تحضر والدته ولا خالته ولا شقيقته، اللاتي كن قد خططن للحضور، ولكنهن ألغين خطتهن في اللحظة الأخيرة. كما كان فريدي رول حاضرًا أيضًا مع والدته سيلفيا وشقيقته ميلدريد، وخطيب شقيقته يوستيس.

شكرتها المتصلة، وكانت على وشك إنهاء المكالمة عندما قالت السيدة دوكيريل: "لحظة من فضلك. لن يمكنك إنهاء المكالمة بهذه السهولة".

"هل هناك شيء آخر يا سيدتي؟".

"نعم، هناك أمر آخر. لقد أضاع هيوجو الخطاب الذي أُرسل إليه مرتين، الخطاب الذي يتهمه بالقتل؛ الأمر الذي أرى أنه لم يفده في شيء؛ لذا يسعدني أن أقول إنني قد عثرت عليه، وسأوصله بنفسي إلى المحقق كاتشبول بمجرد أن تتوافر لي الفرصة للذهاب إلى لندن. والآن، لا أعرف إن كان بارناباس باندي قد قُتل أم لا، ولكنني مجبرة على اعتقاد أنه لم يُقتل؛ لأن اتهام ٤ أشخاص بجريمة القتل نفسها يدل على كون الأمر دعابة سخيفة، وليس اتهامًا جادًّا، خاصة عندما يزيف أحدهم توقيع "هيركيول بوارو" على الخطابات، ولكن تحسبًا لأن يكون السيد باندي قد قُتل بالفعل، وفي حال كون هذا التحقيق تحقيقًا جادًّا، وليس مزحة من أحد المخبولين، هناك أمران يجدر بي أن أخبرك بهما على الفور".

قالت المتصلة، وقد أمسكت بالقلم في يدها في استعداد لتدون الملاحظات: "تفضلي". مكتبة سر من قرأ

"إن سيلفيا رول وزوج ابنتها المستقبلي يكره أحدهما الآخر للغاية، وأرى أن ميلدريد المسكينة قد علقت بينهما، وأنها تشعر بالحيرة والجزع مما يحدث من حولها برمته. يجب أن يفعل أحد شيئًا ما لتجنب العواقب الوخيمة لذلك على العائلة كلها، كما أن فريدي المسكين تعس بما يكفي. لا أعلم ما صلة هذا بموت بارناباس باندي، ولكنك سألت عن عائلة رول، فقررت أن أخبرك بما أعرف تحسبًا لأن يكون لهذا صلة بالأمر".

"شكرًا لك".

"الأمر الآخر الذي أريد أن أخبرك به يتعلق بعائلة لافينجتون، وعائلة تيموثي، وعائلة بارناباس باندي. كنت أنا من رد على مكالمة هاتفية من أنابيل في صباح يوم الحفل، إن أنابيل هي خالة تيموثي. وقد كذبت عليَّ".

"بشأن ماذا؟".

قالت جاين دوكيريل: "لقد أخبرتني بأنها وشقيقتها وابنة شقيقتها لن يتمكنَّ من الحضور بسبب مشكلة في السيارة التي كان من المفترض أن تقلهن. ولا أعتقد أن هذه هي الحقيقة، فقد كان صوتها يبدو منزعجًا .. ومريبًا. ولم تكن على

طبيعتها على الإطلاق. ثم في وقت لاحق، قالت لينور لافينجتون، والدة تيموثي، إنها قد فوّتت الحفل هذا العام؛ لأنها كانت مرهقة للغاية في ذلك اليوم، ولم يتطابق كلام الاثنتين. والآن، لا أعلم كل ما يعنيه هذا، أو كيف ورط زوجي نفسه في كل هذا، ولكنني في نهاية المطاف لست محققة شرطة؛ لذا ليست مهمتي أن أكتشف كل هذا، أليس كذلك؟ إنها مهمتك أنت".

قالت المتصلة: "نعم يا سيدتي"، وكانت في هذه اللحظة قد نسيت تمامًا أن مهمتها تختلف تمام الاختلاف، ولا تتعلق على الإطلاق بالتحقيق في الجرائم التي قد تكون ارتُكبت أو لم تُرتكب.



الربع الثاني

الفصل ١٠

بضعة أسئلة مهمة

صرخ رئيس الشرطة ناثانيال بيوس في أذني، قائلًا: "ما الذي دهاك يا كاتشبول؟".

"ما الذي تعنيه يا سيدي؟".

كان يصرخ منذ وقت، معددًا عيوبي الكثيرة، ولكن العيوب التي ذكرها حتى هذه اللحظة كانت جميعًا مجرد أفكار لا صلة لها بالحقيقة.

"ليلة أمس! تلك المكالمة الهاتفية التي أجريتها أو، بالأحرى يجدر بي أن أقول، التي جعلت امرأةً ما تجريها من أجلك".

آه، إنه يقصد ذلك الموضوع.

"لقد أخبرتني بأن الخطاب الذي وصل إلى جون ماكرودن لم يُرسل من قبل بوارو، وصدقت هذا! ولكنني لن أصدق أية خدع أخرى منك؛ لذا لن يفيدك أن تحاول إقناعي بأي شيء. هل كلامي واضح؟ لقد أرسلتك لتتحدث مع رولي ماكرودن لتصحيح الأمور، ولكن ماذا فعلت بدلًا من ذلك؟ لقد تآمرت مع بوارو لكي تزعج ابن رولي بشكل أكبر. لا، لا تتظاهر بأنك لم تفعل هذا. أعلم أن بوارو حضر إلى هنا لمقابلتك ..".

"كان هذا بسبب ..".

".. وأعلم أن المرأة التي اتصلت بجون ماكرودن قد طلبت أن تعرف حجة غيابه عن مسرح الجريمة في يوم وفاة باندي، وقالت إنها تفعل هذا "نيابة عن المحقق إدوارد كاتشبول من شرطة سكوتلانديارد". هل تظن أنني أحمق؟ إنها لم تكن تتصرف نيابة عنك من الأساس، أليس كذلك؟ بل كانت تنفذ أوامر هيركيول بوارو! إنها مثلك تمامًا، مجرد ترس في آلته. حسنًا، لن يمكنني تحمّل هذا، هل فهمت؟ أوضح لي من فضلك سبب إصرارك أنت وبوارو على اتهام رجل بريء بجريمة قتل لم تحدث من الأساس. هل تعرف المعنى الصحيح لعبارة حجة غياب يا كاتشبول؟".

"نعم يا ..".

"إنها لا تعني أين كان الشخص في لحظة معينة. أنا هنا الآن في مكتبي أتحدث إليك، للأسف، ولكن هذا يُسمى *مكان وجودي* وليس حجة *غيابي*. هل تعلم لماذا؟ لأنه *لم تُرتكب* جريمة *قتل بينما* أنا واقف هنا أتحدث إليك. يجب ألا أشرح لك ذلك".

فكرت، إنه مخطئ تمامًا. ففي مكان ما من العالم، ربما كانت هناك جريمة قتل تُرتكب أو ارتكبت، منذ أن بدأ يصرخ في وجهي منذ ٢٠ دقيقة مضت. وربما كانت هناك أكثر من جريمة قتل واحدة قد ارتكبت، وكان رئيس الشرطة محظوظًا: لأنه ليس من بين تلك المجموعة الدولية الكبيرة من الضحايا المحتملين. إن كنت شخصًا يمكن استثارته لارتكاب أعمال عنف، فربما كانت تلك هي اللحظة المثالية لأفعل منذ ١٠ دقائق خلت تقريبًا، ولكن للأسف الشديد، يبدو أنني شخص يمكنه السيطرة على نفسه، وتفادي المثيرات التي تحاول استفزازه بواسطة شخص يشعر برغبة جامحة في الصراخ في وجهه.

سألني بيوس: "لماذا قد يحتاج جون ماكرودن إلى أن يقدم حجة غيابه، في حين أن *وفاة بارناباس باندي ليست بها شبهة جنائية*؟ لماذا؟".

"سيدي إن سمحت لي بأن أجيب .."، ثم صمت، وخيَّم صمت ثقيل بيننا، فقد كنت أتوقع أن يقاطعني رئيس الشرطة.

ثم قلت: "إن تلقى جون ماكرودن مكالمة هاتفية ليلة أمس، فلا شأن لي بها على الإطلاق. إن استخدم أحدهم اسمي لكي يعرف أين كان جون ماكرودن يوم وفاة بارناباس باندي، فلا يمكنني إلا أن أفكر في أن .. حسنًا، هذا الشخص كان يأمل أن يستغل سلطة سكوتلانديارد في إجبار ماكرودن على التحدث".

قال رئيس الشرطة: "لا بد من أن بوارو له يد في هذا الأمر؛ بوارو ومَن أجرت الاتصال لتساعده".

"سيدي، لم يكن الخطاب الذي وصل إلى جون ماكرودن هو الخطاب الوحيد، بل كانت هناك أربعة خطابات. فقد وصلت إلى ثلاثة أشخاص آخرين أيضًا خطابات مشابهة موقّعة باسم هيركيول بوارو - ولكنه لم يرسل إياها - تتهمهم بقتل بارناباس باندي".

"لا تكن سخيفًا يا كاتشبول!".

أخبرته بأسماء الأشخاص الثلاثة الآخرين الذين وصلت إليهم الخطابات، وأن من بينهم حفيدة بارناباس باندي نفسها، التي كانت معه في المنزل عندما توفي، وقلت: "لقد تحدثت مع رولاند ماكرودن أمس، كما طلبت مني أن أفعل، وكان حريصًا على بذل قصارى جهده ليكتشف من أرسل بالخطابات، كما أنه يريد أن يتولى بوارو التحقيق؛ لذا إن كان بوارو قد طلب من امرأة ما أن تسأل جون ماكرودن عن حجة غيابه، فقد يكون هذا .. كما تعلم .. مفيدًا لرولاند ماكرودن على المدى الطويل. أعني إن أفضى السؤال إلى ظهور أية معلومات جديدة".

زمجر رئيس الشرطة قائلًا: "كاتشبول، مَنْ في اعتقادك أخبرني بشأن المكالمة التي تلقاها جون ماكرودن؟".

شعرت بالراحة لأنه خفَّض مَنْ صوته أخيرًا، حتى صاح بالقرب من أذني قائلًا: "من رولي بالطبع! إنه يريد أن يعرف سبب سماحي لأحد العاملين في سكوتلانديارد بطلب معرفة حجة غياب ابنه بدلًا من أن أفعل ما وعدته بأن أفعله، وهو أن أوقف هذه المهزلة! يمكنك أن تخبر بوارو بأن جون ماكرودن، على الأرجح، كان في إسبانيا في شهر ديسمبر عندما توفي باندي. إسبانيا! لا يمكن للمرء أن يقتل أحدًا في إنجلترا بينما هو في إسبانيا، أليس كذلك؟".

أخذت شـهيقًا عميقًا، وقلت: "إن رولاند ماكرودن يرغب في معرفة ما يحدث. ربما كان غاضـبًا من سـماع أن ابنه قد سُـئل عن حجة غيابه، ولكنني واثق بأنه لا يـزال راغبًـا في إجـراء نوع من التحقيق حتى يحصـل على إجابة شـافية. هناك طريقـة واحـدة لإيقاف ما يحدث: وهي اكتشـاف من أرسـل الخطابـات الأربعة، ولماذا. وإن كان هناك احتمال بأن بارناباس باندي قد قُتل .. ".

قاطعـه رئيس الشـرطة، وقال: "إن سـمعتك تقترح هذا الأمر مـرة أخرى، يا كاتشبول، فسأجعلك تندم!".

"أعلم أن وفاة الرجل قد سُـجلت بأنها حادث عرضـي يا سيدي، ولكن إن كان هناك من يرى أنها لم تكن .. ".

"فسـيكون هذا الشـخص قد جانبه الصـواب تمامًا!". إن كان في حالة أكثر تعقـلًا، وإن كان في ظروف لا تسـبب إزعاجًا لـ"رولي" روب، كان رئيس الشـرطة ليقـر بأنه من المحتمل بالطبـع أن يكون هناك خطأ قد ارتُكب، وأن هناك جريمة ربما ارتُكبت ولم تُكتشف، ولكن لا فائدة من محاولة إخباره بذلك اليوم.

قال: "إنك محق بشـأن أمر واحد يا كاتشبول وهو أن رولي بحاجة إلى إجابات *بالفعل*، وبسرعة. ولهذا، وإلى أن تُسوَّى هذه المسألة، أنت معفى من جميع واجباتك الرسمية، وستساعد بوارو على تسوية هذه المسألة برمتها بصورة مرضية".

لم أكن واثقًا بما أشـعر به بشـأن هذا الأمر. لقد اعتدت أن أقلق بشـأن عدم معرفة حقيقة شـعوري في مواقف معينة، ولكنني قررت مؤخرًا أن أتعامل مع هذه المواقف كفرصة مواتية لكيلا أشعر بأي قلق على الإطلاق. كان رئيس الشرطة قد حسم أمره، ولم يكن هناك مجال للمزيد من الجدل.

واكتشفت، عندما بدأت أتحدث بعد ذلك، أن الأمر لم يكن مجرد قرار، بل إنه كان قد وضـع ترتيبات لتنفيذه أيضًا: "ستجد بوارو ينتظرك في مكتبك"، ثم نظر إلى سـاعته، واسـتطرد قائلًا: "نعم، من المؤكد أنك سـتجده ينتظرك هنا الآن. ولديكما معًا موعد في مكتب رولي بعد خمسين دقيقة، وهذه الفترة أكثر من كافية لكي تصـلا إلى هناك. هيا اذهب! وكلما أسـرعت في حل هذه المسـألة الغريبة.

زادت سعادتي"، ثم ابتسم فجأة كأنه يحاول أن يعطيني لمحة عما ستبدو عليه سعادته في المستقبل.

كان بوارو ينتظرني في مكتبي كما علمت، وقد صاح عندما رآني: "صديقي المسكين، لقد وبخك رئيس الشرطة، على ما أعتقد، أليس كذلك؟"، قالها وعيناه تلمعان.

سألته: "كيف خمنت هذا؟".

"كان على وشك صب غضبه عليَّ، ولكنني حذرته من أنه إن فعل، فسأغادر على الفور، ولن أقدم أية مساعدة إلى صديقه المقرب رولاند روب".

قلت في ضيق: "فهمت. لا تقلق، لقد صب كامل غضبه عليَّ أنا في نهاية المطاف. لا أعتقد أنه حدثك عن إسبانيا، أليس كذلك؟".

"إسبانيا؟".

"ربما كان جون ماكرودن عنيدًا لدرجة أنه امتنع عن تقديم حجة غيابه، لكن والده أخبر رئيس الشرطة بأنه ربما كان في إسبانيا عندما توفي باندي".

"ربما؟ لا تحتوي حجة الغياب الدامغة على كلمة "ربما"".

"أعلم هذا. إنني أخبرك بما أخبرني به رئيس الشرطة".

بينما كنا نغادر المبنى، قال بوارو: "هذا سؤال آخر لنضيفه إلى القائمة: هل كان جون ماكرودن في إسبانيا في يوم السابع من ديسمبر أم لا؟".

افترضت أننا سنتوجه سيرًا على الأقدام إلى مقر شركة دونالدسون وماكرودن، لكن بوارو كان قد جهز سيارة لتنقلنا. عندما انطلقت بنا السيارة، أخرج بوارو قطعة من الورق من جيبه، وقال: "انظر، هذه هي القائمة. أعطني قلمًا من فضلك يا كاتشبول".

أعطيته قلمًا من جيبي، وأضاف هو أحدث سؤال في القائمة إلى ذيل الورقة.

كان عنوان القائمة "أسئلة مهمة" وكانت من نوع الأمور التي لا يكتبها سوى بوارو -وتنطبق على أسلوبه تمامًا- وبمساعدتها، شعرت بأن آخر ما تبقى لديَّ من ضيق كان يختفي.

كان المكتوب في القائمة على النحو التالي:

أسئلة مهمة

١. هل قُتل بارناباس باندي؟
٢. وإن قُتل، فمن قتله؟ ولماذا؟
٣. مَنْ كتب الخطابات الأربعة؟
٤. هل يشك كاتب الخطابات بالفعل في الأشخاص الأربعة جميعًا؟ أم يشك في أحدهم؟ أم أنه لا يشك في أي منهم؟
٥. إن لم يكن كاتب الخطابات يشك في أي من الأشخاص الأربعة، فما الهدف من إرسال الخطابات؟
٦. لماذا تم توقيع الخطابات باسم هيركيول بوارو؟
٧. ما المعلومات التي لم يفصح عنها بيتر فاوت؟
٨. لماذا هناك عداوة بين بارناباس باندي وفينسنت لوب؟
٩. أين توجد الآلة الكاتبة التي طُبعت عليها الخطابات الأربعة؟
١٠. هل كان بارناباس باندي يدرك أنه سيموت؟
١١. لماذا تبدو أنابيل تريدواي حزينة لهذه الدرجة؟ وما الأسرار التي تخفيها؟
١٢. هل قُتل بارناباس باندي على يد خادمه كينجزبيري؟ وإن كان هذا صحيحًا، فلماذا؟
١٣. لماذا قررت كل من أنابيل تريدواي ولينور وأيفي لافينجتون ألا يذهبن إلى حفل رأس السنة الجديدة في مدرسة تورفيل؟
١٤. هل كان جون ماكرودن في إسبانيا عندما توفي بارناباس باندي؟

سألت بوارو: "لماذا تشك في أمر كينجزبيري؟ ولماذا تعتبر أن الآلة الكاتبة مهمة؟ أليست جميع الآلات الكاتبة متماثلة؟".

ابتسم بوارو، وقال: "نعم، الآلة الكاتبة!"، ثم عاد ليجيب عن السؤال الأول، كأنه قد أجاب عن سؤالي الثاني بالفعل، وقال: "لقد سألت عن كينجزبيري بسبب ما قالته أنابيل تريدواي عبر الهاتف الليلة السابقة يا صديقي. فإن كانت في غرفة أيفي لافينجتون مع لينور وأيفي عندما تُوفي السيد باندي، فسيكون كينجزبيري هو الوحيد الموجود في المنزل دون رقابة. وإن كانت الوفاة ناتجة عن جريمة قتل، فسيكون من المرجح أنه هو القاتل، *أليس كذلك*؟".

"أعتقد هذا. ولكن، أليس من الغريب أنه لم تصل إليه أية خطابات؟ إنه الشخص الوحيد الذي سنحت له الفرصة لارتكاب الجريمة، ولكن مع ذلك تم توجيه الاتهام إلى ٤ أشخاص لا يملكون فرصة ارتكابها".

قال بوارو: "إن كل ما حدث شديد الغرابة، ولقد بدأت أعتقد أنني قد كنت مخطئًا بتسرعي في التفكير في حجج الغياب .."، وهز رأسه في أسف.

"إن هذا وقت مثالي لتخبرني بذلك، بعد الصراخ الذي تحملته طبلتي أذني منذ قليل". كنت لا أزال أسمع صراخ رئيس الشرطة يتردد في رأسي.

قال بوارو: "نعم، كان هذا موقفًا سيئًا، ولكن يجب ألا نندم على ما اكتشفناه. أنا على يقين بأن كل ما اكتشفناه سيثبت فائدته لنا، ولكن ماذا علينا فعله الآن؟ علينا الآن التفكير بعمق أكبر؛ فمثلًا إن كان كينجزبيري هو القاتل الذي نبحث عنه، فقد يكون عدم تلقيه الخطاب نفسه الذي اتهم أربعة أشخاص *بريئين* ليس بالأمر الغريب على الإطلاق".

سألته عما يعنيه، ولكنه أصدر صوتًا مبهمًا، ولم يقل المزيد.

في مقر شركة دونالدسون وماكرودن، وبينما كنا نصعد الدرج، تجهزت للقائي الثاني مع الآنسة مايسون. لم أحذر بوارو منها، ولكنني أملت أن نمر بسهولة أكبر هذه المرة، حيث إن رولاند ماكرودن كان يتوقع وصولنا.

ولكن سرعان ما خاب أملي؛ فالمرأة الشابة وردية الوجه تقريبًا ألقت بنفسها بين ذراعيَّ، وهي تقول: "أيها المحقق كاتشبول! حمدًا لله أنك قد وصلت! لا أعلم ما يجدر بي فعله!".

"ما الأمر يا آنسة مايسون؟ هل وقع خطب ما؟".

"إنه السيد ماكرودن. إنه لا يفتح باب مكتبه، ولا يمكنني الدخول. لا بد أنه قد أغلقه من الداخل، وهو أمر لا يفعله أبدًا. كما أنه لا يرد على هاتفه، وعندما أطرق الباب وأدعوه باسمه، لا يجيبني. إنه *بالتأكيد داخل الغرفة*، لقد رأيته بعينيَّ، وهو يدخلها، ويغلق بابها خلفه منذ أقل من ٣٠ دقيقة".

ثم التفتت الآنسة مايسون نحو بوارو، وقالت: "وها أنتما قد وصلتما، والسيد ماكرودن يعلم أن هناك موعدًا معكما، ولكنه لا يزال لا يفتح بابه. ولا يمكنني التوقف عن التفكير في أنه ربما قد تعرض لأزمة صحية ما".

قال بوارو: "كاتشبول، هل يمكنك أن تكسر باب مكتب ماكرودن؟".

مددت يدي لأتحسس الباب لكي أختبر مدى صلابته وقدرتي على كسره، وعندها انفتح الباب، وظهر من خلفه رولاند ماكرودن. وكان يبدو معافى تمامًا. ولا يبدو كأنه رجل قد عانى أزمة صحية مفاجئة.

قالت الآنسة مايسون: "حمدًا لله!".

قال ماكرودن: "يجب أن أنصرف على الفور، معذرة يا سادة"، ودون أن يقول كلمة أخرى، مر بجانبنا، وغادر المكتب، ثم سمعنا صوت قدميه وهما تهبطان بضع درجات، ثم بابًا يُصفق بصوت عالٍ.

أسرعت الآنسة مايسون خلفه، وهي تصيح قائلة: "سيد ماكرودن، ما تفعله غريب تمامًا، لا يمكنك أن تنصرف، فإن هذين السيدين النبيلين قد حضرا للقائك".

"لقد انصرف بالفعل يا آنسة".

تجاهلت الآنسة مايسون عبارة بوارو، وواصلت الصياح في الدرج الخالي: "سيد ماكرودن! إن لديهما موعدًا!".

الفصل ١١

أخضر بلون الزمرد

عندما عدت إلى عملي في إدارة شرطة سكوتلانديارد في صباح اليوم التالي، أخبرني رئيس الشرطة بأن رولاند ماكرودن كان يتوق إلى لقائي أنا وبوارو في أقرب فرصة ممكنة، ولكن بشرط واحد: ليس في مقر شركة دونالدسون وماكرودن. وافقنا على هذا، ورتبنا ثلاثتنا لقاءً في مقهى بليزانتس في تمام الساعة الثانية.

كانت درجة الحرارة في المقهى، على غير المعتاد، مناسبة -فقد كان الجو دافئًا، ولكنه ليس شديد الحرارة- وكانت تفوح في المكان رائحة القرفة والليمون. أسرعت صديقتنا في سبرينج نحونا، وكنت قد توقعت أن أكون محور تركيزها، كما هي الحال دائمًا، ولكنها اليوم صبت تركيز عينيها على بوارو .. وبتركيز شديد للغاية، وأجلسته في مقعده، وسألته: "حسنًا؟ هل فعلت ما وعدتني بفعله؟".

"نعم يا آنسة، ولكن سيكون علينا تأجيل حديثنا عن كعكة نافذة دار العبادة إلى وقت لاحق، فقد حضرت وكاتشبول إلى هنا من أجل لقاء مهم".

قالت "في": "مع شخص لم يحضر بعد، إذن فأمامنا ما يكفي من وقت".

سألتهما متحيرًا: "هل ستتحدثان عن كعكة نافذة دار العبادة؟".

تجاهلني كل منهما، وقال بوارو: "وماذا لو بدأنا حديثنا ثم قوطعنا؟ أفضل أن أقوم بالأمور بطريقة منظمة، كل شيء على حدة".

قالت "في": "انظر إلى أباريق الشاي، لقد أزلت التراب عنها جميعًا، من أجلك خاصة. وجعلت جميع فوهاتها تنظر في اتجاه واحد، ولكن يمكنني بسهولة أن أعيدها إلى سيرتها الأولى ..".

نظر بوارو نحو الأرفف التي وضعت فوقها أباريق الشاي، وقال: "لا تفعلي ذلك أرجوك، إنها *رائعة* هكذا. لا يمكنني أن أرتبها بصورة أفضل مما فعلت. حسنًا يا آنسة، سأخبرك، لقد ذهبت إلى مقهى كيمبلز كما طلبت مني، وهناك وجدت النادلة فيليبا، وطلبت كعكة نافذة دار العبادة، ورحت أجري محادثة معها عن هذه الكعكة، وقالت إنها صنعتها بنفسها".

قالت "في"، وهي تضغط على أسنانها: "أرأيت! حتى إن كانت أنكرت، لم أكن لأصدق كلمة مما تقول".

"ثم سألتها من أين حصلت على طريقة إعدادها، فقالت إنها حصلت عليها من صديق".

"إنها ليست صديقتي، ولن تكون على الإطلاق! إن العمل مع شخص ما لا يجعله صديقك".

سألتهما: "عما تتحدثان؟"، ومرة أخرى تجاهلني بوارو و"في". وكان رولاند روب قد تأخر عن موعده.

قال بوارو: "ثم سألتها عن اسم الصديق الذي حصلت منه على طريقة الإعداد. وعلى الفور بدا عليها الارتباك ومحاولة المراوغة، وحولت تركيزها إلى عميل آخر".

قالت "في": "هذا هو الدليل الذي كنت أحتاج إليه. إنها تعلم أنها قد سرقت طريقة الإعداد مني، هذا صحيح، ولكنني سأتصرف معها! والآن، سأحضر إليك قطعة من كعكة نافذة دار العبادة *الخاصة* بي على حساب المقهى".

نظرت إلى ساعتي، فقالت "في": "سيصل بعد خمس دقائق أو نحوها، صديقكما ذو الجبهة العريضة. لقد أخبرته بأن يعود في الثانية والربع"، ثم ابتسمت، وتوجهت نحو المطبخ قبل أن يتمكن أي منا من توبيخها.

قلت مخاطبًا بوارو: "أتساءل في بعض الأحيان إن كانت مجنونة إلى حد ما. متى توافر لك الوقت لتجري هذا التحقيق بشأن سرقة طريقة إعداد الكعكة؟".

"أنا محظوظ يا صديقي، فسواء أكنت أؤدي عملي أم أركز على اهتماماتي، لا أحتاج إلى شيء إلا فرصة للتفكير. إن الجلوس بين الأغراب، وتناول قطعة من الكعك ببطء .. تلك الظروف هي الأفضل لتفعيل الخلايا الرمادية الصغيرة في المخ. *لقد وصل* رولاند ماكرودن".

وكان قد وصل بالفعل.

صافحه بوارو قائلًا: "سيد ماكرودن. أنا هيركيول بوارو. لقد رمقتني بلمحة عابرة أمس، ولكن لم تتوافر لي فرصة تقديم نفسي إليك".

بدا الإحراج على وجه ماكرودن قليلًا، وهو يقول: "هذا من سوء حظي، أتمنى أن نحرز تقدمًا جيدًا عصر اليوم لنعوض الوقت الضائع".

أحضرت "في" قدحًا من القهوة وقطعة من كعكة نافذة دار العبادة لبوارو، والشاي من أجلي، والماء لرولاند ماكرودن، الذي لم يُضِع مزيدًا من الوقت، ودخل في صلب الموضوع مباشرة.

"أيًّا كان من أرسل ذلك الخطاب إلى جون، فقد صعّد من حملة الاضطهاد. ليلة أمس، اتصلت امرأة هاتفيًّا مدعية أنها مُمثلة عنك يا كاتشبول، وعن سكوتلانديارد. وأخبرت جون بتاريخ وفاة بارناباس باندي، وطلبت منه أن يخبرها بحجة غيابه".

قلت: "إن ما قلته ليس دقيقًا تمامًا". كنت وبوارو قد اتفقنا على إخباره بالحقيقة؛ أغلبها في الواقع. واستطرد قائلًا: "أعتقد أنها قالت إنها تتصل *نيابة عن المحقق كاتشبول من شرطة سكوتلانديارد*. وهذه حقيقة، ولكن الأمر ليست له أية صلة بسكوتلانديارد، ومن المؤكد أنها لم تقل إنها تعمل في شرطة سكوتلانديارد".

تجهَّم وجه ماكرودن، وهو ينظر إليَّ من الطرف الآخر من الطاولة، ويقول: "ماذا بحق..؟ هل تعني *أنك* المسئول؟ أنت من طلب منها فعل هذا؟ من تكون هذه المرأة؟".

تعمدت ألا أنظر ناحية في سبرينج، وأعتقد أن بوارو فعل المثل. كنت لأتمكن من أن أجري الاتصالات الهاتفية الأربعة بنفسي، ولكنني أردت إضافة مستوى آخر من الحماية. كنت أعرف أن هناك احتمالاً بأن يوبخني رئيس الشرطة بسبب هذه الاتصالات، فقررت أنه سيكون من المنطقي أن تكون لديَّ وسيلة لأنكر بها صلتي بالأمر من الأساس؛ حيث إن الصوت الذي صدر من الجانب الآخر من المكالمة كان صوت امرأة. كنت جبانًا، وفكرت في أنه إن تمكنت "في" من الاهتمام بالأمر من أجل بوارو - بالطريقة التي تخيلتها - فسأكون سعيدًا بأن أخبر نفسي بأنني لست متورطًا في الأمر، ولست مذنبًا. لم تشعر "في" بأي من وخزات الضمير المتعلقة بتلك الخطة الملتوية، بل بدا على الفور أنني قد جعلت ذلك يوم سعدها، عندما طلبت منها مشاركتي.

قال بوارو مخاطبًا رولاند ماكرودن: "أنا من يجب أن يتحمل المسئولية يا سيدي. لا تنزعج، من هذه اللحظة فصاعدًا، سنعمل ثلاثتنا على حل هذا اللغز".

جفل ماكرودن، وقال: "نعمل معًا؟ ألا تعرف ما فعلت يا بوارو؟ لقد حضر جون إلى منزلي بعد أن تلقى تلك المكالمة الهاتفية البغيضة، وقال لي إنه لم يعد ابني، ولم أعد والده. إنه يرغب في قطع جميع الروابط التي بيننا".

"سيغير من رأيه بمجرد أن يعرف الهوية الحقيقية لمرسل الخطاب. لا تضايق نفسك يا سيدي، وضع ثقتك بهيركيول بوارو. هل لي أن أسأل .. لماذا أصررت على أن نلتقي اليوم في مكان مختلف؟ ما الذي يوجد في مكتبك ولا تريدني أن أراه؟".

أصدر ماكرودن صوتًا غريبًا، وقال: "لقد فات أوان هذا".

"ماذا تعني؟".

"لا شيء".

حاول بوارو مرة أخرى: "لماذا أغلقت على نفسك باب مكتبك، ثم خرجت من تلقاء نفسك لتغادر الشركة كلها؟".

جلسنا صامتين، بينما كان يفكر في إجابة السؤال.

قال بوارو: "سيدي؟ من فضلك أجبني".

قال ماكرودن باقتضاب: "إن سبب هذا لا يمت بصلة للموضوع الذي نتحدث عنه. هل يُرضي هذا فضولك؟".

فرد بوارو قائلًا: "*على الإطلاق*، إن لم توضح موقفك، فسأضطر إلى التخمين. هل كنت تخشى أن نعثر على آلة كاتبة عندك؟".

بدا الإحباط وشيء من الملل على وجه ماكرودن، وهو يقول: "آلة كاتبة؟ ماذا تعني؟".

قال بوارو في غموض: "حرف الياء!".

التفت ماكرودن نحوي، وقال: "ما الذي يعنيه يا كاتشبول؟".

قلت: "لا أعرف، ولكن ستلاحظ أن عينيه قد اصطبغتا باللون الأخضر كالزمرد، وهذا يعني عادة أنه قد توصل إلى أمر ما".

زمجر ماكرودن وهو يدفع مقعده بعيدًا عن الطاولة، وقال: "زمرد؟ أنت تعرف أليس كذلك؟ كلاكما يعرف، وتسخران مني، ولكن كيف *تسنى* لك أن تعرف؟ لم أخبر أحدًا بالأمر".

"ما الذي تعتقد أننا نعرفه يا سيدي؟ هل يتعلق بالآلة الكاتبة؟".

"لا تهمني آلتك الكاتبة التافهة هذه! أنا أتحدث عن سبب عدم تحملي البقاء في مكتبي ثانية إضافية أمس، وسبب رفضي لقاءكما هناك اليوم. أنا أتحدث عن زمرد، كما تعلمان جيدًا. لهذا السبب قلت أخضر كالزمرد، أليس كذلك؟".

تبادلت وبوارو نظرات حائرة.

"سيدي .. ما هذا الزمرد؟".

"ليس ما، بل *من*. إنها سبب عدم قدرتي على الذهاب إلى مكان عملي الذي أملكه، وهو أمر مزعج للغاية. الآنسة إيمرالد مايسون".

قلت: "الآنسة مايسون، السيدة التي تعمل لديك؟".

"أعتقد أنه يجدر بي أن أخبركما الآن، ولا يعني هذا أنه أمر يخصكما. إن اسم الآنسة مايسون الأول هو إيمرالد ويعني الزمرد. كنت أعتقد أنكما تعرفان، عندما قلت "أخضر كالزمرد" ..".

"لا سيدي. لماذا دفعك وجود هذه المرأة إلى مغادرة المبنى؟".

قال ماكرودن في قنوط: "إنها لم تفعل أي شـيء خاطئ. إنها مجتهدة للغاية، وتبين أنها موظفة مثالية. ويبدو أن شـئون الشـركة تهمها مثلما تهم دونالدسـون وتهمني. لا يمكن أن ألقي باللوم عليها".

قال بوارو بسرعة: "ولكن ماذا؟".

"لقد أصـبحت أرى أنها لا تُطاق. أمس وصـلت إلى درجة لم أعد قادرًا معها على الاحتمال بشكل أكبر. كنت قد ذكرت لها أنني لا أستطيع أن أقرر إن كان عليَّ أن أدعو عميلًا معينًا لحضـور حفل عشـاء نقابة المحامين المقبل كضـيف لي أم لا - هناك أسـباب تدعم هذه الفكرة، وأسـباب أخرى لا تدعمها، وكانت الآنسـة مايسون تعلمها جميعها - وظلت تذكرني *لثلاث مرات* خلال ساعة أنه يجدر بي أن أتخذ قراري على الفور. أنا أعرف موعد عشـاء نقابة المحامين مثلما تعرفه هي، بالإضافة إلى أنها تعرف أنني أعرف. كان يبدو أنها لو استطاعت أن تجبرني على اتخاذ قراري على الفور، لفعلت! وفي المرة الثالثة أخبرتها بأنني لم أتخذ قراري بعد، فقالت.."، ثم ضـغط على أسـنانه عندما تذكر ما حدث، وقال: "قالت: "يا إلهي! لا بأس، ربما يجب عليك أن تفكر في الأمر قليلا"، كأنها طفل في الخامسة من عمره. وكانت تلك هي القشـة التي قصـمت ظهر البعير. فأغلقت باب مكتبي، وعندما تحدثت معي من الجانب الآخر من الباب، تجاهلتها، ولم أرد عليها".

ضحك بوارو قائلًا: "حينها .. وصلت مع كاتشبول".

"نعم، ولكن في تلك اللحظة كان الوقت قد فات، فقد كان المزاج العكر قد تملكني .. حسنًا، لقد تصرفت بصورة غير عقلانية".

قال بوارو: "إن كنت ترى أن الآنسة مايسون مثيرة للأعصاب إلى هذه الدرجة، فلماذا لا تخبرها بأنك لم تعد في حاجة إلى خدماتها؟ ومن ثم سيمكنك أن تعود إلى العمل دون أن تشعر بأي ضيق في صدرك".

بدا ماكرودن مشـمئزًا من الفكرة، وقال: "لا نيـة لديَّ لأن أطردها من العمل. إنها مجتهدة، ولم ترتكب أي خطأ. كما أن ستانلي دونالدسون، الشريك الآخر في الشـركة، ليس لديه أي اعتراض عليها. يجب أن أتغلب على نفوري منها، والتوقف عن الانغماس في هذا .. أيًّا كان".

قال بوارو متأملًا: "الانغماس. إنها طريقة مثيرة لوصف الأمر".

قال ماكرودن: "*إنه* انغماس بالفعل. إن تجنب المكتب *وتجنبها* يُشعرانني برضا يجب ألا أشعر به؛ لأنني أعرف كم سيحبطها هذا".

قال بوارو: "هذا أمر مذهل".

قال ماكرودن: "لا، بل على النقيض. إنه تصرف طفولي مني، كما أنه ليس ما اجتمعنا من أجل التحدث عنه. بوارو، أريد أن أعرف ما تقترحه لكي تكتشف من أرسل بالخطاب إلى ابني".

"لديَّ عدد من الأفكار. أولاها تتضمن حفل عشاء نقابتك. متى موعده؟ إنني أتساءل إن كان الحفل نفسه الذي دُعي إليه محامي بارناباس باندي، بيتر فاوت".

قال ماكرودن: "لا بد أنه الحفل نفسه، فهناك حفل عشاء واحد سيقام في القريب العاجل. هل تقول إن بيتر فاوت كان محامي المدعو بارناباس باندي؟ مرحى مرحى".

سأله بوارو: "هل تعرفه؟".

"نعم، قليلا".

قال له بوارو: "ممتاز. إنك في الموضع المثالي إذن".

سأل ماكرودن في تشكك: "من أجل ماذا؟".

دلَّك بوارو يديه معًا، وقال: "كما يقولون يا صديقي.. ستُجري لنا يا صديقي التحقيق كعميل سري".

الفصل ١٢

الكثير من حجج الغياب الواهية

قال رولاند ماكرودن بعدما عرف تفاصيل الخطة التي يعرضها بوارو: "إنها أسوأ فكرة سمعتها في حياتي. إنها مرفوضة تمامًا".

"قد تشعر بأنها كذلك الآن يا سيدي، ولكن مع اقتراب موعد عشاء نقابة المحامين، سترى أنها أفضل فرصة، وأنك قادر على أداء دورك فيها بصورة مثالية".

"لن أشارك في هذا الخداع، حتى لو كان الهدف منه شريفًا".

"صديقي، دعنا من الجدال. إن لم ترغب في فعل ما طلبته منك، فلا تفعله، أنا لن أصر على أن تفعله".

قال ماكرودن بحدة: "ولن أفعل".

"سنرى. والآن، هل ستدع كاتشبول يفحص جميع الآلات الكاتبة المستخدمة في شركتك؟".

زمَّ ماكرودن شفتيه، وسأل في ضيق: "لماذا تعود دائمًا إلى موضوع الآلات الكاتبة المرة تلو الأخرى؟".

أخرج بوارو من جيبه الخطاب الذي أُرسل إلى جون ماكرودن، ومرره إليه عبر الطاولة، وقال: "هل تلاحظ أي شيء بشأن الخطابات؟".

"لا، لا يوجد بها شيء يستحق التركيز عليه".

"افحصها عن كثب".

"لا، أنا .. مهلًا، إن حرف الياء غير كامل".

"*بالضبط*".

وضع ماكرودن الخطاب على الطاولة، وهو يقول: "هناك فجوة في خطوطه، بقعة بيضاء. فهمت، وإن عثرت على الآلة الكاتبة، فسيمكنك العثور على من كتب الخطاب. ومن منطلق طلبك فحص الآلات الكاتبة في شركتي، يمكنني أن أستنتج أنك تشك في أنني من كتب الخطاب".

"على الإطلاق يا صديقي. إنه مجرد إجراء شكلي. سنبدأ التحقيق في أمر كل من له علاقة بهذا اللغز ويمتلك آلة كاتبة: منزل سيلفيا رول، ومنزل بارناباس باندي بالطبع، ومدرسة تورفيل، حيث يوجد كل من تيموثي لافينجتون وفريدي رول بصفتهما طالبين، وهيوجو دوكيريل بوصفه مدرسًا هناك ..".

سأله رولاند ماكرودن: "من هؤلاء؟ لم أسمع بهم من قبل".

انتهزت الفرصة لأخبره بأن ابنه لم يكن الشخص الوحيد الذي وصل إليه خطاب اتهام، ثم جلست أراقبه وهو يحاول استيعاب تلك المعلومة الجديدة. ظل صامتًا بعض الوقت، ثم قال: "ولكن، لماذا لم تخبر جون بأنه ليس المتهم الوحيد؟ ولكنك تركته يعتقد أنه كذلك".

"لم أفعل هذا مطلقًا يا سيدي. أؤكد لك أنني أخبرت ابنك بأنه ليس الشخص الوحيد الذي وصل إليه خطاب من هذا النوع. وأخبره خادمي بالشيء نفسه -لقد شهد جورج بأنني أقول الحقيقة- ولكن ابنك لم يستمع إلينا. لقد كان لديه اعتقاد راسخ بأنك المسئول عما حدث".

طرق ماكرودن الطاولة بقبضته، وقال: "إنه أعمى وعنيد وأحمق، دائمًا ما كان كذلك منذ يوم مولده. وما لا أفهمه هو *لماذا*. لماذا قد يرسل شخص بخطابات إلى أربعة أشخاص مختلفين، يتهمهم جميعًا بجريمة القتل نفسها، ويوقعها جميعًا باسمك بدلًا من اسمه؟".

أيده بوارو، وقال: "إنه فعلًا أمر محير".

فقلت: "هل هذا هو كل ما ستقول؟ هل لي أن أقترح بدلًا من جلوسنا في أماكننا على أمل أن تهبط الإجابة علينا من السماء، أن نستخدم عقولنا في محاولة لحل هذه المشكلة".

ابتسم بوارو بتهذيب، وقال: "أنا لم أنتظر يا صديقي، بل بدأت في الواقع، ودونك، باستخدام خلايا مخي الرمادية الصغيرة، ولكنني أرجو أن تخبرني بما لديك".

قلت: "أعتقد أن هناك سببين قد يدعوان أحدهم إلى فعل هذا. السبب الأول: أنه إذا ما وقع هذه الخطابات باسمك يا بوارو، فستزداد أرجحية أن يشعر هؤلاء التعساء بالرعب: فالشرطة تستمع إلى هيركيول بوارو عندما يقول إن شخصًا ما قاتل؛ لذا إن كان كاتب الخطابات يرغب في إلقاء الرعب في قلوب هؤلاء الأشخاص، فإن استخدام اسمك سيمكنه من ذلك دون شك. حتى الأبرياء قد يخشون أن يؤدي اتهامك لهم بالقتل إلى أمر فادح".

قال بوارو: "أوافقك تمامًا. وما السبب الثاني؟".

قلت: "كاتب الخطابات يريد منك أن تحقق في الأمر. إنه يعتقد أن بارناباس باندي قد قُتل، ولكنه ليس واثقًا بهذا؛ أو ربما يعرف يقينًا أنه قُتل، ولكنه لا يعرف من قتله؛ لذا وضع خطة لإثارة فضولك للتحقيق في الأمر. فالذهاب إلى الشرطة لن يفيده؛ لأن التقرير الرسمي عن الوفاة أقر بأن وفاة باندي كانت عرضية".

قال بوارو: "جيد جدًّا. لقد فكرت في هذين السببين أيضًا، ولكن أخبرني، *لماذا هؤلاء الأشخاص الأربعة تحديدًا* يا كاتشبول؟".

"لست كاتب الخطابات، ويؤسفني أنني لا يمكنني الإجابة عن هذا السؤال".

قال بوارو مخاطبًا ماكرودن: "طبقًا لما قالته حفيدة السيد باندي، أنابيل تريدواي، كان هناك ٥ أشخاص موجودين في منزل كومبنجهام هول في يوم السابع من ديسمبر، هي وبارناباس باندي، وحفيدته الأخرى لينور لافينجتون، وابنتها أيفي، وخادم السيد باندي كينجزبيري. دعونا نفترض للحظات أن الوفاة

حدثت نتيجة جريمة قتل، فسيكون الأشخاص الذين كان من المفترض أن تصل إليهم خطابات الاتهام هم الأشخاص الأربعة الذين كانوا في كومبنجهام هول، وظلوا على قيد الحياة، وهم: أنابيل تريدواي، ولينور لافينجتون، وأيفي لافينجتون، وكينجزبيري. ومن بينهم، واحد فقط من وصل إليه خطاب، ووصلت الخطابات الثلاثة الأخرى إلى أشخاص آخرين، من بينهم شخصان كانا مشغولين طوال ذلك اليوم في حفل رأس السنة الجديدة في مدرسة تورفيل، إن كانا صادقين -وهما سيلفيا رول وهيوجو دوكيريل- وإلى جون ماكرودن، الذي لا يبدو، حتى هذه اللحظة، أنه يمت بأية صلة إلى الرجل الراحل".

قال والد جون: "من المحتمل أن جون كان في إسبانيا عندما توفي باندي. فأنا على يقين بأن الوقت كان في بداية شهر ديسمبر الماضي، عندما حاولت اقتفاء أثره في السوق حيث كان يعمل، وقيل لي إنه قد سافر إلى إسبانيا، وسيبقى هناك عدة أسابيع".

قال بوارو: "يبدو أنك لست واثقًا".

تردد ماكرودن، ثم قال: "في الواقع .. كان هذا في شهر ديسمبر بكل تأكيد. كانت هناك زينة احتفالات السنة الجديدة معروضة للبيع في جميع متاجر السوق: تلك الزينة التافهة اللامعة. وربما كان هذا في وقت لاحق من شهر ديسمبر، على ما أظن"، ثم هزَّ رأسه في اشمئزاز واضح، كأنه قد ضُبط يكذب لكي يحمي ابنه، ثم قال معترفًا: "أنت محق، أنا لا أعلم أين كان جون عندما توفي باندي. أنا لا أعرف *أبدًا* أين يكون. بوارو، صدقني، أنا لن أسمح لعواطفي بأن تطغى على حكمي. ومع أنه ابني الوحيد، فإن كان جون قد ارتكب جريمة قتل، فسأكون أول من يبلغ الشرطة عنه، وسأدعم الحكم عليه بالإعدام كما أدعم الحكم بإعدام جميع القتلة".

"هل هذا صحيح يا سيدي؟".

"نعم. يجب على المرء أن يتمسك بمبادئه، وإلا سينهار المجتمع. إن كان ابني يستحق هذا، فسأشنقه بنفسي. ولكن، كما أخبرت كاتشبول، لا يمكن لجون أن

يقتل إنسانًا آخر، وهذه حقيقة أثق بصحتها تمامًا؛ لذا فإن مكان وجوده المحدد في اليوم المذكور لا صلة له بالأمر. إنه بريء، وهذا ختام المسألة".

قال بوارو: "تلك الكلمات: "هذا ختام المسألة"، لا تستخدم عندما تكون المسألة التي هي قيد النظر قد بدأ البحث فيها من فورها"، وأثارت هذه الكلمات ذُعر رولاند ماكرودن.

سألته: "لماذا قد يذهب جون إلى إسبانيا؟".

اعتلت نظرة امتعاض وجه جون ماكرودن، وقال: "إنه يذهب إلى هناك بانتظام. إن جدته لوالدته كانت تعيش هناك فترة، وعندما توفيت، تركت منزلها لجون. إنه قريب من البحر، والطقس هناك أفضل كثيرًا من طقسنا. إن جون يشعر بالسعادة في إسبانيا أكثر مما يشعر في أي مكان في إنجلترا؛ كثيرًا ما قال هذا. ومؤخرًا، ظهرت في حياته امرأة .. سيئة السمعة بالطبع. وليست من نوعية النساء التي قد أختارها له".

قلت قبل أن أتمكن من منع نفسي: "يحتاج الناس إلى الاختيار بأنفسهم في هذه الأمور"، مفكرًا في "الزوجة المثالية التي تنتظرني" التي عثرت عليها والدتي مؤخرًا من أجلي، وحاولت أن تفرضها عليَّ لأتزوجها. ربما كانت شابة جذابة، ولكنني سأظل ألومها إلى الأبد على تلك الأيام القليلة الكئيبة التي قضيتها في جريت يارموث التي شعرت بأنني ملزم بقضائها مع أمي كتعويض.

أطلق ماكرودن ضحكة جوفاء، وقال: "هل تعني أمور الحب؟ إن جون لا يهتم على الإطلاق بالمرأة التي في إسبانيا. إنه يستغلها، وهذا كل ما في الأمر. وأسلوب تصرفه هذا بغيض وغير أخلاقي. لقد أخبرته بما أعتقده -أخبرته بأنه لا بد أن والدته تتعذب في قبرها- وهل تعلم ماذا فعل؟ لقد سخر مني!".

قال بوارو بصوت خافت: "أنا أتساءل ..".

سألته: "ماذا؟".

"أنا أتساءل إن كان كاتب الخطابات، عبر تظاهره بأنه أنا، يُخفي هوية أكثر أهمية كثيرًا".



سأله ماكرودن: "هل تعني هوية القاتل؟ قاتل بارناباس باندي؟".

كان هناك شيء ما في كلماته، في صوته الذي يشبه صوت آلات النفخ الموسيقية، جعل جسدي يقشعر. من الصعب أن تشعر بالود نحو رجل يعلن بفخر أنه لن يتردد في إعدام ابنه.

قال بوارو: "لا يا صديقي، ليس هذا ما أعنيه، هناك احتمالية أخرى خطرت على بالي .. أكثر إثارة للاهتمام".

كنت أعلم أنه لن يفصح بالمزيد في الوقت الحالي؛ لذا سألت ماكرودن عن مكانه يوم السابع من ديسمبر. ودون تردد قال: "لقد كنت في النادي، أثينيوم، طوال اليوم، مع ستانلي دونالدسون. وفي المساء، ذهب كلانا إلى مشاهدة مسرحية حبيبي *الغالي* على مسرح بالاس. ولك الحرية في سؤال ستانلي ليؤكد لك هذا".

عندما رآني متفاجئًا من مدى سرعته في الرد على سؤالي، قال: "بمجرد أن عرفت تاريخ وفاة بارناباس باندي، طلبت من .."، ثم صمت وعبس، ثم واصل حديثه قائلًا: "طلبت من الآنسة مايسون أن تحضر إليَّ سجل مواعيد العام الماضي. كنت أعتقد أنني إن تذكرت أين كنت في ذلك اليوم، فقد يساعدني هذا على معرفة أين كان جون. هل كان يومًا حاولت التواصل معه فيه ورفض، على سبيل المثال .."، وارتعش الصوت الذي يشبه الناي، وحاول أن يخفي هذا بأن سعل، ثم قال: "على أية حال، أعتقد أنني كنت محظوظًا بامتلاك حجة غياب أفضل كثيرًا من حجج غياب المتورطين الآخرين في هذه التمثيلية البغيضة. حفل السنة الجديدة في المدرسة!"، ثم أصدر صوتًا ينم عن الاحتقار.

"يبدو أنك لا تهتم بأمر حفلات السنة الجديدة يا سيدي؟ ولا تهتم بأمر تلك الأشياء اللامعة - بم دعوتها؟ - نعم، الزينة التي تباع في متاجر السوق. وكذلك الآن يبدو أنك لا تهتم بأمر حفل السنة الجديدة في مدرسة تورفيل".

قال ماكرودن: "لا اعتراض لديَّ على حفل السنة الجديدة، على الرغم من أنني لم أكن لأحضره مطلقًا إن كان لديَّ خيار، ولكن، صراحة يا بوارو، أرى أن

فكرة وجود شخص ما في حفل السنة في مدرسة ضخمة، ثم استخدام هذا كحجة غياب محض هراء".

"لماذا تقول هذا يا صديقي؟".

"لقد مر وقت طويل منذ أن حضرت حدثًا مثل هذا، ولكنني أتذكر بعضًا منها منذ طفولتي. أتذكر أنني كنت أحاول أن يمر اليوم دون أن أتحدث مع أي أحد على الإطلاق. وهو تصرف لا أزال أفعله خلال التجمعات الكبيرة، التي أكرهها كثيرًا. لا شك في أنني سأحاول أن أفعل المثل خلال حفل عشاء نقابة المحامين. يكمن السر في المرور بجوار الجميع، راسمًا ابتسامةً ودودًا على وجهي، مع التظاهر بأنك في طريقك إلى الانضمام إلى مجموعة صغيرة أخرى تنتظرك هناك. لا أحد يلاحظ إن كنت قد انضممت *فعلًا* إلى تلك المجموعة التي تسير مسرعًا لتنضم إليها، فبمجرد أن تمر من جواره لا يلاحظ أين تذهب أو ماذا تفعل".

كان بوارو عاقدًا حاجبيه، وكان يرفع عينيه ويخفضهما، ثم قال: "لقد أثرت نقطة مهمة يا سيدي. إنه محق، أليس كذلك يا كاتشبول؟ لقد حضرت أيضًا تجمعات من هذا النوع، ويمكنك بالفعل وبكل سهولة أن تختفي وتظهر في وقت لاحق، ولن يلاحظ أحد ذلك؛ لأن الجميع يكونون مشغولين بالتحدث مع شخص ما. كم *أنا أحمق!* يا سيد ماكرودن، هل تعلم ماذا فعلت؟ لقد أفسدت حجج غياب الكثير من الأشخاص! والآن، أصبحنا نعرف أقل مما كنا نعرف سابقًا!".

قلت: "مهلًا يا بوارو. لا تبالغ. من هؤلاء الأشخاص الكثر الذين تبين أن حجج غيابهم واهية؟ لا تزال حجة غياب أنابيل تريدواي غير واهية: لقد كانت مع أيفي ولينور لافينجتون في غرفة نوم أيفي، على الرغم من أننا بحاجة إلى التحقق من هذا. وربما كان جون ماكرودن في إسبانيا، وهذا أيضًا يحتاج إلى إثبات. على أكثر تقدير، لن تؤثر مسألة حفل السنة تلك التي تؤرقك إلا في حجتي غياب فحسب: حجة غياب سيلفيا رول وهيوجو دوكيريل".

"أنت مخطئ يا صديقي. ففي حفل السنة الجديدة في تورفيل في يوم السابع من ديسمبر كانت هناك أيضًا جاين دوكيريل، زوجة هيوجو، وتيموثي لافينجتون، ابن حفيدة بارناباس باندي، وفريدي رول الصغير، *أليس كذلك؟*".

سأله رولاند ماكرودن: "وما دخلهم بالأمر؟ لم يتهمهم أحد بشيء".

قال بوارو: "كذلك لم يتهم أحد الخادم كينجزبيري بشيء، ولكن هذا لا ينفي صلته بالأمر، كما لم يتهم أحد فينسنت لوب، عدو بارناباس باندي اللدود بشيء. وعلينا ألا ننسى يوستيس الذي تكرهه سيلفيا رول بشدة، فقد يكون مهمًّا أيضًا. وأفضل أن أعتبر أن للجميع صلة بالأمر - جميع الأشخاص الذين ذُكرت أسماؤهم في تلك المسألة المحيرة - حتى أتمكن من إثبات العكس".

قلت: "هل تعتقد أن أحد الحاضرين في حفل رأس السنة الجديدة في ذلك اليوم غادر مدرسة تورفيل، وذهب إلى كومبنجهام هول، وقتل بارناباس باندي؟ لا بد أن هناك مَنْ نقله، أو أنه قاد سيارة بنفسه، حيث إن المسافة بين المكانين تستغرق ساعة كاملة بالسيارة، ثم ماذا حدث؟ أغرق بارناباس باندي في حوض استحمامه، ثم عاد إلى الحفل، حيث راح يسير بين الناس، مع حرصه على أن يلحظ الجميع وجوده؟".

قال بوارو بتجهم: "ربما حدث هذا بالفعل، وبسهولة تامة".

قلت: "دعونا ألا ننسى أن وفاة بارناباس باندي ربما كانت حادثًا عرضيًّا".

قال بوارو شاردًا: "ولكن، إن كانت جريمة قتل .. إن كانت جريمة قتل، فسيمتلك القاتل دافعًا كبيرًا إلى توجيه الشكوك نحو شخص آخر عدا نفسه، أليس كذلك؟".

قلت: "ليس إن لم يتهمه أحد من الأساس؛ لأن الجميع تقبَّل كون الوفاة عرضية".

قال بوارو: "نعم، ولكن ربما لم يكن الجميع قد تقبلوا هذا. ربما اكتشف القاتل أن هناك شخصًا يعرف الحقيقة، وأنه على وشك كشفها؛ لذا بدأ بتوجيه الاتهام في جهة أخرى! والأكثر ذكاءً، أنه وجّه الشكوك نحو ٤ أشخاص أبرياء في آنٍ واحد، وهذا أكثر فاعلية من اتهام شخص واحد فقط".

سألت أنا وماكرودن في آنٍ واحد: "لماذا؟".

رد بوارو قائلًا: "إن اتهمتُ شخصًا واحدًا فحسب، فسينتهي الأمر سريعًا. فإما أن يقدم المتهم حجة غيابه، وإما أنه قد لا يمكن العثور على أي دليل يثبت ارتكابه الجريمة، ومن ثم ينتهي الأمر، ولكن إن اتهمت ٤ أشخاص، ووقعت باسم هيركيول بوارو على خطاب الاتهام، فماذا سيحدث؟ فوضى! ارتباك! وإنكار من جميع الجهات! وهذا هو الموقف الذي نجد فيه أنفسنا الآن، ويبدو أنه أفضل وسيلة تمويه على الإطلاق، أليس كذلك؟ إننا لا نعلم شيئًا، ولا نرى شيئًا!".

قال رولاند ماكرودن: "أنت محق. إن أسلوب كاتب الخطابات في إدارة الأمر .. عبقري. لقد أثار سؤالًا، وهو: أي الأشخاص الأربعة سيكون مذنبًا؟ لا شك في أنه كان يأمل أن يُجري بوارو التحقيق، وسيواجه حينها سؤالًا لا يحتمل إلا إجابة واحدة صحيحة من بين أربع إجابات محتملة، وتضع أمامه خيارًا ذا حد وهمي. في الحقيقة، هناك الكثير من الإجابات الأخرى المحتملة، وقد يكون شخص آخر تمامًا هو المذنب"، ثم انحنى ماكرودن نحو الأمام، وقال: "بوارو، هل تعتقد، مثلي، أن كاتب الخطابات قد يكون قاتل بارناباس باندي؟".

"إنني أحاول ألا أضع أية فرضيات. كما يقول كاتشبول، إننا لا نعلم بعد إن كان السيد باندي قد قُتل من الأساس. ما أخشاه يا صديقَّي، هو أننا قد لا نعرف أبدًا. لست أعلم يقينًا كيف سنسعى.."، ثم ترك الجملة دون أن يكملها، وبدأ يغمغم بكلمات غير مسموعة باللغة الفرنسية، وجذب الطبق الذي أمامه على الطاولة نحوه، وأمسك بشوكته، وعندما صارت فوق قطعة كعكة نافذة دار العبادة، رفع عينيه نحو رولاند ماكرودن، وقال بعزم: "سأسعى خلف ابنك جون".

جفل ماكرودن، وقال: "ماذا؟ ألم أخبرك..".

"لقد أسأت فهمي. لا أعني أنني أعتقد أنه مذنب، بل أعني أن موقعه في البنية يثير اهتمامي".

"أي موقع؟ وأية بنية؟".

وضع بوارو شوكته جانبًا، وأمسك بسكين، وقال: "انظر، هناك أربعة أرباع من هذه الكعكة. في النصف العلوي منها تجد المربعين الأصفر والوردي متجاورين، وفي النصف السفلي منها تجد المثل. ومن أجل تفسير هذا اللغز، سنعتبر أن تلك الأرباع الأربعة، لقطعة الكعك هذه، تمثل الأشخاص الأربعة الذين وصلت إليهم الخطابات".

"في البداية، كنت أعتقد أن هناك زوجين يتكون كل منهما من شخصين"، ثم قطع بوارو قطعة الكعك نصفين من أجل عرض فكرته، وقال: "أنابيل تريدواي وهيوجو دوكيريل في زوج، فكلاهما على صلة ببارناباس باندي. وبينما سيلفيا رول وجون ماكرودن يمثلان الزوج الثاني، فقد أخبرني كل منهما بأنهما لم يسمعا بالسيد باندي من قبل. ولكن، عندئذٍ ..". ثم قطع بوارو أحد نصفي الكعكة إلى نصفين، ودفع المربع الوردي الذي انفصل عن ذلك النصف نحو نصف الكعكة الأخرى الذي لا يزال سليمًا تاركًا مربعًا أصفر اللون بمفرده عند أسفل الطبق، وقال: "ثم اكتشفت أن ابن سيلفيا رول، فريدي، طالب في المدرسة مع تيموثي لافينجتون، ابن حفيدة بارناباس باندي؛ لذا أصبح لدينا الآن *ثلاثة* أشخاص على صلة واضحة بالسيد باندي، وبعضهم ببعض: كانت أنابيل تريدواي قد رفضت الزواج بهيوجو دوكيريل. وهيوجو دوكيريل هو مدرس في المدرسة التي يدرس فيها ابن سيلفيا رول، ويدرس فيها مع ابن شقيقة أنابيل تريدواي. ووحده جون ماكرودن، حتى هذه اللحظة، هو الذي لا توجد أية صلة تربطه بأي من الآخرين، أو ببارناباس باندي".

قلت: "*ربما* كانت هناك صلة تربطه بباندي، ولكنها لم تتضح بعد".

قال بوارو: "ولكن، جميع هذه العلاقات جلية، ومن السهل رؤيتها. ولا يمكن أن تغيب عن أحد، أو تخطئها العين".

قلت في اقتضاب: "أنت محق، إن جون ماكرودن يبدو أنه الشخص الوحيد المختلف".

بدا رولاند ماكرودن جزعًا، ولكنه لم يقل شيئًا.

دفع بوارو المربع الأصـفر الوحيد خارج الطبق، ووضـعه على مفرش الطاولة، وقال: "أتساءل إن كان كاتب الخطابات يريدني أن أفكر في هذا، وأتساءل إن كان يريدني أن أفكر، قبل كل شيء، في ذنب السيد جون ماكرودن".

الفصل ١٣

بوارو يتبع خيوط القضية

في ذلك المســاء، جلسـت أنا وبوارو أمام نار مدفأة غرفة معيشة صاحبة المنزل الـذي أقطن بـه، بلانش أنـزوورث، التي كانت مفرطـة الزينة والأثـاث. لم تكن تلك جلسـتنا الأولى في هذه الغرفة؛ حيث إننا كنا قد جلسـنا فيها مرات عدة من قبـل، ولم نعد نلتفت إلى الدرجات الصـارخة للونين الـوردي والأرجواني، أو إلى الحواشـي والقصاصـات غير الضـرورية التي تتدلى من حواف جميع المصابيح والمقاعد والستائر.

كان كل منا يمسـك بمشروب بين يديه. ولم ينبس أي منا ببنت شفة برهة من الوقت. كان بوارو يحدق إلى نار المدفأة طوال نحو ساعة كاملة، وكان يومئ برأسه أو يهزهـا من وقت إلى آخر. كنت قد انتهيت من فوري من حل الكلمة الأخيرة من لغـز الكلمات المتقاطعة الذي أحاول حلـه، عندما قال بوارو بهدوء: "لقد أحرقت سيلفيا رول الخطاب الذي تسلمته".

التزمت الصمت منتظرًا.

تابـع بـوارو حديثه قائـلًا: "ومزقه جون ماكـرودن إربًا، ثم أرسـله إلى والده. وطمسـت أنابيل تريدواي الكلمـات في خطابها أولًا، ثم مزقتـه، وأحرقت بقاياه، وأضاع هيوجو دوكيريل الخطاب، ثم عثرت عليه زوجته جاين بعد ذلك".

سألته: "هل أي من هذه الحقائق مهمة بالنسبة إليك؟".

"لا أعلم أيها يكون مهمًّا، وأيها غير مهم يا صديقي. إنني أجلس هنا، وأفكر بهمة لم أفكر بها من قبل في حياتي، ولم *أعثر على حل لأهم لغز على الإطلاق*".

"هل تعني، ما إذا كان باندي قد قُتل؟".

"لا، هناك سؤال أكثر أهمية من هذا، وهو: *لماذا نسعى إلى حل هذه المسألة من الأساس؟* إنها ليست المرة الأولى على الإطلاق التي أحاول فيها أن أكتشف إن كانت وفاة عرضية هي في الحقيقة جريمة قتل. لقد فعلت هذا مرات عدة من قبل، ولكن فقط عندما يأتي إليَّ شخص جدير بالثقة ويخبرني بأن الأمر في الحقيقة ليس كما يبدو عليه، أو عندما يتسلل الشك إلى نفسي بناءً على ملاحظاتي. وأي من هذه الظروف لا تنطبق على مشكلتنا الحالية".

وافقته قائلًا: "بالفعل"، كنت أعلم تمامًا أنه بينما أغرق نفسي في نزوات بوارو ورولاند ماكرودن ورئيس الشرطة، سيظل العمل يتراكم على مكتبي في سكوتلانديارد.

قال بوارو: "بدلًا من هذا، وصلنا اقتراح بأن السيد باندي ربما يكون قد قُتل من قبل شخص نعلم يقينًا أنه ليس جديرًا بالثقة؛ شخص يكتب الخطابات ثم يوقعها باسم شخص آخر. كما نعلم، بما لا يدع مجالًا للشك، أن مرسل هذه الخطابات محتال، وكاذب، ومتسبب في الفوضى! ولو قررت ألا أتخذ أية خطوات أخرى، وأوجه اهتمامي إلى أمور أخرى، فلن يلومني أحد على قراري هذا".

قلت له: "لم أكن لألومك دون شك".

"ولكن.. خيوط القضية، لقد اجتذبت بنجاح انتباه هيركيول بوارو. أريد أن أعرف لماذا كانت الآنسة أنابيل تريدواي تبدو حزينة إلى هذه الدرجة؟ ومن أرسل الخطابات؟ ولماذا؟ ولماذا أربعة منها؟ ولماذا إلى هؤلاء الأشخاص الأربعة بالتحديد؟ هل يعتقد حقًّا الشخص المسئول عن إرسالها أن بارناباس باندي قد قُتل، أم أن الأمر برمته لا يزيد على مجرد خدعة أو فخ؟ ماذا لو كان هو نفسه القاتل إلى جانب كونه مرسل الخطابات؟ هل هو مجرم واحد الذي يجب أن أبحث عنه، أم اثنان؟".

"حسنًا، إن كان مرسل هذه الخطابات هو القاتل أيضًا، فسيكون أكبر أحمق على وجه الأرض: "عزيزي بوارو، أريد أن ألفت انتباهك إلى حقيقة أنني ارتكبت جريمة قتل في ديسمبر الماضي، ويبدو أنني قد أفلت بجريمتي"، لا يوجد أحد بهذا القدر من الغباء".

"ربما. ومن المحتمل يا كاتشبول أن هناك شخصًا ليس غبيًّا على الإطلاق يحاول التلاعب بي، ولكنني لا أستطيع معرفة غايته من ذلك".

"لماذا لا ترد عليه بتلاعب آخر من جانبك؟ لا تفعل شيئًا على الإطلاق، وسيدفع هذا مسبب الفوضى إلى إرسال المزيد من الخطابات، وربما يرسل إليك أنت خطابًا مباشرة المرة التالية".

"إن كنت صبورًا بما يكفي .. ولكن ليس من طبيعتي أن أجلس دون أن أفعل شيئًا؛ لذا .."، ثم صفق بوارو بيديه، وقال: "ستبدأ أنت على الفور بفحص جميع حجج الغياب وجميع الآلات الكاتبة".

"في العالم؟ أم جميع الآلات الكاتبة الموجودة في لندن؟".

"يا لظرفك يا صديقي. لا، ليس التي في لندن فحسب، بل التي في مدرسة تورفيل، وفي كومبنجهام هول أيضًا. أريدك أن تختبر جميع الآلات الكاتبة التي يمكنك العثور عليها، ومن المحتمل أنها قد استُخدمت بواسطة أي من الأشخاص المتورطين في الأمر. حتى يوستيس!".

"ولكن، بوارو ..".

"كما يجب عليك أن تعثر على فينسنت لوب، وأن تسأله عن سبب العداء القديم بينه وبين بارناباس باندي. وأخيرًا - ولأنني لا أريد أن أثقل كاهلك بالكثير من المهمات- من فضلك اعثر على طريقة لإقناع رولاند ماكرودن بأن يفعل ما نحتاج منه إلى فعله في حفل عشاء نقابة المحامين".

قلت: "ألا يمكنك التعامل أنت مع ماكرودن، يبدو أنه قد يستمع إليك أكثر مما قد يستمع إليَّ".

سألني بوارو: "ما رأيك به؟".

"صراحة، إنه لا يعجبني كثيرًا منذ أن سمعته يقول إنه سيسعده أن يشنق ابنه بنفسه".

"*إن* كان قاتلًا.. ورولاند ماكرودن واثق بأن جون ليس بقاتل؛ لذا، عندما يقول إنه سيقدمه بنفسه إلى حبل المشنقة، فإنه بالنسبة إليه لا يعنيه هو ابنه، بل نسخة خيالية من جون. لهذا السبب تمكن من قولها، ويؤمن بأنه يعنيها. لا تقلق يا صديقي: إن ارتكب جون ماكرودن جريمة قتل، فسيبذل والده قصارى وسعه لينقذه من العقاب. وسيقدح زناد فكره حتى يعثر على طريقة لإثبات براءة جون".

قلت: "ربما كنت محقًّا. هل تعتقد أنه ربما يكون من أرسل الخطابات الأربعة؟ فكِّر في الأمر على النحو التالي: إنه يعرِّض ابنه للخطر متعمدًا حتى يهب لإنقاذه، ومن ثم يجبر جون على الاعتراف بأنه أب مخلص، وليس الغول الكريه الذي يراه جون. وإن تمكن في أقرب فرصة من أن يقول لجون: "لقد جعلت هيركيول بوارو يعمل من أجلك، وتمكن من تبرئتك". وعندما يرى جون أن هذه حقيقة لا يمكن إنكارها، قد تتحسن العلاقة بينهما بدرجة كبيرة".

قال بوارو: "ويرسل خطابات إلى ثلاثة أشخاص آخرين أيضًا، حتى لا يبدو الأمر كأنه يتعلق بجون وحده؟ هذا محتمل. كنت أفكر في احتمال أن تكون أنابيل تريدواي هي من كتب الخطابات، هو الأكثر ترجيحًا، ولكنه قد يكون رولاند ماكرودن".

سألته: "لماذا أنابيل تريدواي خاصة؟".

"هل تذكر، لقد تحدثت عن الهوية التي قد يسعى مرسل الخطابات إلى إخفائها؟ وسألني حينها رولاند ماكرودن عما إذا كنت أعني هوية قاتل بارناباس باندي".

"نعم أذكر".

"ما كنت أعنيه يا صديقي، هو هوية *من أثار الشكوك*. كنت أفكر في هذه النظرية وأنا أضع أنابيل تريدواي في ذهني".

أخذت رشفة من مشروبي، وانتظرت أن يواصل حديثه.

تابع بوارو حديثه قائلًا: "إن كان هناك من قتل السيد باندي، فسيكون الشخص الأكثر ترجيحًا هو خادمه، كينجزبيري. فمن منطلق المعلومات التي حصلنا عليها، كانت لديه فرصة سانحة ليفعل ذلك. كانت النساء الثلاث في المنزل مجتمعات معًا في غرفة واحدة، بابها موصد، ومن المرجح أنهن كن يتحدثن بمرح وصخب، ولم يكن قادرات على رؤية أو سماع أي شيء".

"دعنا نفترض أن الآنسة تريدواي -التي لم أر أنها امرأة شجاعة، أو واثقة بنفسها- تشك في أن كينجزبيري قد قتل جدها، ولا يمكنها إثبات هذا الأمر، لذا، تقدم على مجازفة لتتمكن من إثبات شكوكها. وتقرر أن هيركيول بوارو قد يتمكن من إثبات صحة شكوكها، ولكن، لماذا، في *هذه* الحالة، لم تأتِ إليَّ مباشرةً، وتطلب مني المساعدة؟".

قلت له: "لا يمكنني التفكير في أي سبب يمنعها من فعل ما قلته".

"ماذا لو كانت تخشى أن يكتشف كينجزبيري ما فعلت؟ ربما توقعت أن الأمر سيكون صعبًا لإثبات أن رجلًا طاعنًا في السن قد أُغرق تحت الماء في حوض استحمامه. كيف يمكن إثبات هذا من الأساس في ظل وجود السيد باندي وكينجزبيري وحدهما في الحمام في ذلك الوقت؟".

"فهمت؛ لذا، فقد اعتقدت أنه من المحتمل أن ينجو كينجزبيري بفعلته؟".

"بالضبط، وسيقف القانون عاجزًا عن عقابه، بسبب عدم كفاية الأدلة. وفي الوقت ذاته، سيعلم هو -القاتل- أن أنابيل تريدواي هي من نقلت شكوكها إليَّ، فما الذي سيمنعه من قتلها بعد ذلك؟".

لم أقتنع بتلك النظرية على الإطلاق، وأخبرته بهذا قائلًا: "إن كان هذا ما تخشاه، لكانت هناك خطة أكثر بساطة كثيرًا. فقد كان يمكنها أن ترسل *إليك* خطابًا من مجهول تتهم فيه كينجزبيري، بدلًا من أن تتهم نفسها وثلاثة أشخاص آخرين في خطابات تتظاهر فيها بأنها *أنت*. ربما كان هذا أسلوبًا مباشرًا بشكل أكبر".

وافقني بوارو قائلًا: "هذا صحيح. لأسباب خاصة بها، ربما كان يبدو لها مباشرًا بدرجة *مفرطة*. وربما شك كينجزبيري في أنها من كتبت هذا الخطاب،

حيث إنها كانت في كومبنجهام هول عندما توفي السيد باندي. وستكون واحدة من بين ثلاثة مشتبهين بهم واضحين، وسيكون المشتبهان بهما الآخران هما شقيقتها وابنة شقيقتها، ويبدو أنها تحبهما كثيرًا، ولم تكن لتخاطر بحياتيهما أيضًا. لا، لا، إن نظريتي أفضل. وبينما تم إرسال خطابات إلى مجموعة من الأشخاص المختلفين، ومن بينهم أنابيل تريدواي نفسها، صارت هي نفسها متهمة بقتل جدها. وأعتقد أن هذا لن يؤدي بـ كينجزبيري إلى اعتقاد أنها تشك في أنه القاتل. هل فهمت ما أعني يا كاتشبول؟".

"نعم، ولكن ..".

"وقعت الخطابات الأربعة باسم هيركيول بوارو، وبهذا تكون قد ضمنت مشاركتي في الأمر. وبمجرد أن أشترك في الأمر، وبمجرد أن أعلق في الخطاف، وتجذبني صنارتها مثل السمكة، لا تقدم هي على أية حركة أخرى على أمل ألا تكون جهودها قد ضاعت هباءً، وأنني سأحقق في هذا الأمر، وأكتشف أن كينجزبيري مذنب، وكذلك التوصل إلى السبيل لإثبات هذا".

"حسنًا، ولكن لماذا اتهمت الأشخاص الثلاثة الآخرين؟ كان يمكنها أن ترسل خطابًا *واحدًا*، إلى نفسها، موقعًا باسمك، دون أن تتهم أي شخص آخر بقتل جدها".

قال بوارو: "إنها امرأة شديدة الحذر والارتياب".

ضحكت قائلًا: "حقًّا؟ لقد دحضت بنفسك نظريتك المثيرة! فلا أحد يتسم بالحذر الشديد قد يقدم على وضع خطة مثل هذه".

"حسنًا، ولكن عليك أيضًا أن تضع في اعتبارك مدى يأسها".

قلت: "أخشى من أننا قد دخلنا إلى عالم الخيال المحض".

"ربما قد فعلنا، وربما لا. أتمنى، في القريب العاجل، أن أعرف. على أية حال، إن الخطوة التالية واضحة".

"ولكنها ليست واضحة بالنسبة إليَّ".

"بل واضحة يا كاتشبول، فقد أعطيتك التوضيحات: فينسنت لوب، وحجج الغياب، والآلات الكاتبة".

شعرت بالراحة؛ لأن طلبه بإقناع رولاند ماكرودن بأن يتصرف كما يريد بوارو في حفل عشاء نقابة المحامين بدا أنه لم يعد ضمن قائمة المهمات، فقلت: "وماذا ستفعل أنت، بينما أبحث أنا عن حرف الياء الذي به العيب؟".

سألني بوارو: "أليس هذا واضحًا؟ أول ما سأفعله في الغد هو أنني سأتوجه إلى ضيعة كومبنجهام هول. وسنرى أية إجابات قد أعثر عليها هناك".

قلت مبتسمًا: "رجاءً تكرم وافحص الآلات الكاتبة عندما تكون هناك، حيث إنك ستذهب على أية حال".

"بالطبع يا صديقي، سيتكرم بوارو بفعل ذلك".

الفصل ١٤

في ضيعة كومبنجهام هول

كانت هناك عدة أسباب - كما كان بوارو يفكر، فيما كان يحدق إلى واجهة المنزل في اليوم التالي - تجعل كومبنجهام هول منزلًا جميلًا. كانت السماء مشرقة بفعل أشعة شمس الشتاء، وكانت الحرارة معتدلة بالنسبة إلى شهر فبراير. في دعوة لجميع الزوار بشكل واضح إلى الدخول، كان باب المنزل الأمامي مواربًا. لم يكن لأحد أن يجادل في كون هذا المنزل جميلًا وأنيقًا. وكان المنزل محاطًا بكل ما قد يأمل المرء فيه: حدائق غنّاء، مجزوزة العشب، وعلى مسافة من المنزل كانت ثمة بحيرة، وملعب تنس، وكوخان، وبستان، ومنطقة تكسوها الأشجار، ورأى بوارو كل هذا من نافذة السيارة التي أحضرته إلى هنا من أقرب محطة قطار.

ولكنه ظل خارج المنزل مترددًا في الدخول، قد يفتخر المرء بامتلاك مثل هذا المنزل والعيش فيه، ولكن هل يمكن أن يحبه؟ كان الباب المفتوح يدل على الإهمال أكثر مما يدل على الترحاب، فبدلًا من أن يكون متناغمًا مع البيئة المحيطة به. مثلما يُفترض بالمباني أن تكون، بدا غير متناغم على الإطلاق -يكتنفه الغموض إلى حد ما- كأن روحًا شريرة قد هبطت من الأعلى، ووضعته حيث هو، بهدف أن

ينخــدع النـاس، فيظنوا أنه ينتمي إلى هذا المكان. قال بوارو مخاطبًا نفســه: "أو ربما أصبحت رجلًا مسنًّا أحمق يتخيل مثل هذه الأمور".

ظهرت امرأة في الأربعين من عمرها تقريبًا، أو يزيد قليلًا، ترتدي ثوبًا أصفر اللون به حزام رفيع، على عتبة الباب، وحدقت إلى وجه بوارو دون أن تبتسم.

فكر بوارو في نفســه: "فلتزدد الأمور غرابة". كانت هناك سـمة مشتركة بين المرأة والمبنى الذي ظهرت منه. كانت امرأة جميلة بلا شـك، ذات شـعر ذهبي، وملامح متناسقة جميلة، ولكنها كانت تبدو ..

غمغم بوارو مخاطبًا نفسه: "غير ودود".

رسم بوارو أفضل ابتساماته على وجهه، وسار مسرعًا نحوها، وقبل أن يعرّفها بنفسه قال: "مساء الخير سيدتي".

مدت يدها نحوه ليصـافحها، وقالت: "يسـعدني لقاؤك"، علـى الرغم من أن وجههـا لم تبـدُ عليه أية تعبيـرات. "أنا لينـور لافينجتون، تفضـل بالدخول، إننا مستعدون للقائك".

فكـر بوارو في غرابة هذا الأمـر، بقوله: إن هذا يبدو، بالنسـبة إليهم، كما لو كان محنة يجدر بهم تحملها. تبعها بوارو إلى مدخل شاسـع، وخالٍ من الأثاث، به درج من الخشب الأسود في أقصى الجانب الأيسر، وصفٌّ مكون من ثلاثة مداخل مقنطرة نحو الأمام مباشرة. ومن خلفها كان هنـاك رواق مقبب، ثم ثلاثة مداخل مقنطرة أخرى تؤدي إلى قاعة طعام تحتوي على طاولة خشـبية، طويلة وضـيقة، وتحيط بها الكثير من المقاعد.

اقشـعر بدن بوارو، فقد كانت درجة الحرارة داخـل المنزل أقل منها خارجه، وكان السـبب في هذا واضـحًا. أين ذهبت الجدران؟ أين الأبواب التي تفصل بين الحجرات؟ من حيث يقف، لم يتمكن بوارو من رؤية أي منها، وأسـرَّ في نفســه أنه من الخطأ أن يسير في منزل يمكنه رؤية طاولة طعامه من بعيد.

شعر بالكثير من الراحة عندما قادته لينور لافينجتون إلى غرفة جلوس أصغر حجمًا، وأكثر دفئًا، يكسو جدرانها ورق حائط لونه أخضر فاتح، وفيها نار مشتعلة

في المدفأة، ولها باب يمكن إغلاقه. كانت هناك امرأتان أخريان تنتظرانه في الداخل: أنابيل تريدواي وامرأة أصغر عمرًا كثيرًا، عريضة المنكبين، ذات شعر داكن، وعينين تنمان على الذكاء، وتكسو أحد جانبي وجهها الكثير من الندوب، على طول رقبتها بداية من أسفل أذنها. فكر بوارو: لا بد من أنها أيفي لافينجتون، كان يمكنها أن تخفي تلك الندوب عن طريق تصفيف شعرها بصورة مختلفة، ولكن يبدو أنها اختارت ألا تفعل ذلك.

كان هناك كلب ضخم يكسوه الكثير من الشعر البني الزغبي -المجعد في بعض الأماكن- يجثو تحت قدمي أنابيل تريدواي، واضعًا رأسه في حجرها. عندما دخل بوارو الغرفة، نهض الكلب، وأسرع عبر الغرفة ليحيي الزائر الجديد. ربت بوارو عليه، فرفع الكلب قدمه الأمامية، وربت عليه في المقابل.

"يا إلهي! إنه يحييني!".

قالت أنابيل تريدواي: "إن هوبي هو أكثر كلاب العالم ودًّا. هوبسكوتش، هذا السيد هيركيول بوارو!".

قالت لينور لافينجتون: "هذه ابنتي أيفي". لم يبدُ في نبرة صوتها ما يشير إلى أنها تقصد بعبارتها هذه أن توبخ شقيقتها.

قالت أنابيل: "نعم بالطبع، هذه أيفي".

قالت الشابة الصغيرة بصوت دافئ وعميق: "مرحبًا بك سيد بوارو. إنه ليشرفني لقاؤك".

كان هوبسكوتش لا يزال عند قدمي بوارو ناظرًا إلى الأعلى نحوه، ورفع قدميه الأماميتين ليربت في الهواء كأنه لا يجرؤ على لمس المحقق مرة ثانية.

قالت أنابيل: "يا للروعة! إنه يريدك أن تلعب معه. بعد لحظات سيرقد على ظهره، وينتظر منك أن تربت على بطنه".

قالت شقيقتها: "أعتقد أن السيد بوارو لديه أمور أكثر أهمية ليفكر فيها".

"نعم بالطبع، آسفة".

قال لها بوارو: "لا داعي للاعتذار".

كان الكلب قد رقد على ظهره بالفعل في هذه اللحظة، فسار بوارو من حوله إلى حيث دعته لينور لافينجتون للجلوس، وجلس في أحد المقاعد. وفكر بوارو، لا يمكن أن تكون هذه هي غرفة المعيشة الرئيسية في منزل كومبنجهام هول، فقد كانت الغرفة صغيرة للغاية، ولكنها كانت الجزء الوحيد من المنزل الدافئ الصالح للمكوث به.

عُرض عليه تناول المرطبات، ولكنه رفض. وأرسلت لينور لافينجتون ابنتها أيفي لتعثر على كينجزبيري، وتخبره بأن يعد شيئًا ما للأكل والشرب، "في حال غيَّر السيد بوارو رأيه". وبمجرد أن غادرت ابنتها الغرفة، قالت: "لا حاجة بنا إلى انتظار عودة أيفي. هل يمكنك أن تخبرني سبب حضورك إلى هنا؟".

أضافت أنابيل بسرعة: "إنك لا تمانع في أن تفسر لها سبب حضورك، أليس كذلك؟ فستفعل هذا أفضل كثيرًا مما سأفعل أنا".

"هل تعنين يا آنسة أنك لم تخبري السيدة لافينجتون بأمر الخطاب الذي وصل إليك؟".

خاطب بوارو نفسه هامسًا: "*لا يمكنني أن أصدق هذا*". يا للبشر: إن غرابتهم لا حدود لها. كيف يمكن لشقيقة أن تخبر شقيقتها بأن المحقق هيركيول بوارو الشهير سيزورهما في منزلهما دون أن تخبرها بسبب زيارته؟ وكيف يمكن للشقيقة الأخرى ألا تسألها عن السبب، قبل أن يصل المحقق؟

"لم تخبرني أنابيل بشيء. أود كثيرًا أن أعرف ما الأمر".

بأكبر قدر ممكن من الاختصار، شرح بوارو الموقف لها. وبينما كانت تستمع إلى ما يقول، كانت لينور لافينجتون توليه اهتمامها كاملًا، وتومئ برأسها من وقت إلى آخر. إن كانت هذه القصة قد فاجأتها، فإنها لم تُظهر أية دلالة على ذلك.

وعندما انتهى بوارو من قصّ ما لديه، قالت: "فهمت"، ثم استطردت قائلةً: "إنه أمر كريه، ولكن ليس بقدر كراهة احتمال أن يكون الاتهام حقيقيًّا، على ما أظن".

"هل ستخبرينني بأنه لا وجود لهذا الاحتمال؟".

"بالطبع لا يوجد. إن جدي لم يُقتل، لا على يدي شقيقتي، أو على يدي أي شخص آخر. لم يكن هناك أحد في المنزل وقت وفاته عدا أنا وأنابيل وأيفي وكينجزبيري، مثلما تعلم بالطبع؛ *لأنك* أخبرتني من فورك بذلك. إن أنابيل محقّة: فقد كنت أنا وهي وأيفي معًا في غرفة نوم أيفي عندما نادانا جدي، وعندما استدعانا كينجزبيري، وعدونا جميعًا نحو الحمام لنعثر على جدي متوفى. ولم تترك أي منا الغرفة خلال الفترة ما بين الحدثين".

لاحظ بوارو أنها تتحدث عن بارناباس باندي بطريقة مختلفة عن شقيقتها، ثم سألها: "ماذا عن كينجزبيري؟".

"كينجزبيري؟ حسنًا، إنه لم يكن في الغرفة معنا .. ولكن، هل يقتل كينجزبيري جدي؟ هذا مستحيل. أعتقد أنك ترغب في التحدث إليه أيضًا قبل أن تنصرف؟".

"نعم يا سيدتي".

"حينها سترى أن فكرتك هذه مستحيلة. هل لي أن أسألك عن سبب إجرائك هذا التحقيق يا سيد بوارو، في حين أن الشرطة والقضاء لا يبدو أنهما يشكان من قريب أو بعيد في أن وفاة جدي كانت نتيجة أي شيء سوى حادث عرضي؟ هل أرسلك أحد؟ أم أنك هنا لترضي فضولك فحسب؟".

"أعترف بأنني فضولي، أنا فضولي طوال الوقت، كما أن والد السيد جون ماكرودن، الذي تسلَّم أحد هذه الخطابات الأربعة، قد طلب مني مساعدته على تبرئة ساحة ابنه".

هزت لينور رأسها، وقالت: "لم أعد أحتمل هذه السخافة. تبرئة ساحته؟ إنها فكرة مثيرة للضحك. إنه لم يكن هنا من الأساس عندما توفي جدي. انتهى الأمر: لقد تمت تبرئة ساحته، ولم تعد هناك حاجة بك وبوالد السيد ماكرودن إلى أن تضيعا المزيد من وقتيكما".

قالت أنابيل، وهي تداعب كلبها تحت ذقنه، حيث عاد إلى صاحبته، ورقد مرة أخرى عند أسفل ساقيها: "ولكننا سنكون سعيدتين بالإجابة عن أسئلتك بالطبع".

"هل لي أن أسأل؟ عندما وصلت إلى هنا، كان باب المنزل الأمامي مفتوحًا".

قالت لينور: "نعم، إنه مفتوح دائمًا".

قالت أنابيل: "هذا بسبب هوبسكوتش؛ إنه يحب الدخول والخروج بحرية فيما بين المنزل والحديقة. إننا نفضل - لينور تفضل - لو أننا تمكنا من إدخاله أو إخراجه، ومن ثم نغلق الباب خلفه، ولكنني أخشى .. إنه ينبح بصوت عالٍ".

"إنه يريد أن يُترك الباب مفتوحًا، وتصر أنابيل على أن ننفذ له رغبته".

قالت أنابيل: "إن هوبي ماهر للغاية يا سيد بوارو، ويفضل أن يُترك الباب الأمامي مفتوحًا؛ حتى يتمكن من الخروج عندما يرغب في ذلك، دون أن يحتاج إلى استدعاء أي منا لفتحه".

سأل بوارو: "إن كان من المعتاد ترك الباب مفتوحًا، أليس من المحتمل أن يكون شخص ما قد دخل المنزل عندما كان جدكما يستحم في يوم السابع من ديسمبر من العام الماضي؟".

"لا، هذا ليس محتملا".

كررت أنابيل كلمة شقيقتها قائلة: "لا، إن غرفة نوم أيفي توجد في مقدمة المنزل، وكانت إحدانا سترى إن كان هناك من يتجه نحو المنزل عبر ممر السيارات في الحديقة، سواء أكان يقود سيارة أم دراجة، أم يسير على قدميه. من المستحيل أننا جميعًا لم نلحظ ذلك".

سألها بوارو: "ماذا لو دخل أحدهم المنزل من الخلف؟".

سألت أنابيل: "ولماذا قد يفعل ذلك؟ من اليسير كثيرًا أن يدخل من الأمام. آه .. أعتقد أنه لكيلا يراه أحد..".

"*بالضبط*".

"إن الباب الخلفي يُترك مفتوحًا أيضًا أغلب الوقت، لكن هوبي يفضل الدخول والخروج من الباب الأمامي".

قالت لينور: "إن الكلب كان سيتردد صوت نباحه في أرجاء المنزل إن كان هناك أحد يحوم حوله، أو إن اشتم رائحة شخص غريب".

قال بوارو موضحًا: "ولكنه لم ينبح عندما دخلت الغرفة".

قالت أنابيل: "هذا لأنك دخلت الغرفة بصحبة لينور، وأدرك أنك ضيف مرحب به".

رفعت لينور لافينجتون حاجبيها قليلًا عندما سمعت هذه الكلمات، ثم قالت: "دعونا نكمل من حيث توقفنا. هل لديك أية أسئلة أخرى يا سيد بوارو، أم أنك اكتفيت؟".

قال بوارو: "للأسف، لم أكتفِ بعد. هل لديكم آلة كاتبة في المنزل؟".

قالت لينور باستغراب: "آلة كَاتبة؟، نعم. لماذا تسأل؟".

"هل يمكنني استخدامها قبل أن أنصرف؟".

"إن أردت".

"شكرًا لك سيدتي. والآن، أريد أن أسأل عن فينسنت لوب. لقد كان أحد معارف جدكما".

قالت لينور: "إننا نعرفه جيدًا. كان هو وجدي يعرف كل منهما الآخر منذ زمن بعيد، وكانا صديقين مقربين، حتى حدث أمر ما جعلهما عدوين".

قالت أنابيل: "وقبل أن تسأل، إننا لا نعلم ماذا حدث بينهما، إن جدي لم يخبرنا قط".

"ربما تعلمان أنه قبل فترة قصيرة من وفاته، كتب السيد باندي خطابًا إلى السيد لوب يعبر له فيه عن تمنيه إنهاء *العداوة* التي دبت بينهما؟".

تبادلت الشقيقتان النظرات، ثم قالت لينور: "لا، لم نكن نعلم هذا، من أخبرك بهذا؟".

"محامي جدكما، السيد بيتر فاوت".

"فهمت".

تنهدت أنابيل وقالت: "يُسعدني أن أفكر في أن جدي فعل هذا، كما أنني لست مندهشة من سماع ما قلت، فقد كان رجلًا عطوفًا ومتسامحًا للغاية".

ثم قالت شقيقتها: "أنابيل، أنت تقولين أمورًا محيرةً".

"هل فعلت هذا يا لينور؟".

"نعم، لقد فعلت. جدنا كان متسامحًا؟ أيًّا كان ما فعله فينسنت لوب، فقد حدث منذ ٥٠ عامًا، لقد ظل الجد يحمل الضغينة في قلبه طوال ٥٠ عامًا. لا أقول إنه كان مخطئًا، أو قاسيًا، عندما فعل هذا، فإن أغلب الناس يحملون الضغائن في قلوبهم، إلا أنت يا أنابيل".

"أنت تحملين الضغائن في قلبك يا لينور".

وافقتها شقيقتها، قائلةً: "نعم، أنا أفعل. *وأنت* متسامحة بطبيعتك، ولكن ليس الجد".

بدا أن هذا التصريح قد أحزن أنابيل، فقالت: "لا، أنا لست كذلك. من أكون أنا لأسامح أي شخص؟ أنا.."، ثم طرفت بعينيها الدامعتين، وعادت لتقول: "هذا صحيح، لقد سامحت جدي على تجاهله هوبي، وعلى تجاهل سكيتل من قبله، وعلى تفضيله لينور عليَّ. لقد سامحته لأنه سامحني! كان يرى أنني أمثل خيبة أمل كبيرة، ولكنه بذل قصارى جهده ليخفي هذا. كنت أعلم ما يشعر به نحوي، ولكنني كنت أقدر الجهود التي يبذلها كل يوم لكي يخفي هذا الشعور".

قالت لينور لافينجتون مخاطبة بوارو: "إن شقيقتي مستاءة"، ثم رسمت ابتسامة صغيرة أنيقة على شفتيها، واستطردت قائلة: "إنها تميل إلى المبالغة. إنني أتساءل أين ذهبت أيفي؟ آمل ألا تأكل الطعام المعد من أجلك يا سيد بوارو".

سأل بوارو أنابيل: "لماذا كان جدك يرى أنك خيبة أمل؟".

قالت: "أعتقد أن هذا يرجع إلى أن لديَّ شقيقة كبرى متفوقة".

"كفي عن سخافتك يا أنابيل!".

"لا يا لينور، هذه هي الحقيقة. إنك متفوقة عليّ كثيرًا. أنا أعتقد هذا، وجدي كان يعتقد هذا. لقد كانت لينور فتاته المفضلة يا سيد بوارو، وكان محقًّا في هذا. إنها تتحلى بالكثير من الإصرار والكفاءة والقوة، مثلما كان جدي تمامًا، كما أنها تزوجت ومنحته أحفادًا، واستمر نسل العائلة بفضلها. في حين يبدو أنني كنت أريد أن أقضي وقتي كله مع كلابي، والأسوأ من هذا، أنني عانس دون أطفال".

قالت لينور مخاطبة بوارو: "لقد تقدم الكثيرون لطلب الزواج بأنابيل، وكان أمامها الكثير من الرجال للاختيار من بينهم".

"اعتقد جدي أنني كنت أختفي مع الحيوانات؛ لأنني لا أستطيع التعامل مع البشر، وربما كان محقًّا. أعتقد حقًّا أن الحيوانات أقل إثارة للمشكلات من البشر، كما أنها أكثر إخلاصًا. إنها تحب المرء بغض النظر عن عيوبه. آه - أنا لا أشكو جدي، أو أي شخص آخر. سيحزنني إن فكرت في هذا! لقد بذل قصارى جهده، ولكنني خذلته بشدة، لقد خذلت .."، ثم قطعت عبارتها، وتنهدت بقوة، ثم قالت: "ها قد عادت أيفي"، وبدا عليها أنها تحاول تغيير الموضوع.

سألها بوارو، عن السبب في كونها بدت خائفة فجأة، كأن طيف بارناباس باندي نفسه قد دخل الغرفة: "ما الذي تعنيه يا آنسة؟".

انفتح الباب، ودخلت أيفي لافينجتون، ورأت وجه عمتها، وبدا الانزعاج على وجهها، وسألتها: "ماذا حدث؟".

قالت لينور لافينجتون: "لا شيء". من منطلق أن أيفي لم تسمع شيئًا من تفسير بوارو سبب حضوره إلى كومبنجهام هول، فقد كانت هذه الإجابة غير شافية على الإطلاق.

سأل بوارو أنابيل تريدواي مرة أخرى، قائلًا: "كيف خذلت جدك؟".

قالت بصوت متحشرج: "لقد أخبرتك بالفعل. كان يأمل أن أتزوج وأنجب أطفالا".

فكَّر بوارو في أن هناك أمرًا ما تصر على إخفائه، وقرر ألا يبحث في هذا الأمر الآن. وأمِل أن تتوافر فرصة أخرى ليسألها فيما بعد، ربما عندما لا تكون شقيقتها وابنة شقيقتها حاضرتين، ستتحدث بحرية أكبر.

ثم التفت بوارو إلى لينور لافينجتون، وقال: "إن لم يكن الأمر مزعجًا بالنسبة إليك يا سيدتي، هل يمكنك أن تريني الحمام الذي غرق فيه جدك؟".

قالت أيفي: "سيكون هذا رهيبًا، أليس كذلك؟".

تجاهلتهـا والدتها، وقالت مخاطبة بوارو: "نعم بالطبـع. إن كنت ترى أن هذا ضروري".

نهضت أنابيل لتتبعهما، لكن لينور قالت لها: "لا".

أطاعت أنابيل الأمر دون أي اعتراض، وعادت لتجلس في مكانها مرة أخرى.

وقالت لها لينور، مقترحةً: "لِمَ لا تخبرين أيفي بما حدث؟ تفضل معي يا سيد بوارو".



الفصل ١٥

مسرح الجريمة المحتملة

كانت الرحلة إلى الحمام؛ حيث توفي بارناباس باندي، تبدو طويلة إلى حد ما. كان بـوارو قد دخل الكثيـر من المنازل الريفية الكبيرة من قبـل، ولكن لم يرَ أيًّا منها كأن ممراتـه لا نهاية لها، مثلما رأى في كومبنجهام هول. وعندما شـعر بأن لينور لافينجتون لا ترغب في تجاذب أطراف الحديث في أثناء سيرهما، انتهز الفرصة ليستعرض في ذهنه جميع الأحداث التي وقعت في غرفة الطابق السفلي.

لقـد تراءى لبوارو، من فـوره، أنه خلال لقائه الثانـي بأنابيل تريدواي، كانت تبـدو أقـل حزنًا كثيرًا اليـوم، لم يكن الأمر يعنـي أنها بدت أكثر سـعادة، أو أنها سـعيدة من الأسـاس -لا، لم تكن كذلك، على الرغم مـن وجودها مع كلبها الذي يبدو أنها تحبه كثيرًا. لا، كان الأمر يبدو أقرب إلى..

هز بوارو رأسـه. لم يتمكن من معرفة ماذا كان الأمر الذي أغضـبه، ثم انتقل بأفـكاره إلـى لينور لافينجتون، وقرر أنهـا واحدة من أولئك الأشـخاص النادرين الذيـن يمكن للمرء أن يتحدث إليهم طوال سـاعات، ويظـل غير قادر على معرفة أي شـيء عن شخصـياتهم. كان الأمر الوحيد الذي شـعر بأنه قد عرفه عنها هو أنها تحب أن تجري الأحداث بطريقة معينة. وكان هناك شيء ما بها، يوحي بأنها

تؤدي واجبًا طوال الوقت. تساءل بوارو إن كانت تخشى الأمر الذي منعت شقيقتها نفسها من البوح به.

"آه!"، قالها بوارو بينما كانت لينور تتقدمه عابرة درجات سلم أخرى.

توقفت لينور، ثم سألته: "هل قلت شيئًا؟". وقد رسمت على شفتيها ابتسامة مهذبة.

"لا، معذرة، سيدتي".

لم يكن يقصد أن يصدر صوتًا، ولكنه شعر بالراحة؛ لأنه توصل إلى ما لفت انتباهه بشأن أنابيل تريدواي: فعلى الرغم من جو الكآبة الذي لا يزال يكتنفها، لكنها تمكنت من تنحية مشاعرها جانبًا كيلا تفكر في شيء إلا مشاعر شقيقتها.

فكر بوارو في نفسه راضيًا: "نعم، هذا صحيح". كانت كلتا الشقيقتين تدرك تمامًا الأخرى، ومنتبهة كثيرًا إلى كل كلمة أو تعبير أو إيماءة تصدر من الأخرى.. سأل بوارو نفسه: لماذا؟ كان الأمر يبدو كأن لينور قد وضعت أنابيل - وبالمثل وضعت أنابيل لينور - تحت نوع من المراقبة السرية. كانت كلتا الشقيقتين بالطبع تدرك أن الأخرى موجودة في الغرفة، تستمع إلى ما تقول، ولكن تتظاهر كل منهما بأنها تستمع بطريقة عادية وعفوية، بينما تركز كل منهما في الواقع على الأخرى بشدة.

فكر بوارو: "إنهما تتشاركان سرًّا ما. إن الشقيقتين تتشاركان سرًّا ما، وكل منهما تخشى أن تبوح الأخرى به لهيركيول بوارو، ذلك الغريب الذي جاء إلى هنا ليدس أنفه في شئونهما الخاصة!".

"سيد بوارو؟".

كان بوارو مشغولاً في وضع نظرياته؛ لدرجة أنه لم ينتبه إلى أن لينور لافينجتون قد توقفت عن السير، ثم قالت: "هذا هو الحمام الذي حدثت فيه المأساة، تفضل بالدخول".

"شكرًا لك سيدتي".

عندما دخلا الحمام، أحدثت ألواح الأرضية الخشبية صوت صرير، بدا كأنه صوت شخص يشعر بألم شديد، ويحاول ألا يلفت الانتباه إليه، كما فكر بوارو في شرود. لم يكن في الحمام الكثير من الأثاث: حوض استحمام فقط في منتصف حجرة الحمام، ومقعد واحد، ورف ذو حافة مكسورة، وفي أحد الأركان صندوق أدراج قصير وعريض، به نقوش أنيقة عند حواف كل درج. وسمع بوارو وصف هذه القطعة من الأثاث من قبل باسم "الخزانة الطويلة"، لكن التسمية لم تكن تنطبق على تلك القطعة التي أمامه، وقد كانت أقرب إلى "الخزانة القصيرة". كان من المفترض أن يكون الخشب لامعًا، ولكنه بدا باهتًا مثل قطع الأثاث التي لم يهتم أحد بتلميعها منذ سنوات.

وعلى الرف، كان هناك شيء واحد فقط: زجاجة صغيرة من الزجاج أرجواني اللون. فسأل بوارو: "ما هذا؟".

قالت لينور لافينجتون: "ما الذي في الزجاجة؟ هذا زيت زيتون".

"في الحمام وليس المطبخ؟".

"إن الجد.. "، صمتت لينور، ثم عادت لتقول بصوت خافت: "لم يكن يستحم الجد قط دون استخدام زيت الزيتون".

"يضعه في مياه استحمامه؟".

"نعم، إنه مفيد لبشرته، كما كان يقول، كما أنه كان يحب رائحته، لا أعلم لماذا"، ثم التفتت بعيدًا، وتوجهت نحو النافذة، ثم قالت: "معذرة يا سيد بوارو، لقد كان الأمر مفاجئًا بالنسبة إليَّ: أن أجد أن التحدث عن وفاته أمر يسير، ولكن هذه الزجاجة الصغيرة ..".

"فهمت، من الصعب جدًّا بالنسبة إليك أن تتحدثي عن الزجاجة؛ لأن ما بها كان شيئًا يستمتع به بينما كان حيًّا. هذه الفكرة تجعلك حزينة".

"نعم، بالفعل، لقد كنت أحب الجد كثيرًا". قالتها كأنه أمر يحتاج إلى تفسير، وليس حقيقة مسلمًا بها.

"هل أنت واثقة يا سيدتي بأنك سمعت السيد باندي يتحدث - بأنك سمعته حيًّا، وهل أنت واثقة بأنه كان صوته؟ ومنذ تلك اللحظة حتى رؤيتك إياه وقد غرق في مياه استحمامه، هل كنت مع شقيقتك وابنتك طوال الوقت؟ ألم تغادر أي منكن، ولو بضع لحظات؟". قالت لينور لافينجتون: "أنا واثقة، واثقة تمامًا بذلك. كنت أنا وأنابيل وأيفي نثرثر بصوتٍ عالٍ، فصاح فينا قائلًا: إننا نزعجه. كان يحب أن يكون المنزل هادئًا".

"هل غرفة نوم الآنسة أيفي قريبة من هنا؟".

"نعم، في الجهة المقابلة من الرواق إلى اليمين قليلًا. كنا قد أغلقنا بابها، ولكن هذا لا يحدث فارقًا كبيرًا في هذا المنزل، كان سيتمكن من سماع حديثنا بكل وضوح على أية حال".

"شكرًا لك سيدتي".

قالت: "سأكون ممتنة لك لو تعاملت بحذر مع كينجزبيري عندما تتحدث معه. إنه منطوٍ على نفسه بعض الشيء منذ وفاة الجد، وأتمنى ألا تكون بحاجة إلى إزعاجه فترةً طويلةً".

وعدها بوارو: "سأجعل اللقاء قصيرًا قدر الإمكان".

"لم يقتل أحد الجد، ولكن إن كان هناك مَنْ فعل، فلا يمكن أن يكون كينجزبيري أبدًا، وهذا لسبب واحد، وهو أن ملابسه كانت ستبتل، إلا أنها لم تكن مبتلة. وسمعته أنا وأنابيل وأيفي يصرخ عندما عثر على .. عندما رأى ما حدث، وبعد لحظات، كنا جميعًا حاضرين هنا معًا. وكانت ملابس كينجزبيري جافة تمامًا".

"ألم تحاولي جذب جدك خارج المياه؟".

"لا، كان جليًّا أنه لم تعد هناك فائدة من محاولة إنقاذه".

"إذن، كانت ملابس شقيقتك جافة أيضًا؟".

بدا أن هذا السؤال قد أغضب لينور، فقالت: "كانت ملابسنا جميعًا جافة، بما فيها ملابس أنابيل، لقد كانت ترتدي فستانًا طويل الأكمام، أزرق اللون، منقوشًا

برســوم زهور بيضــاء وصــفراء. لقد كانت تقف إلى جواري مباشرة، هنا. وكنت سألحظ على الفور إن كان الماء يقطر من كميها! أنا قوية الملاحظة".

قال بوارو: "لا شك لديَّ في هذا".

"إنكَ لا تعني اتهام شـقيقتي بصـورة جدية يا سـيد بوارو، أليس كذلك؟ لقد أُرسـل الخطاب نفسـه إلى ٤ أشـخاص. ماذا لو كان قد أُرسـل إلى ١٠٠ شخص؟ هل كنت سـتظن أن كلًّا منهم مجرم محتمل، حتى إن لم تكن الشـرطة تشتبه في أن الوفـاة جنائيـة، وأن الطبيب الشـرعي قـد أقر بأن الوفاة كانـت نتيجة حادث عرضي؟".

حاول بوارو أن يبدأ الإجابة، لكن لينور لافينتجون لم تكن قد انتهت من حديثها بعد، واستطردت قائلةً: "إضافة إلى أن فكرة أن أنابيل قد تقتل أحدًا فكرة سخيفة تمامًا. إن شـقيقتي ليس من شـيمتها أن تقوم بعمل مخالف للقانون من الأساس، وإن خالفت، ولو قانونًا غير مهم، فإنها تظل تشـعر بتأنيب الضمير إلى الأبد. ولن تخاطـر أبدًا بارتكاب جريمة قتل، إنها كذلـك لا تخاطر بامتلاك نوع مختلف من الكلاب".

دخلـت أيفي لافينجتون إلـى الحمام، وقالت: "الكثير مـن الناس يحبون نوعًا معينًا من الكلاب"، ثم قالت مفسرة الأمر لبوارو: "إن هوبسكوتش من نوع آيدال، وكذلك كان سكيتل، الكلب الذي سبقه".

سألتها والدتها: "هل كنت تتنصتين علينا من خارج الباب؟".

قالت أيفي: "لا، هل كنت تقولين أمورًا لا تريدين أن أسمعها؟".

"إن شقيقتي بمنزلة أم ثانية لأيفي وابني تيموثي يا سيد بوارو. إنهما يهرعان دومًا للدفاع عنها، ويتخيلان أنني أهاجمها، على الرغم من أنني لا أفعل".

"أمي، توقفي عن الشـفقة على نفسـك!". قالتها أيفي في نفاد صبر مرح. "إن خالتي أنابيل هي من اتُهمت بالقتل، وليس أنت. من المسـتحيل أن تكون قد فعلت هذا يا سيد بوارو".

شعر بوارو بالإعجاب بأيفي لافينجتون، فقد كانت تمتلك حيوية الشباب، وفكَّر في أنها الشخص الوحيد الطبيعي في هذه العائلة، ولكنه بالطبع لم يلتقِ بكينجز بيري بعد، فقال: "هل كان هوبسكوتش مع ثلاثتكن في غرفة نومك يا آنسة أيفي، عندما كان جدك يستحم؟".

أجابت لينور لافينجتون عن هذا السؤال بدلًا من ابنتها قائلةً: "بالطبع كان معنا، أينما تذهب أنابيل يتبعها كلبها، يمكن للكلب أن ينطلق بمفرده، ولكن هي غير مسموح لها بذلك. ففي ذلك اليوم عندما ذهبت إلى لقائك في لندن، ظل يعوي ساعةً كاملةً بعدما انصرفت، كان الأمر مثيرًا للأعصاب للغاية".

"سيدتي، هل تسمحي لي بأن أخبرك بأسماء الأشخاص الثلاثة الآخرين الذين وصلت إليهم خطابات تتهمهم بقتل السيد باندي؟".

"لا بأس".

"جون ماكرودن، وهيوجو دوكيريل، وسيلفيا رول. هل تعرفين أيًّا منهم؟".

"هيوجو دوكيريل مدرس في مدرسة تيموثي، ولكنني لم أسمع بالاسمين الآخرين من قبل، عدا حديثك عن السيد ماكرودن في وقت سابق".

"لا تكوني سخيفة يا أماه". قالتها أيفي ضاحكة، ثم استطردت: "بالطبع أنت تعرفين من تكون سيلفيا رول".

"هذا ليس صحيحًا". بدت لينور لافينجتون مرتبكة، ثم سألت أيفي: "هل تعرفينها *أنت*؟ مَن تكون؟". بدا الأمر كأن معرفة ابنتها أمر لا تعرفه هي، شيء لا يمكنها أن تتحمله.

فردت أيفي قائلة: "إنها والدة فريدي رول، إنه زميل تيموثي في المدرسة. وبدأ الدراسة في تورفيل منذ نحو ٦ أشهر، وكان الصبية يتنمرون عليه بصورة بشعة في مدرسته السابقة".

راقب بوارو باهتمام، بينما امتقع وجه لينور لافينجتون، وقالت بتلعثم: "ف .. فريدي؟ فريدي المنعزل غريب الأطوار؟ هل اسم عائلته *رول*؟".

"نعم، ووالدته هي سيلفيا. *لا بد* أنك تعلمين هذا! لماذا تبدين غريبة هكذا؟".

قالت والدتها مرة أخرى ببطء أكبر، وقد زاغت عيناها، وشردتا: "فريدي". من خلال طريقة نطقها الاسم، بدا في نبرة صوتها نوع غريب من الذعر.

"ما وجه اعتراضك الشديد على فريدي المسكين يا أمي؟ ما الأذى الذي سببه لك؟".

بدا كأن سؤال أيفي المباشر قد كسر المناخ المتوتر. فأجابتها لينور لافينجتون باقتضاب: "لا شيء". بدا في هذه اللحظة أنها قد استعادت ذاتها المعتادة، ثم أردفت قائلةً: "لم أكن أعرف اسم عائلته، هذا كل ما في الأمر. وشعرت بدهشة من أنك تعرفينه".

"لقد تحدثت معه ذات مرة عندما ذهبنا إلى زيارة تيموثي في المدرسة. ولاحظت صبيًّا يجلس بمفرده، ويبدو عليه الحزن، فتوجهت نحوه لأتحدث معه. ودارت بيننا محادثة طويلة ومثيرة للاهتمام إلى حد كبير. وقدم إليَّ نفسه بأنه فريدي رول، وقد ذكر لي في أثناء حديثنا اسم والدته، سيلفيا؛ لذا عرفت أن هذا اسمها".

قالت لينور لافينجتون مخاطبة بوارو: "إن هذا الصبي المنعزل ليس صديقًا لتيموثي. لقد أمرت تيموثي بأن يتجنبه في واقع الأمر. أعتقد أن عقله ليس سليمًا؛ إنه من نوعية الصبية الذين قد يفعلون أي شيء".

"أمي!" قالتها أيفي ضاحكة، ثم استطردت: "هل فعلت ذلك حقًّا؟ هل فقدت عقلك؟ إن فريدي من أكثر الصبية المسالمين في العالم؟".

قال بوارو: "في يوم وفاة جدكما، كان من المفترض بكما والآنسة أنابيل أن تذهبن إلى حضور حفل السنة الجديدة في مدرسة ابنك. هذا صحيح، أليس كذلك؟".

قالت لينور: "نعم".

"ولكنكن لم تذهبن إلى الحفل في نهاية المطاف".

"لا".

"لماذا؟".

"لا أذكر".

التفت بوارو نحو أيفي، وقال: "هل تذكرين السبب يا آنسة أيفي؟".

"ربما أرادت أمي أن تتجنب فريدي رول، ولهذا السبب قررت ألا تذهب".

قالت لينور: "لا تكوني حمقاء يا أيفي".

"ربما لأنك قد بدوت شديدة الشحوب عندما ذكرت اسمه يا أمي. لماذا؟ أعلم أنك لن تخبريني بالسبب، ولكنني أرغب بشدة في أن أعرف".

كذلك كان هيركيول بوارو يرغب في أن يعرف.

الفصل ١٦

رجل الفرصة

كان كوخ كينجزبيري الصغير يقع على مسافة قصيرة من المنزل، وخارج الكوخ كان هناك بستان صغير للخضراوات، تحيط به زهور اللافندر، وإكليل الجبل، والزوفا.

اقترب بوارو من باب الكوخ متشوقًا إلى لقاء "رجل الفرصة"، كما بدأ يطلق على كينجزبيري في ذهنه. فإن كانت النساء في كومبنجهام هول صادقات، فسيكون كينجزبيري هو الشخص الوحيد الذي كان بإمكانه قتل بارناباس باندي. هل الأمر بهذه البساطة بالفعل؟ تساءل بوارو. هل سيتمكّن من استخراج اعتراف من الخادم، ويحل اللغز اليوم؟

طرق بوارو الباب، ولم يمر وقت طويل حتى سمع صوت خطوات قدمين متثاقلتين من خلفه، ثم انفتح الباب، ووقف على عتبته رجل نحيل هزيل، ذو بشرة شاحبة متجعدة، وعينين غريبتين تجمعان بين اللونين الأخضر والأصفر. كان يبدو أنه في السبعين من عمره على الأقل. وظن بوارو أنه سيرى رجلًا أنيق الملبس، لكن الطرف السفلي من سرواله كان مغطى بالتراب. وكان الشعر القليل المتبقي على رأسه لونه أبيض، وأشعث، كأن هذا الشعر بقايا شعر مستعار كان يرتديه في الماضي التصق بفروة رأسه.

قدم بوارو نفسه إلى الرجل المسن، وأخبره بسبب حضوره إلى منزل كومبنجهام هول، بداية من زيارة أنابيل تريدواي إياه. ضيَّق كينجزبيري عينيه، وحنى رأسه نحو الأمام، كأنه يواجه صعوبة في رؤية بوارو وسماعه. ظلت الحال على هذا المنوال، حتى أشار بوارو إلى حديثه مع لينور لافينجتون، وذكر أنها من أرسله إلى الكوخ، حينها تغير سلوك الخادم، فصفت عيناه، وانتصبت قامته. ودعا بوارو إلى الدخول.

بمجرد أن جلس بوارو على أحد المقاعد الصلبة في جلسة غير مريحة في تلك الغرفة التي بدت كأنها تُستخدم كغرفة جلوس ومطبخٍ في آنٍ واحد، سأل بوارو كينجزبيري عما إذا كان يعتقد أن بارناباس باندي قد قُتل.

فهز الرجل المسن رأسه؛ الحركة التي بعثرت أكثر الخصل البيضاء على رأسه، وقال: "ليس هذا محتملًا، فقد كانت الفتيات الثلاث في غرفة الآنسة أيفي يدور بينهن شجار، وأحدثن هرجًا، وكان الشخص الوحيد الآخر الموجود في المنزل هو أنا".

"وأنت بطبيعة الحال ليست لديك أية أسباب تجعلك ترغب في قتل السيد باندي، أليس كذلك؟".

"ليس قتله هو"، قالها كينجزبيري مع تأكيد كبير على الكلمة الأخيرة.

"هناك إذن شخص آخر ترغب في قتله، أليس كذلك؟".

"ليس قتله، ولكنني لن أكذب عليك يا سيد بوارو: لقد فكرت عدة مرات منذ وفاة السيد باندي، في أن الرب سيكون رحيمًا بي لو قبض روحي أيضًا".

"لقد كان صديقك ورب عملك، *أليس كذلك؟*"

"أفضل صديق يمكن لإنسان أن يحصل عليه. لقد كان رفيقًا رائعًا. لم أعد أفعل أي شيء منذ وفاته. أصبح الأمر يبدو بالنسبة إليَّ كأنه لا يوجد هدف من فعل أي شيء"، ثم أضاف بسرعة: "ولكنني أقوم بعملي بالطبع، وإن كنت لا أصعد إلى منزل كومبنجهام هول إلا عندما يطلب مني أحدهم هذا، وخاصةً الآن بعد أن توفي".

بعدما رأى بوارو الحركة المرتعشة التي تشبه أجنحة الطيور ليديّ كينجزبيري في أثناء حديثه، شك في امتلاك الرجل القوة التي تمكّنه من إغراق أي أحد. بل كيف أمكنه حتى مساعدة رجل مسن على الاستحمام؟ ربما كان باندي، على الرغم من تقدمه في العمر، يمتلك بنية قوية، وكان يمكنه دخول حوض الاستحمام والخروج منه دون مساعدة.

مال كينجزبيري نحو بوارو، وقال بثقة: "سيد بوارو، أؤكد لك أن السيد باندي لم يُقتل، إن كان هذا هو السبب الوحيد لحضورك إلى كومبنجهام هول.. ربما كان من الأفضل أن توفر على نفسك العناء".

"أتمنى أن تكون محقًّا، ولكن هل تسمح لي بأن أطرح عليك بضعة أسئلة..؟".

"اسأل ما بدا لك، ولكن ليس لديَّ ما أخبرك به أكثر مما أخبرتك به بالفعل. لا يوجد المزيد لأخبرك به".

"أين كنت عندما كان السيد باندي يستحم، وسيدات المنزل في غرفة نوم الآنسة أيفي يحدثن الضوضاء؟".

"كنت هنا، أفرغ حقيبة ملابسي بعدما كنت غائبًا فترةً قصيرةً. لقد أعددت حوض الاستحمام للسيد باندي، ووضعت زيت الزيتون كما أفعل دائمًا، وكنت أعلم أنه يحب البقاء في حوض الاستحمام طوال ٤٠ أو ٤٥ دقيقة كاملة، ففكرت في نفسي، وقلت: "أعلم ماذا سأفعل: سأفرغ حقيبة ملابسي"، وهذا ما فعلته، ثم عدت أدراجي إلى المنزل، معتقدًا أنني سأجد السيد باندي ينتظرني لأجفف له جسده، وأساعده على ارتداء ملابسه. كان هذا عندما عثرت عليه". وارتعش ذقن الرجل المسن عندما تذكر المشهد، ثم أردف قائلًا: "كان راقدًا تحت سطح الماء، ميتًا. لقد كان مشهدًا مروعًا يا سيد بوارو. كانت عيناه وفمه مفتوحةً، لن أنسى هذا المشهد ما حييت".

قال بوارو: "قيل لي إن باب المنزل الأمامي يُترك مواربًا طوال الوقت".

"نعم. إن الكلب لا يحتمل أن يُغلق الباب، ليس قبل التاسعة مساءً، أي موعد نومه، وموعد نوم الآنسة أنابيل. حينها لا يمانع في أن يغلق".

"هل من المحتمل أن يكون هناك شخص غريب قد تسلل إلى المنزل، وأغرق السيد باندي، بينما كانت السيدات في غرفة أيفي لافينجتون، وكنت أنت تفرغ حقيبة ملابسك؟".

هز كينجزبيري رأسه نفيًا.

فسأله بوارو: "ولماذا لا؟".

قال الرجل المسن: "بسبب الكلب، فقد كان سيُجن جنونه. وكنت سأسمعه من مكاني هذا. شخص غريب يحوم حول المنزل؟ لم يكن ليخرج من المنزل حيًّا لو تعامل معه هوبسكوتش".

قال بوارو: "لقد التقيت بـ هوبسكوتش. ويبدو لي كائنًا رقيقًا".

"نعم، إن كنت صديقًا للعائلة، أو ضيفًا مدعوًّا .. ولكنه سريع الخوف، وسيدرك أن هناك خطبًا ما إن أحس أن هناك شخصًا غريبًا يطوف خلسة في الأرجاء".

"أعرف أن السيد باندي ترك لك مبلغًا كبيرًا من المال في وصيته، أليس كذلك؟".

"لقد ترك لي مبلغًا بالفعل، ولكنني لن أنفقه؛ لن أنفق منه بنسًا واحدًا. بل سأتبرع بالمال إلى دار الدكتور برناردو لرعاية الأطفال الفقراء. وقالت السيدة لافينجتون إنها سترتب الأمر من أجلي. ماذا سأفعل بالمال؟ لن يمكن للمال أن يعيد السيد باندي، وإن لم يكن قد مات، ما كنت لأقلق بشأن المال. ولن أقلق بشأنه الآن، حيث إنني سأتبرع به كاملا". كان كينجزبيري يتحدث بصدق وقناعة واضحين، لكن بوارو كان قد التقى الكثير من الكاذبين الموهوبين في الماضي. وفكَّر في أنه من الحكمة أن يتحقق من وصول المال إلى دار الدكتور برناردو بالفعل، وألا يضيع *وهو في الطريق إليه*.

"لقد رأيت إذن المشهد الأكثر ترويعًا عندما عدت إلى الحمام. وعندما صرخت مصدومًا، وظهرت السيدات بعد قليل في الحمام، هل كانت ملابسهن مبتلة أم جافة؟".

"جافة. ولماذا قد تكون مبتلة؟ لم تكن أي منهن قد دخلت إلى حوض الاستحمام، أليس كذلك؟".

"هـل أنت واثق بأنك كنت ستلاحظ إن - على سبيل المثال - كانت أكمام شخص ما أو ثوبه مبتلًا؟".

هزَّ الرجل المسن رأسه نفيًا، وقال: "لو أن سربًا من الإوز كان قد دخل إلى الحمام، لم أكن لألاحظه - ليس والسيد باندي يحدق إلى وجهي من تحت سطح الماء".

"إذن.."، ثم تنهد بوارو في هدوء، واستطرد قائلًا: "لا عليك. هناك سؤال أكثر أهمية أود أن أطرحه عليك. الصخب والضوضاء اللذان كانت السيدات يحدثنهما، بينما كان السيد باندي يستحم..".

قال كينجزبيري: "دعني أخبرك بأنه لم يكن محتملًا. فقد كانت السيدة لافينجتون والآنسة أيفي تصرخان إحداهما في الأخرى، وكانت الآنسة أنابيل تصرخ فيهما لكي تتوقفا، وتبكي بحرقة، ثم صرخت فيها السيدة لافينجتون قائلة إنها ليست والدة الآنسة أيفي، وإن عليها أن تتذكر هذا جيدًا. لقد كان شجارًا فظيعًا. والسيد باندي لم يعجبه ما يحدث، ولا يمكنني أن ألومه على ذلك، فصاح فيهن بأن يصمتن".

سأله بوارو: "هل كنت في المنزل عندما سمعت كل هذا؟".

"لا، كنت خارج الكوخ، وكنت على وشك أن أدخل إليه. كانت نافذة الحمام مفتوحة، فكثيرًا ما كان يتركها مفتوحة، فقد كان يحب أن يكون ماء الاستحمام دافئًا، والهواء المحيط به باردًا. كان يقول إن كلًّا منهما يعادل حرارة الآخر. لقد سمعته يصيح فيهن بكل وضوح".

"بعد طلبه منهن أن يصمتن من أجل أن يسود المنزل الهدوء، هل أمكنك أن تسمع إن كان الجدل قد توقف؟".

"أخشى أنني لم أتمكن من هذا، فغرفة نوم الآنسة أيفي عند مقدمة المنزل، ولكنني لا أعتقد أنه قد توقف، بل أنا واثق بأنه لم يتوقف، أو ربما توقف، ثم عاد ليشتعل من جديد؛ لأنه كان لا يزال دائرًا عندما عدت إلى المنزل. كانت وفاة السيد باندي هي التي أوقفته. لقد رأينه جميعهن تحت الماء، فتوقفن".

سأل بوارو: "إن كان الكلب داخل غرفة مليئة بأشخاص يصرخ بعضهم في الآخر، وإن كانت صاحبته تشعر بالاستياء، أليس من المحتمل، في هذه الحالة، أن هوبسكوتش لم يكن ليتمكن من ملاحظة شخص غريب يدخل إلى المنزل؟ كان باب غرفة نوم أيفي لافينجتون مغلقًا، مثلما أخبرتني السيدة لافينجتون. هل يمكن أن يفشل الكلب في شم رائحة المتسلل أو سماعه، بسبب انشغاله بحالة الحزن التي كانت فيها صاحبته؟".

فكر كينجزبيري في الأمر، ثم قال أخيرًا: "سأعترف لك، لم أفكر في الأمر على هذا النحو حتى هذه اللحظة، أنت محق يا سيد بوارو. في ظل انغلاق باب غرفة الآنسة أيفي، *ربما* لم يلاحظ ما إن كان هناك غريب قد دخل إلى المنزل أم لا، بل من المؤكد أنه كان قلقًا بسبب انزعاج الآنسة أنابيل، ولم يكن ليترك جوارها، وهي في هذه الحالة، ولكنني ما زلت أرجح أنه كان سيسمع صوت الغريب في أثناء العراك، ولكنني لست واثقًا بهذا ثقة تامة".

ظل الرجلان جالسين والصمت يخيم عليهما، والأسئلة معلقة بينهما دون إجابة. وبدلًا من أن يحصل على تفسيرات، شعر بوارو بأنه مهزوم. لقد عادت الاحتمالات لتكون لا نهائية مرة أخرى. ربما لم يُقتل بارناباس باندي من الأساس، أو ربما قتله كينجزبيري، أو أي شخص تمكن من التسلل خلسة إلى الضيعة، ودخل دون أن يراه أحد إلى منزل كومبنجهام هول في ذلك اليوم: سيلفيا رول، هيوجو دوكيريل، فريدي رول، جون ماكرودن.. أي شخص.

فكر بوارو في يأس في أن ما يفتقده هذا اللغز هو المعايير. هناك الكثير من المشتبه في قيامهم بارتكاب جريمة قد لا تكون جريمة من الأساس. وإن كان رولاند ماكرودن قد أقنع ستانلي دونالدسون بأن يمده بحجة غياب زائفة في يوم السابع من ديسمبر، أو إن كانت لينور وأيفي لافينجتون وأنابيل تريدواي يكذبن بشأن وجودهن معًا في غرفة أيفي، فسيزداد عدد المشتبه بهم أكثر.

غمغم بوارو لنفسه: "الدافع. إن الدافع هو ما سيقودني إلى الحل، عندما يمتلك الكثير من الأشخاص الفرصة لارتكاب الجريمة".

"ماذا تقول؟"، قالها كينجزبيري بعد أن انتبه من حالة الشرود التي كان عليها - وكان بوارو قد أصبح مستعدًا لاستئناف الحديث.

وسأله بوارو: "ما الذي يمكنك أن تخبرني به عن فينسنت لوب؟".

"لم يكن السيد باندي يرغب في أن تكون له أية علاقة به؛ ليس طوال خمسين عامًا كاملة. لقد خذله السيد لوب بشدة".

"كيف خذله؟".

"يؤسفني أنني لن أتمكن من مساعدتك خلال هذا الأمر، فلم يخبرني السيد باندي مطلقًا بما حدث، ولم يكن يحب التحدث عن تفاصيل الأمر، لكنه كان يحب التحدث عن الغدر الذي حدث. كان يقول لي: "إنك لن تخونني أبدًا أليس كذلك يا كينجزبيري؟". وكنت أقول له إنني لن أفعل أبدًا". واختتم الرجل المسن حديثه بفخر، قائلًا: "ولن أخونه، ولم أخنه قط".

سأل بوارو: "ماذا كان موضوع الجدل بين أنابيل تريدواي وأيفي ولينور لافينجتون؟".

"لم تكن الآنسة أنابيل جزءًا من الشجار، بل كان الشجار يدور بين السيدة لافينجتون والآنسة أيفي، وكانت الآنسة أنابيل تحاول أن تنهي الشجار بينهما".

"ماذا كان سبب المشكلة؟ هل تمكّنت من سماع ما يدور؟".

"لست ممن يتنصتون على الآخرين، إن كان هذا ما ترمي إليه. كان يمكن للأصم أن يسمع الشجار بينهما، ولكنني بذلت قصارى جهدي حتى لا أسمع ما يدور. لا أعلم إن كانت السيدة لافينجتون تسمح لي بأن أخبرك بما كان يُقال بينها وبين ابنتها".

"ولكن السيدة لافينجتون هي من أخبرتني بأنك الشخص الذي يجب أن أتحدث إليه! كما أنك أخبرتني بالقليل من المعلومات بالفعل، أليس كذلك؟".

قال كينجزبيري: "لم أخبرك بالتفاصيل، كان يمكن للسيدة لافينجتون أن تخبرك بنفسها إن أرادت لك أن تعرف".

"صديقي، سأكون ممتنًا لك كثيرًا إن تمكّنت من مساعدتي خلال هذا الأمر. والآن، بعد أن اتفقنا على أن الكلب ربما لم يسمع أحد الغرباء عند دخوله المنزل.

فقد أصبحت احتمالية قتل بارناباس باندي .. حسنًا، دعنا نقُل إنه لا يمكننا استبعادها. وإن كان قد قُتل، فيجب ألا نترك المجرم يفلت من العدالة".

قال كينجزبيري واجمًا: "أتفق معك على هذا تمامًا. سأخنقه بيديَّ هاتين إن عثرت عليه".

"أرجو ألا تفعل ذلك، بل ساعدني عبر إخباري بالجدل الذي لم تتمكن من منع نفسك عن سماعه".

قال كينجزبيري: "ولكن، إن كان شخصًا غريبًا هو من قتل السيد باندي، فلن يكون لهذه المشاجرة العائلية التافهة أية أهمية في حل اللغز".

قال له بوارو: "عليك أن تثق بي، لقد تمكنت من حل الكثير من ألغاز جرائم القتل من قبل".

قاطعه كينجزبيري، وقد بدت الكآبة في صوته: "أنا لم أفعل، لم أحل أيًّا من هذه الألغاز في حياتي".

"لا يمكن للمرء أن يعرف ما الأمور الضرورية، أو أين تقع الصلات بين الأمور، حتى يظهر الحل. قد تكون التفاصيل التي تبدو غير مهمة على الإطلاق هي الأكثر أهمية في الواقع".

"حسنًا، إن كنت تعتقد أن هذا سيساعدك، على الرغم من أنني لا أرى فيما ستفيدك .. لقد كان الشجار بشأن أمر قالته السيدة لافينجتون للآنسة أيفي، ولم تتقبله الآنسة أيفي بصدر رحب، ثم اتهمت السيدة لافينجتون بأنها تقصد إهانتها، إن كنت تفهم ما أعني؟ كانت تعتقد أنها قالت هذا الشيء حتى تجرح شعورها، لكن السيدة لافينجتون أقسمت على أنها لم تفعل شيئًا من هذا القبيل، وأن الآنسة أيفي تضخّم الأمور، ولكنني أعتقد أنه ربما كان هناك شيء آخر يتعلق بهذا الأمر".

"لماذا تقول ذلك؟".

"لم تكن الأمور تسير في المنزل بصورة طبيعية منذ وجبة العشاء تلك التي سبقت ذلك اليوم ببضعة أيام".

"أية وجبة عشاء؟".

"سيخيب أملك يا سيد بوارو؛ لأنني لم أسمع أي شيء عن هذا الأمر، ولكن كان هـذا عندما بدأت المشـكلة. كنت قد تركتهم جميعًا جالسـين حول الطاولة، وذهبـت لأداء بعضـ أعمالـي الأخيرة لهـذا اليوم فـي أنحاء المنـزل. وكنت في طريقي لأتمنى للأسـرة ليلة سـعيدة قبل أن أخلد إلى النوم، ولكنني لم أكد أصـل إلـى قاعة الطعـام؛ حتى وجدت الآنسـة أيفي تعدو نحوي، ومـرت بي وهي تجري بسـرعة جنونية، وكانت تنتحب، ثم فعلت الآنسـة أنابيل الأمر نفسـه، ثم مرت بي السيدة لافينجتون مسرعة، وقد ارتسم على وجهها تعبير كأنها .. حسنًا، لا أعرف كيف يمكنني وصـفه، ولكنه صـدمني. كانت تطل من عينيها نظرة لم أرَ لها مثيلًا من قبل. حاولت التحدث إليها، ولكنها لم ترني، أو تسـمعني، يا سـيد بوارو. لقد كان الأمر غاية في الغرابة. أعتقد أن أمرًا مريعًا قد حدث".

"هل قلت إن هذا حدث قبل وفاة بارناباس باندي ببضعة أيام؟".

"هذا صحيح، يؤسفني أنني لا أذكر قبل كم يوم من وفاته بالتحديد، ولكنه ربما حدث قبل ٣ أو ٤ أيام، أو ٥ أيام بأقصى تقدير".

"ماذا فعلت عندما اعتقدت أن هناك أمرًا سيئًا قد حدث؟".

"هرعت إلى طاولة الطعام على أمل العثور على السيد باندي، وكنت أخشى أن أتساءل عن الحالة التي سأجده عليها. كان جالسًا على رأس الطاولة مثلما يجلس دائمًا، و..". ثم قطع كينجزبيري حديثه، ثم استطرد قائلًا: "سيد بوارو، لا تظن أنني لم أسـتمع إلى ما قلته عن كيف أن أصـغر التفاصيل مهمة، ولكن من المؤكد أن هناك أمورًا أعلم يقينًا أن السيد باندي لم يكن يرغب في أن يعلمها أحد".

قال بوارو: "هل كان يريد أن ينجو قاتله بفعلته؟".

هزَّ الرجل المسـن رأسـه نفيًا، وقال: "آمل ألا أكون أرتكب خطأً بإخباري لك بهذا، وإلا سـيوبخني السـيد باندي بشـدة عندما نلتقي مجددًا في مكان أفضل".

طرف كينجزبيري بعينيه بضع مرات، ثم قال: "أرجو ألا تخبر أي أحد بما سأقوله لك الآن".

"إن لم يكن ينطوي على أية أمور يعاقب عليها القانون، فلن أفصـح به لأحد. أعدك بهذا".

"كما قلت من قبل: وجدت السيد باندي جالسًا إلى طاولة الطعام، ولكن، ليس هذا هو كل ما كان يفعله" ، ثم خفّض كينجزبيري من صوته، وأردف قائلًا: "لقد كان يبكي يا سيد بوارو. يبكي! لم أره يبكي قط من قبل، ولو مرة واحدة طوال الفترة التي قضيتها معه. كانت دمعة واحدة فحسب، ولكنني رأيتها بوضوح على الضوء المنبعث من شمعة على الطاولة. وقد رآني السيد باندي قادمًا نحوه، فهز رأسه. لم يكن يريدني أن أقترب منه أكثر، ليس وهو على تلك الحالة؛ لذا عدت أدراجي إلى هنا، إلى الكوخ. وحيث إنني -لن تكون راضيًا عني لما سأقوله يا سيد بوارو- لم أعرف قط ما جعله يذرف هذه الدمعة، وجعل جميع الأخريات يهرعن مبتعدات عن الطاولة. كنت أعلم أن السيد باندي لن يرغب في التحدث عن الأمر، فلم أسأله. ولم يكن يحق لي أن أسأل" .

عند عودة بوارو إلى منزل كومبنجهام هول، استقبلته لينور لافينجتون وأنابيل تريدواي والكلب هوبسكوتش، الذي كان يضع كرة برتقالية صغيرة في فمه. قالت لينور: "أتمنى أن يكون حديثك مع كينجزبيري مفيدًا" .

قال بوارو: "لقد أكد الكثير مما قلتماه لي بالفعل" ، لم يكن بوارو في الواقع يرغب في الكشف عن كم المعلومات التي حصل عليها في كوخ الخادم. وأصبح لديه الآن المزيد من الأسئلة التي يرغب في طرحها على الشقيقتين، ولكنه كان بحاجة إلى أن يفكر في طريقة بارعة ليفعل ذلك؛ طريقة لا تعرِّض الرجل المسن للخطر.

ثم سأل نفسه، هل يعني هذا أنه يعتقد أن واحدة من هاتين المرأتين الواقفتين أمامه هي القاتلة؟ إن كانت واحدة منهما قد قتلت باندي، إذن فستكون الأخرى، وكذلك أيفي لافينجتون، تكذبان بشأن وجودهن جميعًا معًا في غرفة أيفي. كان بوارو يثق بأيفي بصورة غريزية، فهل يعني هذا أنه لا يثق بلينور لافينجتون وأنابيل تريدواي، أم أنه يشعر بأنهما غامضتان؟ لكي يتجنب تلك الأسئلة الصعبة، طرح سؤالًا أكثر سهولة.

"إن سمحت لي، قبل أن أنصرف، هل يمكنني أن أستخدم آلتك الكاتبة يا سيدتي؟" . أومأت لينور لافينجتون برأسها بطريقة أدرك بوارو منها أنها على

وشـك أن تقبل، ثم قالت: "سـيد بـوارو، بينما كنت مع كينجزبيـري، تحدثت مع أنابيل عن الموقف العصـيب السيئ الذي وجدنا فيه نفسـينا -وتورطت فيه أنت أيضًـا- وتشـعر كلتانا بأنه من الأفضـل أن نضـع نهاية له. لم يُقتل أحد، ولا أحد يعتقد أن هناك من قُتل. فالقصـة برمتها مختلقة، ولا نعلم كذلك من اختلقها، أو ما غرضه بالتحديد، ولكننا قد نلخص الأمر برمته بأنه نابع من الحقد".

"كل هـذا صـحيح يا سـيدتي، لكن الخطاب الـذي أود كتابته قبل أن أرحل مختلف تمامًا. إنه .. مسألة شخصية".

"حقًّـا؟ أم أنـك ترغـب في أن تتأكـد أن آلتنا الكاتبة هنا هي نفسـها التي استُخدمت لكتابة الخطابات الأربعة؟".

انحنـى بوارو أمامها، ورسـم على وجهه أكثر ابتسـاماته جاذبية، وقال: "أنت ذكية حقًّا يا سـيدتي، أرجو أن تعذريني ألف مرة على محاولتي التافهة لخداعك. ولكن، إن تكرمت لو ..".

"سأتكرم إن تمكنت من إقناع نفسي بأن هذا هو التصرف الصحيح لفعله".

قالت أنابيل بصـوت متوسـل: "إن لينور محقة يا سيد بوارو. لم يكن يجدر بي أن أذهب إليك من الأسـاس، كان يجب أن أذهب رأسًـا إلى الشـرطة، التي كانت ستؤكد لي أنها لا تشك في أنني ارتكبت أية جريمة؛ لأنه، وكما أصبح جليًّا الآن، لا توجد جريمة من الأساس".

ثم قالت شقيقتها: "إننا ندرك أن الأمر لا بد أنه يسبب لك الكثير من الإحباط يا سـيد بوارو، أن تكتشـف أن اسمك قد اسـتُخدم من قبل شخص محتال بغرض التسـبب في المشكلات لك وللآخرين .. ولكن أفضل ما يمكن فعله عندما يحدث أمر مثل هذا، أن تتجاهله برمته، وتعود إلى ممارسة حياتك الطبيعية. ألا توافقني على هذا؟".

"لا يمكننـي تجاهـل هـذا الأمر يا سـيدتي، حتى أفهم سـبب إرسـال هذه الخطابات".

قالت لينور لافينجتون: "لقد انتصر من كتب هذه الخطابات إذن. لقد انتصر عليك، ولكن من المؤكد أنني لن أسمح له بهزيمتي. لهذا السبب، وبكل أسف، يؤسفني أنني مضطرة إلى أن أطلب منك أن تنصرف".

"ولكن، سيدتي .. ".

"معذرة يا سيد بوارو. لقد اتخذت قراري".

لم يفلح أي شيء مما قاله بوارو في إقناعها بالعدول عن قرارها، وبدا أن محاولاته لفعل هذا كأنها تتسبب في ألم جسدي لـ أنابيل تريدواي. وبعد ٣٠ دقيقة، غادر منزل كومبنجهام هول دون أن يتمكن حتى من أن يلمح الآلة الكاتبة الموجودة في المنزل.

الفصل ١٧

خدعة بوارو

مكتبة
t.me/t_pdf

بقـدر ما أمكنه، كان رولاند ماكرودن يرفض أية دعوات إلى مناسـبات اجتماعية تصل إليه، ولكنه، من وقت إلى آخر، كان يشعر بأنه ملزم بحضور مناسبات معينة. يعلم يقينًا أنه لن يستمتع بحضورها، وكان حفل عشاء نقابة المحامين إحدى هذه المناسبات. كانت الضوضاء وحدها كفيلة بأن تجعله يدور على عقبيه، وينصرف مـن فوره: فقد كانـت جميع تلك الأفواه المفتوحة تملأ الهـواء من حوله بثرثرة لا طائل منها. وكان يبدو أن الجميع يتحدثون، ولا أحد يسـتمع، كما هي الحال دائمًا في مثل هذه التجمعات. كان ماكرودن يشعر بأن طاقته تُستنزف إلى أقصى حد.

وكان حفل العشاء مقامًا في فندق بلوكسهام، وهو عبارة عن بناية أنيقة تشتهر بتقديم شـاي ما بعد الظهر. قرر ماكرودن ألا يفعل ما يفعله دائمًا، ألا وهو التنقل من أحد جانبي الغرفة شديدة الازدحام إلى الطرف الآخر، محاولًا تجنب الدخول فـي أيـة أحاديث. وقد قرر في تلك الليلة أن يذعن بدلًا من أن يقاوم. كان سـيقف في مكانــه دون حراك، ويدع الناس تأتي إليه لمجاذبته أطراف الحديث إلى ما لا نهاية. على الأقل، كان هذا سيتطلب جهدًا أقل من جانبه.

سـمع صـوتًا جهوريًّا يقول: "مرحـى، مرحى، مرحـى، أليس هـذا رولي روب العزيز!".

التفـت ماكرودن ناحية الصـوت؛ ليجد نفسـه يواجه رجلًا مـن المفترض أنه يعرف اسمه، ولكنه لم يتمكن من تذكّره. ومن المؤكد أنه لم يطلب من هذا الرجل أن يدعوه بـرولي أو رولاند أيضًا.

"ألم تحصـل على مشروب يا صـديقي العزيز؟ يجب ألا تتلكأ عندما يتعلق الأمر بالمشـروب -ليس مع هؤلاء! سـيختفي الشراب من أمامك قبل أن تدرك ما يحدث!".

من طريقة تحدث الرجل وفمه مفتوح، شـعر ماكـرودن بأن هناك كمية كبيرة من الشـراب قد دخلـت عبر بلعومه، وبدأت هذه اللحظة تتدفق إلى داخل جسـده الشبيه بالبرميل.

"أخبرني يا صديقي القديم، كيف حال السيدة روب؟ لم أرها في أي من هذه الحفلات منذ فترة طويلة، أذكر أنها كانت رائعة الجمال!".

شـعر ماكرودن بالحنق، فقـد توفيت زوجته منذ عدة سـنوات، ثم قال: "يبدو أنـك قد خلطت بيني وبين شـخص آخر". في هذه اللحظة، لمـح بيتر فاوت على مسـافة قصيرة منه، على الجانب الآخر من قاعة الاحتفال. قال ماكرودن للرجل الشـبيه بالبرميـل الذي كان يهز رأسـه، كأنه يسـتعد لتحدٍّ آخر: "هل تسـمح لي بالانصراف؟"، ثم تحرك ماكرودن مبتعدًا عنه. إنه لن يقف، في نهاية المطاف، ساكنًا -لو كان هذا يعني قضاء أمسيته مع الرجل الأكثر كراهةً في الغرفة.

كان قـد أخبـر بـوارو بأنه لـن يخدع بيتـر فاوت، ولكنـه بدأ يتسـاءل في هذه اللحظة، بعدما أصـبح فاوت نصب عينيه: هل كان بوارو محقًّا؟ هل ستنطلي تلك الخدعة الساذجة على فاوت؟ كان ماكرودن يدرك أنه لا يمكن أن تنطلي عليه مثل هـذه الخدعـة .. أو ربما اعتقد هذا؛ لأنه يعلم هدفه جيدًا. من الطبيعي أن يتخيل المرء أن نياته واضـحة عندما يعرفها المرء بنفسـه. لم يكـن بيتر فاوت يعلم أن كلًّا مـن رولاند ماكرودن وهيركيول بوارو يعرف أحدهما الآخر. علاوة على ذلك، دلّ الاحمرار في وجه فاوت، وكوبا الشراب الفارغان في يده، على أنه أقل انتباهًا من المعتاد.

توقف ماكرودن على مسافة قصيرة من حيث يقف فاوت. لم يتمكن من إنكار رغبته في القيام بهذا الأمر. لقد كان رجلًا لديه فضول فكري، وكان يرغب في معرفة إن كان سيستطيع الفوز؛ فالأمر الوحيد الذي كان يقلقه هو فكرة أنه لكي يفعل ذلك، سيعني هذا أنه خضع لإرادة بوارو، ثم بدا كأن الظروف هي من بتَّ في المسألة، حيث لمح بيتر فاوت، ماكرودن وهو يقف بالقرب منه.

فصاح قائلًا: "رولاند ماكرودن!"، ثم توجَّه فاوت إليه، وقال: "ماذا تفعل دون شراب؟ أيها النادل! أحضر كأسًا من الشراب إلى هذا الرجل النبيل من فضلك! ومن أجلي أيضًا إذا تكرمت".

قال ماكرودن مخاطبًا النادل الشاب: "لا تحضر لي شيئًا، شكرًا لك. يكفيني كوب من الماء".

"الماء؟ إنك كئيب للغاية".

قال ماكرودن: "يجب أن نوفر الشراب للاحتفالات. ولا أشعر بالرغبة في الاحتفال هذا المساء". قالها مشددًا على نطق حروفها للإيحاء بأن هناك قصة وراء كلامه؛ قصة على استعداد تام لأن يقصها. حتى هذه اللحظة، لم يكن أي مما قاله يُعد كذبًا، لكن الجزء التالي قد يكون صعبًا.

"يا إلهي! حسنًا، إنه لحظٌّ عثر!". قالها فاوت في أسى، ثم استطرد قائلًا: "يؤسفني سماع هذا. نعم، بلا أدنى شك. أيها النادل، أحضر كأسين من الشراب على أية حال، إن تكرمت. مَنْ يعلم، ربما نجحت في تغيير مزاج صديقي، وإن لم أتمكن، حسنًا .. لن تضيع الكأس الإضافية هباءً. هاها!"، ثم ربت على ظهر النادل، فانصرف الشاب مسرعًا.

"والآن، أخبرني يا ماكرودن، كيف وصلت إلى هذه الحالة المزرية. أيًّا كانت المشكلة، أنا واثق بأنها ليست على درجة السوء التي تعتقدها؛ فالأمور عمومًا يتضح أنها كذلك كما تعلم".

بذل رولاند ماكرودن جهدًا كبيرًا لتخيل الظروف الحياتية المواتية والغريبة. التي تختلف كثيرًا عن حياته، التي قد تدفع شخصًا ما إلى أن يتفوه بتلك الكلمات. ويؤمن بأنها حقيقية.

قال: "إنها ليست مشكلة بقدر كونها إزعاجًا. لا يمكن فعل شيء بشأنها، أو بالأحرى لقد قمت بما يلزم القيام به، فلقد قلت لذلك الشخص السفيه بأن ينصرف، ولكنني أخشى من أنني لم أقلها له بصورة مهذبة، ولكن بعض الأمور تترك غصة في الحلق، ما لا يمكن للشراب أن يغيره!".

لم يكن رولاند ماكرودن قد أدى أية أدوار تمثيلية منذ أيام دراسته. ويذكر أنه كان يكره التمثيل، وكان سيئًا فيه. وسينجح هذا الأمر فقط إن استغل مشاعره الحقيقية - الاستياء والاشمئزاز - من إضفاء سمة الحقيقة على الكلمات الزائفة التي هو على وشك أن يتفوه بها. فكَّر في اتهام ابنه بالقتل من قِبل شخص جبان لم يجرؤ على توقيع خطاب الاتهام باسمه كذلك، وفكَّر أيضًا في قناعة جون بأن والده يكرهه، على الرغم من أن العكس هو الصحيح.

قال مخاطبًا فاوت: "لقد حضر أحد المحققين للقائي اليوم. وانهال عليَّ بالكثير من الأسئلة عن أمور شخصية تخص أحد أهم عملائي؛ الرجل الذي توليت شئونه سنوات طويلة. إنه صديق قديم، ويهمني أمره كثيرًا. كما أن ذلك الرجل المتطفل الوقح، لم يكن ضابط شرطة من الأساس! بل كان محققًا سريًّا يعمل مقابل أجر، لا يملك أية أسباب مقنعة لتقديمها؛ لكي يقنعني بأن أمنحه إجابات عن تلك السلسلة المتطفلة من الأسئلة التي طرحها، وكما قلت لك لقد طردته من مكتبي، ولكن .. يتساءل المرء، كيف يمكن لمثل هؤلاء أن يناموا ليلًا، دون ألا يقض ضميرهم مضجعهم".

بدا الاهتمام على وجه فاوت.

تابع ماكرودن حديثه، قائلًا: "لقد وجد موكلي نفسه مؤخرًا، ودون أي جرم ارتكبه، في موقف حساس لا يرغب في أن يعرفه أحد. هناك شابة متورطة في الأمر - شابة جميلة - وضيعة، يجب التصرف بشأنها، وعائلة لديها نوع خاص من .. الأمور الحساسة. في الحقيقة، إنه لأمر محير تمامًا، وأود بشدة أن أتحدث عنه مع شخص غير متحيز إلى موكلي، وليست له علاقة به، ولكنني بالطبع لم أرد أن أتحدث عن التفاصيل مع ذلك الشخص البغيض هناك".

تظاهـر رولانـد ماكرودن بأن هنـاك فكرة مفاجئة خطرت علـى ذهنه، وقال: "إنني لأتساءل، هل يمكنني استشارتك في هذا الأمر يا فاوت؟ ليس الليلة بالطبع، ولكن إن تمكنت من إتاحة ساعة واحدة لي من وقتك في الأسبوع المقبل؟ لا أرى مانعًا من إخبارك بالأمر ما دمتُ لن أخبرك باسم الرجل المعني".

رُسـم تعبير ينم عن البهجة على وجه فاوت، وقال: "بالطبع! سيسعدني للغاية أن أساعدك".

"شكرًا لك، إنه لكرم منك. وأعذرني لأنني أثقلت عليك بمشكلاتي".

"أنا سـعيد للغاية؛ لأنك فعلت ذلك يا صـديقي العزيز. إنه أمر مدهش للغاية، ولكن المصادفات تقع، أليس كذلك؟ لقد مررت مؤخرًا بتجربة مشابهة بالتجربة التي ذكرتها من فورك".

"حقًّا؟".

"نعـم، كان محققًـا -محققًا معروفًا، واسـمه من المفضـل ألا أذكره مراعاة للسرية، وحضر إلى لقائي، وسألني عما إن كان من المحتمل أن يكون أحد عملائي منذ أمد بعيد، وأحد أصدقائي القدامى قد *قُتل*. إنه لم يُقتل دون شك. لقد غر... إحـم!". تنحنح فاوت لكي يغطي على خطئه، وأردف قائلًا: "لقد كانت وفاته نتاج حادث مؤسـف، ولا توجد أية شـبهة تعمد، أو شـبهة جنائية في الأمر، ولا أحد -لا شـرطي أو محكمة في البلاد- اعتقد أن هناك أية شـبهة، عدا ذلك المحقق. لقد أخبرته بأنه من المسـتحيل أن تكون جريمة قتل، مستحيل تمامًا. إننا نتحدث عن عائلة محترمة، فالفكرة في حد ذاتها مثيرة للضـحك! ولكن ظل زائري يلاحقني بالأسـئلة. كان يريد أن يعرف إن كان هناك أي شـيء آخـر يمكنني أن أخبره به. وأخبرته بأمر إضافي، من باب تقديم المساعدة".

قال رولاند ماكرودن: "كان هذا من أخلاقك العالية، وأكثر مما يستحق".

"حقًّـا؟ حسـنًا، لـم أر أنه قد يتسـبب فـي أية أضـرار. كان الرجل المسـن -صـديقي وموكلـي الراحـل- يبدو كأنه كان لديه شـعور بأن أيامه فـي هذه الدنيا معدودة. وبينما كان يميل دائمًا إلى التصرف بثورة وعدوانية، إذ فجأةً تتغلب عليه الرغبـة في أن يعم السـلام بينه وبين رجل كانت بينهما عداوة قديمة، اسـتمرت

سنوات طويلة. لم أر أن هذا قد يسبب أي ضرر إن أخبرت المحقق به، فأخبرته. وهل اكتفى؟ لا! لقد طرح السؤال نفسه مرة أخرى: حيث سأل إن كان بإمكاني أن أخبره بالمزيد من المعلومات عن العائلة، وعن علاقاتها. كان يمكنني أن أخبره بالمزيد من المعلومات، ولكن بحق السماء لماذا أخبره بقصة لا يمكنني فهمها كاملةً، ولن تفيد في أي شيء بعد أن توفي موكلي؟ من شأن هذه القصة أن تسبب الكثير من الحزن لأفراد معينين من عائلته، إن عرفوا الحقيقة، وكيف يمكنني أن أثق بأن هذا الرجل سيحتفظ بها سرًّا؟".

قال رولاند ماكرودن: "لن تعرف بالطبع. لقد أقدمت على التصرف الصحيح عندما لم تخبره بشيء، كما يجب ألا تشعر بالطبع بأنك ملزم بأن تخبرني بأي شيء إضافة إلى ما أخبرتني به. لا أريدك أن تعتقد أنه بسبب رغبتي في أن أستشيرك فيما يخص شئون *موكلي*، فإنني أتوقع منك أن تقوم بالمثل بأي شكل من الأشكال. على أية حال، لقد توفي موكلك، ويبدو أنه لا توجد أية مشكلة عاجلة لا بد من حلها؛ لذا ربما لا حاجة بك إلى أن تحاول فهم ذلك الشيء: الذي لا يزال مبهمًا".

قطب فاوت حاجبيه، ثم قال: "ومع ذلك أود أن أفهم الأمر، ولكنني لم أتمكن من هذا أبدًا، ولكنك محق: لا يوجد ما يتطلب حله؛ لأن القصة تتعلق بأمر *لم يحدث* من الأساس، وليس أمرًا حدث. إن كنت شعرت بالرغبة في وضع ثقتي في ذلك المحقق وائتمانه على أسرار هذه العائلة؛ الأمر الذي لم أرغب فيه، *كنت سأخبره* عن أحداث لم تقع - وما الفائدة من ذلك؟".

ظهر النادل حاملًا كأسين من الشراب، وكوبًا من الماء. أمسك ماكرودن بكوب الماء، واختطف فاوت الكأسين الأخريين من الصينية متلهفًا. ولم يسأل ماكرودن مرة أخرى إذا كان يريد بعض الشراب أم لا.

قال ماكرودن بينما كان فاوت يتجرع محتويات الكأسين في تعاقب سريع: "لقد أثرت فضولي. لكنني على النقيض من ذلك المحقق الوقح، لن أطلب من أي شخص أن يفصح لي بشيء..".

قال فاوت: "لا أجد ضيرًا من إخبارك، ما دمت سأخفي أسماء أصحاب الشأن. هل تود أن تسمع القصة؟".

أظهر رولاند ماكرودن أنه يرغب في سماع القصة، ولكن دون أن يظهر تحمّسه إلى ذلك. هل يمكن أن تكون هذه الأمسية بالنسبة إليه هي حفل عشاء نقابة المحامين الوحيد الذي استمتع به على الإطلاق؟

قال بيتر فاوت: "إن تلك العائلة ليست من العائلات التي تلتقيها عادةً، إنها لا تعيش في لندن. وعلى أية حال، أنت لست شخصًا مجهولًا بالنسبة إليَّ مثلما كان ذلك المحقق. ولا شك لديَّ في أنني يمكنني الاعتماد عليك كي لا تفصح بأية كلمة سأقولها".

"بالطبع".

"حسنًا إذن: إن الحدث الذي لم يقع هو تغيير الوصية".

"فهمت".

"كان موكلي رجلًا مسنًّا، وكان يخطط دومًا لأن يقسم إرثه بين حفيدتيه بالتساوي. لم يكن أي من أولاده لا يزال على قيد الحياة، وكان بمنزلة الوالد لحفيدتيه اللتين فقدتا كلا والديهما في سن صغيرة".

فقال رولاند ماكرودن من باب الواجب: "يا لها من مأساة!".

"قبل نحو أسبوع من وفاته، دعاني موكلي إلى منزله لمناقشة أمر وصفه بأنه شديد الحساسية. وللمرة الأولى طوال فترة معرفة كل منا بالآخر، كان يتصرف في هذه اللحظة بطريقة - يمكنني أن أقول - حذرة. كان قد خفض صوته، وظل ينظر نحو باب غرفة الجلوس، ويقول: "هل سمعت أحدًا؟"، أو "هل ذلك صوت وقع خطوات أقدام على الدرج؟".

"لم يكن يريد أن يسمع أي أحد ما يدور بينكما، أليس كذلك؟".

"لا، لم يكن يريد هذا. وكان الأمر غريبًا؛ لأنه كان دائمًا ما يفصح عن آرائه صراحة، وعما يريد أن يحدث، ولكن، في تلك المرة، كان يريد أن يكتب وصية جديدة، كانت ستؤثر بالسلب على إحدى حفيدتيه".

سأل ماكرودن: "واحدة فقط؟".

أجاب فاوت: "نعم. كان الأمر سينتهي بواحدة منهما وقد أصبحت ثرية ثراءً فاحشًا، إن تمت كتابة الوصية الجديدة، ولكن كما قلت لك، لم يحدث هذا. بارنا... إحم! مات موكلي في حادث مؤسف قبل أن تتسنى لنا كتابة الوصية الجديدة وتوقيعها، وعلى الرغم من أنها لا تعلم عن هذا الأمر شيئًا، لم تكن الحفيدة الصغرى من حفيدتيه لتصبح امرأة ثرية الآن، إن كان جدها قد عاش فترة أطول قليلًا، حيث كان يخطط لحرمانها من الميراث تمامًا، دون أن يترك لها بنسًا واحدًا!".

"يا إلهي!". نسي رولاند ماكرودن أنه من المفترض به أنه يمثل دورًا، فقد كانت دهشته حقيقية. وكان يأمل ألا يتمكن فاوت من ملاحظة حماسه.

الحفيدة الصغرى من حفيدتيه .. إنها أنابيل تريدواي. هل يمكن أن تكون قاتلة باردة الأعصاب؟ تساءل ماكرودن. لم يكن قد التقاها من قبل، ومن ثم لم يكن لديه ما يمنعه عن اعتقاد أنها ربما تكون كذلك. فقد كان يعرف الكثير من الأشخاص الذين يمكنهم أن يكونوا كذلك. وعلى الرغم من جهود بارناباس باندي الكبيرة، ربما تمكنت الآنسة تريدواي من معرفة نياته، وقررت أن تتخذ إجراءً جذريًّا؛ لكي تحافظ على ميراثها.

قال بيتر فاوت: "حاولت أن أثني موكلي عن قراره، ولكنه كان رجلًا مسنًّا وعنيدًا، ولم يستمع إليَّ. كان قد مارس معي حيلته المعتادة بأن يظل يجادلني بقوة؛ حتى أتوقف عن أية محاولات لإقناعه، وهذه الطريقة كانت تنجح دائمًا! لم ألتقِ من قبل رجلًا واثقًا بقراراته ورغباته إلى هذه الدرجة مثل بارنا... إحم! كما أنه كان يمتلك الكثير من الطاقة التي تمكّنه من التمسك بموقفه، حتى إن كان مخطئًا".

"هل أفهم منك أنك كنت معارضًا قراره في حينه؟ هل كنت تشعر بأنه يعامل حفيدته الصغرى بشكل جائر؟".

"نعم".

"ومن وجهة نظرك، هل كنت ترى أنها لم تفعل شيئًا تستحق عليه هذا؟".

"لا أعلم ماذا فعلت؛ لأن صديقي لم يخبرني، فكثيرًا ما كان متحفظًا بشكل غريب فيما يخبرني به - كان يخبرني بأقل القليل؛ الأمر الذي لم يكن منطقيًّا، حيث إنني كنت بحاجة إلى معرفة التفاصيل؛ لكي أتمكن من إعداد الوصية الجديدة. ربما كان يخشى من أن يسمعنا أحد، أو ربما كان يفكر في إجراء هذا التعديل، ولكنه لم يكن قد اتخذ قراره النهائي بعد".

سأله ماكرودن: "هل كان موكلك معتادًا أن يصب عقابه الشديد على أولئك الذين لا يستحقون مثل هذا العقاب؟".

"ليس دائمًا، لا. ولكن، كما أخبرتك من قبل، إن لديه عدوًّا قديمًا - وفي اليوم نفسه، يوم أن تحدث معي عن رغبته في كتابة وصية جديدة، أخبرني أيضًا بأنه يريد أن يعقد صلحًا مع هذا الرجل، فحثثته على أن يفكر في تحمسه لعقد الصلح مع ذلك الرجل، وسألته عما إذا كان يمكنه أن يفعل المثل مع حفيدته. ويؤسفني أن أقول إنه سخر مني، ثم قال لي شيئًا ما زلت أذكره حتى الآن".

سأله ماكرودن: "ماذا قال؟".

"قال: "بيتر، هناك فارق بين التصرف الذي لا يُغتفر، والشخص الذي لديه شخصية لا يمكن الصفح عنها، لا يهم ما فعله الناس، بل ما يهم هو مَنْ يكونون. قد لا يرتكب المرء خطأً واحدًا طوال حياته، ولا يفعل أي شيء ظاهري يمكن لأي إنسان في العالم بأسره أن يعترض عليه، ولكنه شخص فاسد حتى النخاع".

ثم سأل ماكرودن: "ماذا كان سبب العداوة الطويلة بين موكلك وذلك الرجل الآخر؟".

"يؤسفني أنني لا أعرف. حسنًا -لا أعتقد أن الأمر مهم، حيث إنه لم يعد يحيا على هذه الأرض، ذلك الرجل المسكين. ولحسن الحظ، أوقفت وفاته خطته لكتابة وصية جديدة، وكانت النتيجة أن كلتا الحفيدتين قد تقاسمتا ثروته بالتساوي فيما بينهما. وقد ارتحت كثيرًا إلى أن أيًّا منهما لم تشك على الإطلاق في الأمر الذي كان على وشك الحدوث".

سأل ماكرودن: "أنت مولع بالمرأتين، أليس كذلك؟".

خفض فاوت من صوته، وقال: "نعم. في حقيقة الأمر، كثيرًا ما شعرت بالأسى على المسكينة أناب... إحم! على الحفيدة الصغرى. لقد كانت الحفيدة الكبرى هي المفضلة لدى موكلي، ولم يبذل أي جهد ليخفي ذلك. لقد تزوجت -أي الحفيدة الكبرى- زواجًا مباركًا، ورزقت بطفلين. أما الحفيدة الصغرى فهي.. مختلفة. لقد واجه صديقي صعوبة كبيرة في فهمها، وكان ينزعج دائمًا من رفضها تفسير تصرفاتها".

سأله ماكرودن: "هل كان هناك أمر محدد يريد منها تفسيره؟".

قال فاوت: "نعم، لقد رفضت الكثير من عروض الزواج والكثير من الخُطاب المناسبين الرائعين. وكان موكلي يعتقد أن الخوف هو الذي منعها من قبول أي منهم، وأي مظهر من مظاهر الخوف كان يدفعه إلى الغضب. لقد سمعته يدعو أنابيل بالجبانة في حضورها عدة مرات. وعندما كان يفعل ذلك في كل مرة، كانت تنفجر باكية. وأسوأ ما في الأمر هو أنها كانت *توافقه* دائمًا، كان الأمر سيئًا للغاية. لم أكن أفهم كيف يمكنه أن يوبخها بهذه الطريقة، حتى بعدما كانت تبدأ البكاء، وتقر بجميع عيوب الشخصية التي يتهمها بامتلاكها".

انتظر ماكرودن أن يدرك فاوت أنه قد نطق اسمها بصوت عالٍ، ولكن لم يبدُ عليه أنه قد لاحظ الخطأ الذي وقع فيه. كم عدد كئوس الشراب التي تناولها؟ لا بد من أنه قد شرب زجاجة كاملة حتى الآن.

ثم تابع فاوت حديثه، قائلًا: "كما كان هناك الكلب، الذي كان مصدرًا دائمًا للخلاف. يجدر بي أن أقول، الكلاب؛ أولًا كان سكيتل، ثم هوبسكوتش".

لم يجد أية غضاضة في ذكر اسمي كلبي العائلة إذن.

قال فاوت: "كانت الحفيدة الصغرى تحب الأول، والآن تحب الثاني كأنهما شخصان وفردان من أفراد العائلة. ويؤسفني أن أقول إن موكلي كان يسخر منها بلا رحمة، كما كان يقول عنها إنه مثيرة للاشمئزاز؛ لأنها تسمح للكلاب بأن تنام في فراشها، ولكن الكلاب كانت بالنسبة إليها كالأطفال، *أطفالها*. وذات مرة، طرد الرجل المسن الكلب سكيتل خارج المنزل، وأغلق الباب طوال الليل. ولم يكن الجو شديد البرودة، ولكن كان الكلب معتادًا النوم إلى جوار صاحبته خلال الليل،

واعتقدت أنه شعر بالحزن على نفيه من المنزل. كانت تصرخ في جزع، وكان موكلي يسخر منها، وإحقاقًا للحق، لم يكن يبدو على سكيتل الانزعاج من طرده من المنزل. ولكي أدافع عن موكلي، كان هذا في *اليوم* الذي قام فيه سكيتل.. "، ثم توقف فاوت عن الحديث فجأة، دون أن ينهي جملته.

فسأله ماكرودن: "ماذا كنت ستقول؟".

تنهد فاوت، وقال: "إنه أمر غريب، ولكنني أشعر أنني لو أخبرتك بهذه القصة، فسيبدو الأمر كأنني أهين الموتى. كلب ميت، في الحقيقة، ولكن .. كان سكيتل المسكين حيوانًا لطيفًا، حقًّا، كما أنه كان سليم النية، ولكن لم يكن الرجل المسن مسرورًا بما فعل".

انتظر ماكرودن أن يحصل على تفسير.

أخذ فاوت كأس شراب من صينية أخرى يحملها أحد النادلين المارين؛ كأسًا واحدة فقط هذه المرة، ثم قال: "كادت ابنة حفيدة موكلي، أيفي، تغرق عندما كانت صغيرة. يا إلهي! اللعنة! لقد أخبرتك باسمها. حسنًا، لا بأس، لن يمكنك أن تتعرف بها عبر اسمها الأول وحده. على أية حال.. اسمها أيفي، إنها ابنة حفيدة موكلي الكبرى".

فكَّر ماكرودن في أن أسماء أيفي وسكيتل وهوبسكوتش، واسم أنابيل الذي لم يلحظ أنه قاله، ورجل مسن يبدأ اسمه بـ "بارن"، جميعها قصاصات من القصة ستكون كافية لتحديد الشخصيات الحقيقية للقصة، بفرض أنه اهتم بما يكفي أن يبدأ بحث الأمر، وبفرض أنه لم يعلم بالفعل أية عائلة يتحدث عنها فاوت.

قال فاوت: "أعتقد أن أيفي كانت تبلغ من العمر ٣ أو ٤ سنوات عندما حدث ذلك. كانت خارج المنزل مع خالتها والكلب، تتنزهان على ضفة النهر، وسقطت في الماء. وألقت خالتها نفسها خلفها في الماء، وسحبتها إلى الخارج، معرضة حياتها للخطر خلال ذلك. فقد كان هناك تيار قوي، وكادت كلتاهما تغرق".

سأله ماكرودن: "هل تعني بخالتها الحفيدة الصغرى؟". كان يفكر في أن هذه القصة أظهرت أنابيل تريدواي بأنها بعيدة كل البعد عن كونها جبانة.

"نعم، كانت تسير أمام أيفي الصغيرة بمسافة صغيرة، ولم تتخيل قط أنها قد تتعرض لأي خطر. ولم تكن لتتعرض لأي خطر، لكنها كانت طفلة صغيرة مشاغبة، فقررت أن تنزلق على المنحدر على ضفة النهر. لا أعلم لماذا فعلت هذا، ولكن الأطفال الصغار لا يمكنهم أبدًا مقاومة الانزلاق على المنحدرات الخضراء، أليس كذلك؟ لقد كنت على هذه الشاكلة نفسها عندما كنت صبيًّا صغيرًا".

قال رولاند ماكرودن: "ما لم يكن قد فاتني جزء من القصة، أعتقد أنك لم تتحدث بصورة سيئة عن سكيتل الراحل".

قال فاوت: "ولن أفعل، لم يكن الخطأ خطأه، إنه مجرد كلب، وهذا كل ما في الأمر. لا يمكن للمرء أن يُحمِّل كلبًا المسئولية .. ولكنني أعتقد أن موكلي قد فعل. فكما ترى، لم تكن الخالة - الحفيدة الصغرى - هي الوحيدة التي كانت تحاول إنقاذ حياة أيفي الصغيرة، فلقد حاول سكيتل أيضًا، ولكن كانت محاولة الكائن المسكين لإنقاذها أقرب إلى عقبة من كونها مساعدة؛ إذ خمش وجه أيفي مسببًا لها جرحًا سيئًا، بينما كان يحاول إنقاذها؛ جرحًا سيئًا للغاية. وقد سمعت أنه شعر بالفزع، وراح يتصرف بعدوانية. وقد ترك هذا الجرح ندوبًا عميقة لدى أيفي. إن وجهها.. لقد كان حادثًا مؤسفًا، حادثًا مؤسفًا للغاية. أنا أعلم أن والدتها قلقة من ألا يرغب الرجال في الزواج بها، فأنا واثق بأن هذا ليس صحيحًا، ولكنني أرى أنه قد يكون مصدرًا للقلق".

"وألقى موكلك باللوم على سكيتل بسبب الندوب على وجه أيفي؟".

فكر فاوت في السؤال، ثم قال: "أعتقد أنه يتمتع بما يكفي من العقلانية ليدرك أن الكلب كان حسن النية. كان يلومه أكثر على وجوده. وألقى باللوم على أنابيل -اللعنة! ما زلت واثقًا بأنك ستحافظ على سرية الأمر يا صديقي العزيز- لقد ألقى باللوم على أنابيل على الرغم من أنها أنقذت حياة أيفي، لأنه لولاها، لم يكن لسكيتل أن يوجد في المنزل من الأساس. لا أحد غيرها في العائلة يحب الكلاب، ولكن المثير للاهتمام أنني خلال زيارتي الأخيرة لموكلي في منزله، رأيت أمرًا لم أره من قبل..".

انتظر ماكرودن أن يواصل حديثه.

"لقد رأيته يربت على رأس هوبسكوتش، الكلب الحالي. اعتقدت أنني تخيلت الأمر. فكل ما رأيته منه من قبل أنه يصيح في الكلاب للابتعاد عنه، ويتحدث عنها بقسوة. لقد اعتاد أن يقول عن الكلاب إنها فئران كبيرة الحجم. وكانت عينا أنابيل تترقرقان بالدموع عندما تسمعه يقول هذه الكلمات؛ الأمر الذي كان يستمتع به كثيرًا. وكان يقول لها: "انضجي وتوقفي عن التصرف كطفلة". أعتقد أنه كان يريد أن يزيدها قوة. كان يحبها بقدر حبه شقيقتها الكبرى نفسه، أنا واثق بهذا، ولكنه لم يكن يتقبلها بطريقة تقبله الأخرى نفسها. ثم بعد ذلك، بالطبع.. لا بد أنه قرر أنه لم يكن يحبها من الأساس"، قالها فاوت في أسى.

"هل تعني بسبب خطته لتغيير وصيته؟".

"نعم، إن الطريقة التي تحدث بها عنها عندما ناقشنا الأمر .. لقد اتضح لي من خلالها أنه لم يعد في قلبه حب متبقٍ تجاهها. لا بد أن أمرًا ما حدث قضى على هذا الحب".

"ولكنك رأيته في ذلك اليوم نفسه يربت على رأس كلبها بعطف؟".

"بالفعل، وكم كان الأمر غريبًا. إنه لم يربت على رأس هوبسكوتش فحسب: فلقد داعب أسفل ذقنه، وأنا على يقين بأنه قال له إنه كلب رائع. لم يكن هذا معتادًا منه على الإطلاق، كما قلت لك. والآن، أين ذلك الشاب الذي يحضر الشراب؟".

الفصل ١٨

اكتشاف السيدة دوكيريل

قال بوارو مخاطبًا رولاند ماكرودن: "لقد أذهلتني يا سيدي. لقد أصررت المرة تلو الأخرى على أنك لن تسدي إلى صديقك بوارو هذه الخدمة الصغيرة .. ".

قال ماكرودن معترضًا: "إنها ليست بالخدمة الصغيرة".

" - وأنك لن تستخدم الطريقة التي اقترحتها عليك لتجربها من أجل أن تحصل من بيتر فاوت على المعلومات التي يخفيها، ثم وبعد رفضك، فعلت بالضبط ما أردت منك أن تفعله، وأديت دورك ببراعة منقطعة النظير! لم يكن لممثل بارع أيضًا أن يؤدي الدور أفضل مما فعلت أنت!".

كنا ثلاثتنا نجلس في منزل وايت هافن. وكنت قد اقترحت على ماكرودن أن ألتقي به أنا وبوارو في مقر شركته، ولكنه رفض تمامًا، وأنا أشك بقوة في أنه يتجنب الآنسة مايسون ثانيةً.

قال ماكرودن: "أشعر بالخجل من نفسي؛ لأنني فعلت ذلك. أنا لا أحب التصرف بالطرق الملتوية".

"لقد فعلت هذا من أجل هدف نبيل، يا صديقي".

"نعم، حسنًا .. إن تلك المعلومات الجديدة عن وصية باندي تغير كل شيء، أليس كذلك؟".

وافقته قائلًا: "أعتقد هذا".

قال لنا بوارو: "كلاكما مخطئ. صحيح أن كل حقيقة جديدة نكتشفها قد تكون مفيدة، ولكن هذه الحقيقة، مثلما هي الحال مع الكثير من الحقائق الأخرى التي اكتشفناها، لا تبدو كأنها تفيدنا في شيء".

قال ماكرودن: "إنك لست جادًا، أليس كذلك؟ إن أنابيل تريدواي تمتلك دافعًا قويًا للتخلص من جدها. لن يكون الأمر أكثر وضوحًا: لقد كان على وشك تغيير وصيته، وتركها فقيرة مدقعة".

"ولكن أكدت لي كل من لينور وأيفي لافينجتون أن الآنسة أنابيل لا يمكن أن تكون قد قتلته".

"إنهن كاذبات، إذن".

كنت أميل إلى الاتفاق مع ماكرودن، فقلت: "على الرغم من حبهما الشديد لباندي، فربما تكذبان من أجل حماية أنابيل".

قال بوارو: "أوافقك على هذا. إنهما قد تكذبان من أجل إنقاذ حياة الآنسة أنابيل، وأنها ربما ارتكبت جريمة القتل هذه من أجل ضمان أمنها المادي، على الرغم من أنها شديدة الخوف بطبيعتها -كلا الاحتمالين قائم، ولكن هناك مشكلة واحدة، وهي أنها لم تكن تعلم شيئًا عن تغيير جدها وصيته. ولا يمكن أن يكون هذا دافعها إن لم تكن تعلم شيئًا عنه".

قلت: "ربما كان فاوت مخطئًا في هذا الشأن".

"إن الاحتمالات لن توصلنا إلى شيء يا كاتشبول. نعم، ربما كانت قد سمعت المحادثة بينهما عن تخطيطه لكتابة وصية جديدة في نهاية المطاف، ونعم، ربما كذبت شقيقتها وابنة شقيقتها من أجل حمايتها، ولكن لا يمكن للمرء أن يخرج باستنتاجات مؤكدة بناءً على هذين الاحتمالين".

لقد كان محقًا. عندما تحاول جاهدًا أن تفكر في حل، ثم تدرك فجأة أن هناك ثروة كبيرة يمكن أن تُفقد بسبب اقتراح بتغيير وصية، فمن المغري للغاية أن تقرر أن هذا هو الدافع وراء الجريمة دون شك.

قـال رولانـد ماكرودن: "أود أن أعـرف ما الذي فعلته أنابيـل تريدواي قبل أن يموت باندي. لا بد أنها فعلت أمرًا مريعًا وصـادمًا له، حثه على التصـالح مع عدو قديم، قد استمرت العداوة بينهما عشرات السنوات الماضية".

قال بوارو: "إننا لا نعلم إن كان الحدثان مرتبطين".

قال ماكرودن: "يجب أن يكونا مرتبطين. عندما تشـعر بكراهية تجاه شخص ما، وتتملك منك تمامًا تلك الكراهية، وتكتشـف أن .. حسنًا، ربما تقرر أن تتخلى عن جميع العداوات والأحقاد الأخرى. لا يحب أحد أن يرى نفسه ميالًا إلى المرارة والكراهية".

قال بوارو: "إن ما تقوله مثير للاهتمام، أكمل من فضلك يا صديقي".

"إن كانت هناك نزعة عدوانية نحو شخص ما فإنها تنمو في داخلنا بسرعة كبيرة، وربما تخرج على السـيطرة، فمن الطبيعي أن نشـعر بالحاجة إلى موازنة هذا عن طريق نوع من .. التفاخر بفعل الخير. إن سمحتما لي بأن أخمن، فسأقول إنه عندما قرر باندي حرمان الآنسـة تريدواي من الميراث، فإنه وازن فعلته هذه ببعض أفعال العطف الواضحة: السعي إلى إنهاء العداوة مع عدوه القديم فينسنت لوب، ومداعبة الكلب الذي كان يتجاهله عادةً..".

قال بوارو: "ليجعل نفسـه يبدو رجـلًا عطوفًا وخيِّرًا، أليـس كذلك؟ نعم، *لقد فهمت*، ثم .. يمكننا أن نخمن أيضًا أنه عندما اتخذ هذا القرار، كان شعور السيد باندي بالمرارة تجاه الآنسة أنابيل قويًا للغاية".

أومـأ ماكرودن برأسـه موافقًا، ثـم قال: "لا بد أن يكون هذا هو شـعوره، نعم، حتى تكون نظريتي صحيحة".

سأله بوارو: "هل تجربتك مع الآنسة إيمرالد مايسون هي التي قادتك إلى هذا الاستنتاج؟".

"نعـم. عندمـا صُـعقت للمـرة الأولى من مـدى كراهيتي غيـر المنطقية لها، شعرت بالحاجة إلى.. حسنًا، التخلص من بعض أحقادي الأقل أهمية".

سألته: "هل كان لديك الكثير منها؟".

"البعض، ألا يحمل جميع البشر بعض الأحقاد؟".

قلت: "أنا لا أحمل أية أحقاد. لا أستطيع التفكير في واحد منها. هل لديك أية أحقاد يا بوارو؟".

لم يتمكن بوارو من الإجابة بسبب طرقات مفاجئة على الباب، حيث دخل الخادم جورج الغرفة، وقال: "هناك سيدة في الخارج ترغب في مقابلتك يا سيدي. لقد أخبرتها بأنك مشغول، ولكنها قالت إن الأمر عاجل".

ردَّ بوارو: "إن كان الأمر عاجلًا، فعلينا أن نقابلها إذن. هل أخبرتك باسمها؟".

"نعم يا سيدي، وبكل دقة. لقد قدمت نفسها بأنها جاين دوكيريل، وأنها زوجة السيد هيوجو دوكيريل، مدرس في مدرسة تورفيل، التي يدرس فيها كل من تيموثي لافينجتون وفريدريك رول".

"دعها تدخل من فضلك يا جورج".

كانت جاين دوكيريل ضئيلة الحجم، ذات شعر بني داكن مموج، ونظارة ذات إطار أسود، وحقيبة ضخمة، بنية اللون، كانت تمسك بها بكلتا يديها بينما كانت تدخل الغرفة، كانت الحقيبة أعرض منها في الواقع. وكانت تتحرك وتتحدث بسرعة.

عندما نهض بوارو ليعرفها بنفسه، صافحت يده، وفي الوقت نفسه، كانت تقول: "ومَنْ يكون هذان الرجلان المهذبان الآخران؟".

أجابها بوارو: "رولاند ماكرودن، محامٍ، والمحقق إدوارد كاتشبول من شرطة سكوتلانديارد".

قالت جاين دوكيريل: "نعم، أعتقد أنكم كنتم تناقشون تلك المسألة التي تورطنا فيها جميعًا، أليس كذلك؟".

أومأنا جميعنا برؤوسنا، لم يخطر ببال أي منا أن نخفي أي شيء. كانت جاين دوكيريل أكثر شخص يمكنني أن أتذكر وجودي معه في غرفة واحدة ويتسم بنزعة قيادية بطبيعته. حتى رئيس الشرطة نفسه كان لينفذ أوامرها دون نقاش.

ثم قالت: "جيد". ودون أن تتوقف لتلتقط أنفاسها، استطردت قائلة: "لقد أتيت لأقدم إليك شيئين: أحدهما تعرف به بالفعل، والآخر لا تعلم عنه شيئًا. الأول هو الخطاب الذي وصل إلى هيوجو، واتُهم فيه بالقتل. اعتقدت أنك ربما تحتاج إليه".

"بالطبع يا سيدتي سيفيدني كثيرًا". لم أر بوارو، من قبل، يبدو كأنه تلميذ مطيع مثل تلك اللحظة.

أخرجت جاين دوكيريل الخطاب من حقيبتها، وأعطته إياه. فقرأ بوارو الخطاب ثم أعطاني إياه. وما عدا اسم المرسل إليه، وعنوانه، وعبارة "عزيزي السيد دوكيريل" في أول الخطاب، كان الخطاب مطابقًا تمامًا للخطاب الذي تسلمه جون ماكرودن، حتى كانت تلك الفجوات المفقودة من الحبر من خط حروف "الياء" موجودة، ثم أعطيت رولاند ماكرودن الخطاب.

ثم قالت جاين دوكيريل: "والآن، حان وقت الشيء الذي لم تكن تتوقعه. كما أنني لم أكن أتوقعه في الحقيقة أيضًا، لقد صُعقت عندما عثرت عليه، حيث كان، وآمل ألا يعني ما أعتقد أنه يعنيه".

أخرجت من حقيبتها شيئًا لم أتمكن من تمييزه في البداية، لقد كان أزرق اللون، أو كان يحتوي على شيء أزرق اللون في داخله: أزرق اللون مع لمحات من اللونين الأبيض والأصفر. أيًّا كان هذا الشيء، كان ملفوفًا في ورق السلوفان مكونًا لفافة غريبة الشكل.

سألها بوارو: "ماذا يوجد داخل هذه اللفافة يا سيدتي؟".

"فستان. لقد تم طيه بينما كان لا يزال مبتلًا، لقد عثرت عليه مثبتًا بالشريط اللاصق تحت فراش تيموثي لافينجتون. إنني أراعي دومًا تنظيف أسرَّة الطلبة جيدًا، وهذا يعني - أنك إن أديت عملك بدقة، مثلما أحب دومًا - النظر تحت الأسرّة باستمرار من أجل التأكد من عدم وجود قمامة متراكمة هناك، أو ممنوعات مخبأة بعيدًا عن الأعين".

"هذا أمر جدير بالثناء يا سيدتي".

استطردت جاين دوكيريل في الحديث بحيوية، قائلة: "قبل أمس، كانت المرة الأخيرة التي نظرت تحت الأسرّة في مكان نوم تيموثي منذ ٤ أسابيع مضت. إنني أعرف جيدًا متى فعلت ذلك؛ لأنه كان فحصي الأول منذ انتهاء العطلة. ومنذ ٤ أسابيع، لم تكن هذه اللفافة موجودة. ثم أمس، كانت هناك، وكانت مثبتة بالشريط اللاصق أسفل الإطار السفلي للفراش: فراش تيموثي لافينجتون، ثم

أخرجتها من تحت الفراش في حضور تيموثي لأرى إن كان يعلم شيئًا عنها. قال تيموثي إن هذا الفستان يخص خالته، ولكنه لا يعلم كيف وصل إلى مكان نومه".
ثم أضافت جاين دوكيريل موضحة: "فستان خشن الملمس، ومجفف بطريقة سيئة، ولا تزال بعض أجزائه مبتلة، يخص خالته أنابيل تريدواي".

سألها بوارو: "هل جعلك هذا تشكين في شيء؟ هل يمكنني أن أسأل عما يكون؟".

"أليس الأمر واضحًا؟ أنا أشك - على الرغم من أنني أتمنى ألا يكون هذا صحيحًا - في أن أنابيل تريدواي قد قتلت بارناباس باندي عن طريق إغراقه في حوض استحمامه، حيث عُثر عليه ميتًا. وابتل فستانها خلال ذلك، وخشيت أن يتسبب هذا في إثارة الشكوك حولها، فأخفته في تورفيل تحت فراش تيموثي".

شعرت بأنه يجب عليَّ أن أقول: "طبقًا للمعلومات التي لديَّ، لقد توفي السيد باندي نتيجة حادث عرضي، ومن وجهة النظر الرسمية...".

قاطعتني جاين دوكيريل، قائلةً: "هذا لا يعني شيئًا، أصبحت أعتقد الآن أن السيد باندي قد قُتل، بغض النظر عما يعتقده الجميع".

سألها بوارو: "على أي أساس بنيت هذا الاعتقاد؟".

قالت: "على المنطق والاحتمالات. أغلب الوفيات العرضية لا تُتبع بعدة اتهامات بالقتل، ولفائف غريبة ملصوقة بالشريط اللاصق تحت حوامل الأسرة، أما هذه الوفاة ففيها كل هذا؛ لذا أعتقد أنها جريمة قتل دون شك".

أومأ بوارو برأسه إيماءة صغيرة، لم تكن الإيماءة تدل على أنه يوافقها تمامًا.

قالت السيدة دوكيريل: "ألن تفتح اللفافة؟".

"*بالطبع*، كاتشبول، هل تتكرم بفتحها؟".

كان من السهل أن أزيل الشريط اللاصق، وأفك لفافة السلوفان. ونظرنا إلى القماش الأزرق الباهت الذي خرج من اللفافة، وتبين أن البقع الصفراء والبيضاء كانت رسومات زهور صغيرة. وأصبحت أجزاء من القماش لزجة، بسبب عدم تعرضها للهواء أسابيع.

ثم قالت جاين دوكيريل: "هل تشم الرائحة؟".

قال بوارو: "إنها رائحة زيت الزيتون. يمكنني أن أشم الرائحة بكل وضوح. إنه الفستان نفسه الذي ارتدته أنابيل تريدواي يوم وفاة بارناباس باندي. لقد وصفته لينور لافينجتون بدقة: فستان أزرق اللون، به رسوم زهور بيضاء وصفراء. ولكنَّ هناك اختلافًا واحدًا بين قماش هذا الفستان وقماش الفستان الذي وصفته لي السيدة لافينجتون".

قالت جاين دوكيريل: "بحق السماء، لا تتركنا متشوقين، ما الاختلاف بينهما؟".

قلت: "إن هذا الفستان قد تم لفه، وهو لا يزال مبتلا".

"*بالضبط* يا كاتشبول. لقد أخبرتني لينور لافينجتون بأن فستان شقيقتها لم يكن مبتلًّا عندما كانتا تقفان معًا في حمام الجد يوم السابع من ديسمبر. وقدمته لي باعتباره إثباتًا على أن شقيقتها لا يمكن أن تكون قد أغرقت جدها. لقد كان فستان أنابيل تريدواي، طبقًا لما قالته لينور لافينجتون - فستانها الأزرق ذو الأزهار الصفراء والبيضاء - *جافًّا تمامًا*".

الفصل ١٩

أربعة خطابات أخرى

قالت جاين دوكيريل: "إن هذا تقدم كبير، أليس كذلك؟".

وافقها بوارو، قائلًا: "بالفعل".

"أنا أعرف والدة تيموثي منذ سنوات طويلة، وأنا على يقين بأنها ستكذب لكي تحمي عائلتها، لا شك في هذا. لا يمكنني وهيوجو أن نتفوه بكلمة لتيموثي دون أن تنقض علينا بغضبها الهادر هذا، وتهددنا بالكثير من التهديدات المبالغ فيها: ستعمل على أن يُطرد هيوجو، وستنقل تيموثي من المدرسة، ومعه التبرع السخي الذي تعتمد عليه المدرسة".

وضعت جاين دوكيريل ساقًا على الأخرى، ثم بدلت الساقين، وقالت: "إن المدارس ليست مكانًا عادلًا، كما تعرف. هناك بعض الصبية -الصبية الذين لدى آبائهم بعض الاحترام للسلطة- الذين يؤمرون بأن يدخلوا قمصانهم في سراويلهم، ويعدلون من ربطات أعناقهم، ويرفعون جواربهم، ونحن نملي على الطلبة هذه الأوامر حسنة النية بحرية؛ لأننا نعلم أن أحدًا من عائلات هؤلاء الطلبة لن يظهر فجأة ليحوِّل حياتنا إلى جحيم. وهناك صبية آخرون -ويؤسفني أن أقول إن كلًّا من تيموثي لافينجتون وفريدي رول من هذه الفئة- يمكنهم أن يتجولوا في أنحاء المدرسة بسترات ممزقة، وربطات عنق مائلة، ونحاول جميعنا

التظاهـر بأننا لم نلحظ هـذا. فنعمل جاهدين على تجنّب المواجهة مع الآباء من عينة لينور لافينجتون!".

سـألها بوارو: "سـيدتي، مَنْ يمكنه أن يلصـق تلـك اللفافة التـي تحتوي على الفستان تحت فراش تيموثي لافينجتون؟".

"أي أحـد تقريبًا. ربما تيموثي نفسـه -على الرغم من أنني أعلم يقينًا أنه لم يفعل، لقد فوجئ برؤية هذه اللفافة مثلي تمامًا. لا بد أن والدته أو شقيقته أو خالته قـد فعلت هذا خلال واحـدة من زياراتهن إيـاه. وأنا أو زوجي يمكننـا أن نفعلها؛ أنا لم أفعل بالطبع، وكذلك هيوجو". قالتها ضـاحكة، ثم استطردت: "إن الفكرة في حد ذاتها مضـحكة! إن هيوجو لم يكن ليتمكن من العثور على شـريط لاصـق، ولو ظل يبحث عنه ألف سـنة، هذا إن طرأت عليه فكرة لصـق الفسـتان في حامل الفراش من الأساس".

سألها بوارو: "هل هناك أي شخص آخر في اعتقادك؟".

قالت جاين دوكيريل: "نعم. كما قلت لك: الجميع تقريبًا. أي طالب في مبنانا، أو أي طالب من المباني الأخرى، يمكنه التسلل إلى مكان نوم تيموثي عندما يكون خاليًا. أي معلم. وأي ولي أمر!".

سمعت نفسي أزفر. وغمغم بوارو: "لا توجد أية معايير".

قالت جاين دوكيريل، وقد رُسـمت على وجهها ابتسـامة سـاخرة: "يمكننا أن نضـيق نطاق البحث قليلًا، وستُسـر بما تسـمع. إن شخصًـا لا ينتمي إلى مدرسة تورفيـل لن يتمكن من التسـلل إلـى داخلهـا دون إيقافه واسـتجوابه. فمثل جميع المجتمعات الصـغيرة، نشـك دومًا في أن الغرباء يرغبون في إيذائنا، ونطردهم على الفور من ممتلكاتنا بمجرد أن نعثر على أي منهم". وبدا عليها الضيق عندما لم يُبدِ أي منا أية ردة فعل، وقالت: "كانت هذه دعابة".

وفـي طاعـة، ولكن كان قـد فات أوان إرضـائها، رحـت أنا وبـوارو وماكرودن نضحك.

قـال بوارو: "أنت تقولين إذن إنه يمكن أن يكون أي شـخص من داخل مجتمع المدرسة، بمن فيهم أولياء أمور الطلبة، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح، للأسف".

"هل التقيت من قبل في مجتمع المدرسة هذه، أو في مجتمع متصل به، برجل يُدعى جون ماكرودن؟"، ومع ذكر اسم ابنه، انتفض رولاند ماكرودن قليلًا.

قالت ماكرودن، "لا". وبدا إنكارها صادقًا.

"هل زارت أسرة تيموثي لافينجتون .. ابنها في المدرسة منذ وفاة بارناباس باندي، ومنذ اليوم الذي فحصت فيه أسفل الفراش منذ ٤ أسابيع عندما لم تكن هناك أية لفافات؟".

"نعم. لقد جاءت لينور وأنابيل، وأيفي شقيقة تيموثي في زيارة إلى مدرسة تورفيل منذ أسبوعين. وكان يمكن لأي منهن أن تثبت اللفافة التي تحتوي على الفستان بالشريط اللاصق في حامل الفراش خلال تلك الزيارة".

سألها بوارو: "متى كانت زيارة سيلفيا رول الأخيرة إلى المدرسة؟".

قالت السيدة دوكيريل: "الأسبوع الماضي. وكان معها ميلدريد وخطيبها يوستيس".

قلت: "لقد وضعت فريدي في فئة الصبية الذين لا يمكن توجيه الأوامر إليهم، هل يعني هذا أنكم تخشون من سيلفيا رول مثلما تخشون من لينور لافينجتون؟".

قالت جاين دوكيريل: "إن سيلفيا لا تُحتمل. يجب أن أفسر لكم الأمر، لقد عشت وعملت في مدرسة تورفيل منذ فترة طويلة للغاية، وأجد أن نحو ثلثي أولياء الأمور لا يُحتملون، ولكن كلًّا منهم بطريقته. إنهم بوجه عام يكون التعامل معهم أكثر صعوبة من التعامل مع الصبية. إن فريدي رول، ابن سيلفيا، صبي وديع للغاية، لا بد من أنه ورث طبيعته الطيبة من والده".

قال بوارو: "إنه صبي منعزل، أليس كذلك؟".

قالت جاين دوكيريل وهي تتنهد في أسى: "إنه لا يحظى بشعبية كبيرة. إنه شديد الحساسية، ومعقد وغير بارع في التعاملات الاجتماعية، وتؤثر فيه جميع الأمور بشدة. وهو مختلف تمام الاختلاف عن تيموثي لافينجتون. إن تيموثي لا يهتم بالصبية على غرار فريدي، إن أصدقاءه على شاكلته: صاخبون، وواثقون، ومتفاخرون؛ إنهم على قمة السلم الاجتماعي في تورفيل. لقد انفطر قلبي عندما

كنت أرى فريدي يجلس وحده طوال الوقت، وقررت إن كان هؤلاء الصبية الأغبياء لا يرغبون في أن يكون فريدي صديقهم، فسأكون أنا صديقته. وقد فعلت"، ثم ابتسمت، وأردفت قائلةً: "لقد أصبح فريدي مساعدي الصغير في المبنى، ولا أعلم ما يمكنني فعله دونه. أصبح جميع مَنْ في تورفيل يعرفون الآن: إن تنمّروا على فريدي، فسأكون أنا من يواجههم".

سألتها: "هل تعرض للتنمر على يد تيموثي لافينجتون مثلاً؟".

"لا، ليس من قبل تيموثي مطلقًا، ولكن من قبل الكثير من الصبية الآخرين".

ثم بدا الغضب على وجه جاين دوكيريل فجأة، وقالت: "هذا ليس عدلاً على الإطلاق. يرى الكثيرون أن فريدي صبي فاسد. إنها والدته. هناك الكثير من الشائعات تدور حولها تقول إنها تجني قوت يومها بطريقة غير أخلاقية أو قانونية. أعتقد أن تلك القصص الفظيعة بعيدة كل البعد عن الحقيقة".

"فهمت. سيدة دوكيريل، هل لي أن أسألك عن حفل رأس السنة الجديدة في يوم السابع من ديسمبر؟ هل كان فريدي رول حاضرًا؟ هل كان مع والدته وشقيقته ويوستيس؟".

"نعم، كانوا جميعًا حاضرين".

"وكذلك تيموثي لافينجتون، وأنت وزوجك، أليس كذلك؟".

"بالطبع. كنت أعدو في جميع أنحاء المكان مثل المجنونة".

"من بين الأشخاص الذين ذكرتُ لكِ أسماءهم، هل يمكنك أن تؤكدي أن أيًّا منهم بقي في الحفل طوال اليوم، منذ بدايته حتى نهايته؟".

قالت جاين دوكيريل: "لقد أخبرتك بأنهم كانوا جميعًا حاضرين".

"هل كنت تراقبينهم بعينيك كل لحظة طوال اليوم؟".

بدت عليها الدهشة، ثم قالت: "لا، كيف يمكنني أن أفعل ذلك؟ لقد كنت مشغولة للغاية".

"اعذريني إذن يا سيدتي، كيف تجزمين بأنهم كانوا حاضرين طوال اليوم؟".

"حسنًا، كانوا جميعهم حاضرين في حفل العشاء في المساء. وكنت أراهم من وقت إلى آخر على مدار اليوم. فأي مكان آخر قد يذهبون؟"، ثم صمتت فجأة،

وعادت لتقول: "آه. لقد فهمت ما تعنيه. إنك تتساءل عما إذا كان أحد منهم قد تسلل إلى الخارج، وذهب لقتل بارناباس باندي، ثم تسلل عائدًا؟".

سألها بوارو: "هل هذا ممكن؟".

"أعتقد، طبقًا لما تعنيه .. نعم، هذا ممكن. فأي منهم كان يمكنه أن يختفي بعض الوقت. ولكن، بالطبع كانوا سيحتاجون إلى وسيلة نقل تقلهم إلى كومبنجهام هول".

بعد أن تمكن بوارو من التملص من الإجابة عن أسئلتها عن الخطوات التالية التي سيقدم عليها، شكر بوارو السيدة جاين دوكيريل، ثم انصرفت.

قال رولاند ماكرودن فور ذهابها: "إنها متعلقة بصورة غير طبيعية بذلك الصبي رول".

قلت له: "لا أعتقد أن هذا صحيح. إنها فقط تشعر بأن عليها حماية ذلك الصبي المنطوي".

قال ماكرودن: "سأندهش كثيرًا إن لم تكن هناك شائعات عن علاقة السيدة دوكيريل بفريدي رول الصغير بالقدر نفسه من الشائعات عن كون سيلفيا رول من فتيات الليل".

قال بوارو: "كاتشبول، عندما تزور مدرسة تورفيل، حاول أن تسمع أكبر قدر ممكن من هذه الشائعات".

قلت: "نادرًا ما يقول الصبية أمورًا مشينة في حضور أحد محققي سكوتلانديارد. أم هل يجدر بي الذهاب متنكرًا في هيئة كعكة من متجر الحلوى؟".

"ستعثر على طريقة يا كاتشبول".

مرر بوارو أصابعه على قماش الفستان الأزرق اللزج، ثم أخرج منديلًا ليمسح يده، ثم غمغم قائلًا: "فستان الآنسة تريدواي. ما الذي يعنيه هذا؟ هل يعني أن السيدات الثلاث في كومبنجهام هول قد كذبن عليَّ، وكذلك كينجزبيري؟ هل يعرفون جميعًا أن أنابيل تريدواي قتلت السيد باندي، وحاولوا إخفاء الحقيقة؟ أم..؟"، ثم التفت نحوي.

فهمت ما يعني، فقلت: "أو أن هناك مَنْ يحاول تلفيق التهمة لأنابيل تريدواي، أليس كذلك؟".

"*بالضبط*! إن كان الهدف هو حماية الآنسة أنابيل، لكانت الخطة المنطقية هي غسل وتجفيف الفستان على الفور".

قلت: "ماذا لو كانت هناك بعض آثار زيت الزيتون ظلت عالقة بالفستان بعد غسله؟ ربما كان يجب أن يختفي الفستان حتى لا يطرح أحد السؤال التالي: "لماذا توجد آثار زيت زيتون على هذا الفستان؟"".

قال بوارو: "صديقيَّ، لقد التقينا جاين دوكيريل مرة واحدة فقط، ولكن أنابيل تريدواي التقتها مرات عدة خلال زياراتها إلى مدرسة تيموثي. ألم تكن لتفترض أن السيدة دوكيريل ستفحص كل مكان من أماكن النوم في مبنى إقامة الطلبة المسئولة عنه بدقة؟ بعد أن التقيتها مرة واحدة، أصبحت أفترض أن هذا ما ستفعله. لا بد أن هناك مئات الأسرّة في تورفيل، لماذا لم تختر فراشًا يخص شخصًا غريبًا؟".

سأله ماكرودن: "أنت تعتقد إذن أن إخفاء الفستان تحت فراش تيموثي أقرب إلى أن يكون محاولة لتلفيق التهمة إلى الآنسة تريدواي من كونه دليلًا على أنها مذنبة، أليس كذلك؟".

قال بوارو، وقد بدت عليه أمارات التفكير العميق: "ما زلت لا أعرف ما يكفي .. لاحظ أن الفستان مبتل بصورة متساوية في جميع أجزائه. والثوب الذي كانت ترتديه، إن كانت قد أغرقت جدها، لم يكن ليصبح على هذه الشاكلة. ربما كانت الأكمام لتصبح مبتلة بالكامل، ولكن ماذا عن أسفل الثوب؟ وماذا عن ظهره؟ لا. كانت هذه الأجزاء ستظل أكثر جفافًا كثيرًا، وربما لم تكن لتبتل من الأساس، ولكن ربما عندما تم وضع الفستان في لفافة السلوفان، وكانت الأكمام مبتلة تمامًا، وكانت الأجزاء الأخرى جافة، تسربت المياه إليها، وبللت الفستان كاملا".

قـال ماكرودن في تبرّم: "يمكنـنـا أن نبتكر الكثير من النظريات كما يحلو لنا، ولكننا لا نعلم شـيئًا مؤكدًا بعد. هناك عدد كبير للغاية من الاحتمالات. ويؤسفني للغاية أن أقر بالهزيمة".

قال بوارو: "هل تعتقد أنه يجدر بنا أن نستسـلم؟ لا يا صـديقي. أنت مخطئ. ربمـا كانت هناك بالفعل الكثير من الاحتمالات، ولكننا أصـبحنا حاليًّا أكثر قربًا من الحقيقة!".

قلت: "حقًّا؟ كيف؟ لماذا؟".

"كاتشبول، ألم تر بعد ما أصبح واضحًا الآن؟".

لم أرَ ما رآه. كذلك لم يفعل رولاند ماكرودن.

ضـحك بوارو من جهل كل منّا، وقال: "بفضـل هذا الفسـتان، أنـا واثق بأنني سـأعثر قريبًا على جميع الإجابات. لم أحصل عليها بعد، ولكنني سأفعل. سأضع لنفسـي تحديًا، وأحدد له موعدًا نهائيًّا. ولنرَ إن كان هيركيول بوارو قادرًا على أن يسبق الزمن!".

سألته: "ماذا تعني؟".

ضـحك مرة أخرى، وقال: "إنني مندهش أن كلًّا منكما لم يتمكن من فهم ما فهمت، يا للخسـارة، ولكن لا بأس، سأشرح لكما كل شيء قريبًا. والآن، إذن، حان الوقـت لأكتب ٤ خطابات، وأرسـل بها إلى كل من سـيلفيا رول، وأنابيل تريدواي. وجـون ماكـرودن، وهيوجو دوكيريـل، ولكنها في هذه المرة سـتكون من هيركيول بوارو الحقيقي!".

الربع الثالث

الفصل ٢٠

وصول الخطابات

كان يوستيس كامبل براون يجلس متكئًا في غرفة الجلوس بمنزل خطيبته ميلدريد في لندن، عندما اندفعت والدة ميلدريد إلى داخل الغرفة، حاملة في يدها خطابًا وظرفًا ممزقًا بأطراف أصابعها، كأن ملامسة الخطاب والظرف بكامل يدها، قد تصيبها بالعدوى. شهقت سيلفيا رول في ذعر عندما رأت زوج ابنتها المستقبلي، على الرغم من أنها رأته مرات عديدة من قبل، جالسًا في المكان نفسه بالضبط: ممسكًا بمشروب في يد، وبكتاب في اليد الأخرى.

قال يوستيس: "صباح الخير". لم يكن يعتقد أنه قد يقع في مشكلة بسبب قوله أمرًا بهذه البساطة.

سألته سيلفيا: "أين ميلدريد؟".

"في الطابق العلوي، ترتدي ملابسها. سأصحبها إلى الخارج بقية اليوم". قالها مبتسمًا.

ظلت سيلفيا رول تحدق إلى وجهه فترة طويلة، ثم قالت:

"كم تريد من مال؟".

"معذرة؟".

"لكـي تتـرك ميلدريد وتختفي إلى الأبد. لا بد أن هناك مبلغًا من المال يجعل لعابك يسيل".

وضع يوستيس مشروبه على الطاولة، وكذلك الكتاب. إذن، لقد وصل الأمر إلى هـذا الحد، على الرغـم من الجهود الكبيرة التي بذلها لكي يحصـل على احترام حماته المستقبلية وتقديرها.

لقـد حان أخيـرًا الوقت للتوقف عن التعامل بتهذيب ولباقـة، وأن يقول ما كان يرغب في قوله ولو مرة واحدة.

فقـال: "وأخيـرًا، وصـلنا إلـى الإغـراء بالمال. كنت أتسـاءل كم مـن الوقت سـتحتاجين حتى تصـلي إلى هـذه المرحلة. فكِّري فـي الأمـر، كان بإمكانك أن تقدمـي هذا العرض لي منذ عام مضـى، وكنت قد خرجت مـن حياتك منذ فترة طويلة".

"إذن.. هناك مبلغ من..؟".

"لا يا سيلفيا، لا يوجد، لقد كنت أمزح معك. في واقع الأمر، أنا أحب ميلدريد كما تحبني، وكلما أسرعتِ بتقبل هذه الحقيقة، زادت سعادتك أكثر".

"أنت رجل حقير ومقزز!".

قال يوستيس بهدوء: "لا أعتقد أنني كذلك، ولا تعتقد ميلدريد أنني كذلك. هل فكرت من قبل يا سـيلفيا في أنك ربما تكونين الشـخص البشع؟ إنك، على الرغم من كل شـيء، قاتلة. قد لا تعرف ميلدريد حقيقتك، ولكنني أعرفها. لا تقلقي -لا رغبة لديَّ في جعلها تشـعر بالحزن عبر إخبارهـا بما أعرفه، ولكنني لا أعتقد أن هناك أي احتمال لتتركيني وشأني بعض الوقت، أليس كذلك؟ أعني، في مقابل أن أحتفظ بسرك".

"أنت كاذب!". كان وجه سيلفيا رول شاحبًا كالموتى، وارتمت جالسة في أحد المقاعد الوثيرة.

قال يوسـتيس: "لا، لسـت كذلك. إن لم يكن هذا حقيقة، لكنت سـتقولين لي: "ماذا تعني؟ وما الذي تتحدث عنه بحق السماء؟"، إنك تعلمين جيدًا ما أتحدث عنه".

فـي تلك اللحظـة، دخلت ميلدريـد رول إلى غرفة الجلوسـ، ووجهها خالٍ من أي تعبيـر، كمـا هي حالها دائمًا في حضـور والدتها وخطيبها. لم تسـأل سـيلفيا عن سبب شـحوب وجهها إلى هذه الدرجة، أو عن سبب الحيوية الجديدة الغريبة البادية على يوستيس، التي لم ترها عليه من قبل. كانت تدرك أنه ربما حدث أمر مهـم في غيابها، وأملت أن تتمكن من تجنب معرفة ماذا يكون. كانت ميلدريد قد قررت مؤخرًا أنه من الأفضل بالنسبة إليها ألا تعلم ما يدور بين سيلفيا ويوستيس، وألا تسأل والدتها عن سبب مقتها الرجل الذي تحبه أكثر من أي شيء آخر.

ورأت الخطاب والظرف الممزق الذي تمسـك به والدتها في يدها، فسـألتها: "ما هذا؟". إن كانت والدتها منزعجة من شيء آخر عدا يوستيس، فقد كانت ميلدريد ترغب في معرفته.

قالت سيلفيا رول: "خطاب آخر من هيركيول بوارو".

"هل يتهمك بالقتل مجددًا؟"، قالها يوستيس بسخرية.

أعطت سيلفيا الخطاب إلى ميلدريد. وقالت: "اقرئيه. إنه يذكرك، *ويذكره*".

راحت ميلدريد تقرأ الخطاب: ""عزيزتي السيدة رول، من الضروري للغاية أن تحضري الاجتماع الذي سيُعقد في ضيعة كومبنجهام هول، منزل الراحل بارناباس بانـدي، في يوم الرابع والعشـرين من فبراير، في تمام السـاعة الثانية. سـأكون حاضـرًا الاجتماع، وكذلك المحقق إدوارد كاتشـبول من شـرطة سكوتلانديارد، وسيكون هناك أشخاص آخرون أيضًا. وسيتم حل لغز وفاة بارناباس باندي؛ الأمر الذي تورطنا فيه جميعًا، وسيتم الكشف عن القاتل، وإلقاء القبض عليه. أرجو أن توجهي الدعوة نفسها إلى ابنتك ميلدريد وخطيبها يوستيس. فمن المهم للغاية أن يحضرا الاجتماع أيضًا. المخلص دائمًا، هيركيول بوارو".

قال يوسـتيس: "لا أعتقد أنه توجد لدينا أيـة طريقة لنتمكن من معرفة ما إذا كان هذا الخطاب من هيركيول بوارو الحقيقي، أليس كذلك؟".

سـألت ميلدريد: "ماذا سـنفعل إذن؟ هل نذهـب؟ أم نتجاهل الأمر برمته؟". كانـت تأمـل أن تتفق والدتها ويوسـتيس، ولو مرة واحدة، على قـرار واحد. كانت ميلدريد تدرك أنهما إن لم يتفقا، فسيُشل تفكيرها، ولن تتمكن من فهم أي شيء.

قالت سيلفيا رول: "لا نية لديَّ للحضور".

قال يوستيس: "بل علينا أن نذهب، جميعًا. ألا تريدين أن تعرفي من يكون القاتل يا سيلفيا؟ *أنا* أريد".

***

لمس جون ماكرودن ذراع المرأة التي كانت تجلس إلى جواره. لم يكن يذكر اسمها، ربما كانت آني أو آجي. كانت جالسة مضطجعة على الأريكة، وقال لها: "انهضي. ألن تنهضي؟".

سألته: "ما بك؟". اعتدلت في جلستها لتواجهه، وهي تتثاءب، واستطردت قائلة: "أنا أحب الاسترخاء في يوم عطلتي من العمل، ولكن، وبما أنك.." ابتسمت ومدت يدها لتمس وجه جون.

دفع جون يدها بعيدًا، وقال: "لست في مزاج جيد. معذرة. اسمعي، هناك بعض الأمور عليَّ فعلها؛ لذا من الأفضل أن تنصرفي". كان هناك خطاب غريب قد وصل إليه، وكان يريد أن يقرأه مرة أخرى بتدقيق أكبر، ولم يكن يستطيع التركيز في وجودها.

فنهضت المرأة عن مقعدها.

وقالت: "يا لك من شخص مضياف! هل هكذا تعامل الفتيات جميعهن؟".

"في واقع الأمر، نعم. لا أقصد بتعاملي هذا أية إهانة لهن، ولكنهن لا يتقبلن الأمر بصدر رحب. ولا شك في أنك ستفعلين المثل".

قالت المرأة في مرارة، وعيناها تترقرقان بالدموع: "أعتقد أنك ستعدني بأن تصحبني إلى الخروج في نزهة أخرى، بمجرد أن تستطيع، ثم لن أسمع منك مرة أخرى".

"لا. لن أعدك بشيء. ولن أصحبك إلى أي مكان. لقد استمتعت بالفعل بنزهة ليلة أمس، ولكن هذا كل شيء: نزهة واحدة. لن تريني مرة أخرى، إلا مصادفة. يمكنك أن تصرخي في وجهي بينما تغادرين، إن كان هذا سيجعلك تشعرين بالتحسن". بمجرد أن قال هذه الكلمات، غادرت غرفته في ثوانٍ. لا شك

في أنها رأته رجلًا قاسي القلب، ولكنها مخطئة، كانت القسوة الحقيقية هي أن يدعها تبني آمالًا. عندما كان أصغر عمرًا، التقى جون امرأة، وأدرك على الفور أنه قد عثر على المرأة التي سيحبها طوال حياته. ولم يشعر بمثل هذه المشاعر تجاه أية امرأة، قبلها أو بعدها. كما لم يتحدث عن ذلك الإحساس مع أي شخص، فقد كانت عاطفة قوية بدرجة لا توصف، وعلى أية حال، لم يكن أحد ليصدق أن هذا ممكن، ما لم يشعر بمثل عذاب هذا الاشتياق. إن البشر، بصفة عامة، يصرون بشدة على عدم تصديق تجارب أي إنسان إلا تجاربهم هم.

نهض جون من مقعده، وأمسك بالخطاب الغريب، وجلس على مقعد إلى جوار النافذة. وقرأ الخطاب مرة أخرى، وهز رأسه. بدلًا من أن يقرر هيركيول بوارو أن الاتهامات الأربعة التي وقعت باسمه كانت مجرد خدعة، ويقرر أن يتجاهلها تمامًا، يبدو أنه قد حمل نفسه مسئولية حل لغز جريمة القتل.

هل دفع أحد إليه المال مقابل هذه المهمة؟ شك جون في هذا. مثلما هي الحال مع آني أو آجي، أو أيًا كان اسمها لقد اختار بوارو بنفسه أن يصعب الحياة على نفسه، ويعقدها أكثر مما هو مطلوب. والآن، ها هو قد أرسل خطابات دعوة إلى حضور "اجتماع" عن وفاة بارناباس باندي إلى جون، وإلى الآخرين دون شك. وما زاد الطين بلة، أن الخطاب الذي وصل إلى جون احتوى على السطر التالي الذي لم يرق لجون: "سيكون هناك آخرون حاضرون، ومن بينهم والدك، رولاند ماكرودن".

لم يكن جون أحمق، لقد أدرك منذ فترة أنه افترى على والده وهيركيول بوارو دون وجه حق. لقد أصبح يصدق الآن أن كلا الرجلين ليسا مسئولين عن اتهامه بقتل بارناباس باندي. وكان يجب أن يعتذر، لم يكن هناك مفر من هذا، ولكن كان الشيء الأكثر كراهةً لجون هو الاعتراف بأنه كان مخطئًا، وبخاصة إلى هذين الرجلين اللذين يؤدي عملهما في بعض الأحيان إلى لف المشانق حول أعناق الناس.

ثم فكَّر في نفسه قائلًا: "سأحضر اجتماع بوارو على سبيل الاعتذار، وربما أعرف من أرسل هذا الخطاب".

كتب جون رسـالة قصيرة إلى بوارو يخبره فيها بأنه سيكون حاضرًا في ضيعة كومبنجهـام هول في يوم ٢٤ فبراير، في الموعد المذكور، ثم وضـع الرسـالة في ظرف، كان على وشك أن يغلقه عندما تذكر كاتالينا.

كاتالينا، إنها صـديقته الإسـبانية. كانت امرأة راشدة وواسعة الحيلة، وبارعة الجمال أيضًـا. كانت تترك جون يأتي ويذهب كما يحلو له، دون أن تضـغط عليه، أو تملأ الدنيا بكاءً حوله، كانت تستمتع بصحبته، ولكنها كانت تعيش وحدها دون صـعوبات، وكذلك كان يفعل هو. لم يكن جون قـد التقى الكثيرين، رجالًا كانوا أم نساءً، ممن شعر بأنهم مكافئون له، ولكن كاتالينا كانت مكافئة له دون شك: كانت امرأة مذهلة، والآن، أصبحت حجة غياب مذهلة له. يا لكاتالينا الرائعة!

سار جون نحو فراشه، ومدَّ يده أسفله ليخرج اللفافة التي تحتوي على خطاباتها، التـي يحتفظ بها فـي هذا المكان. كان أغلبها يتحدث عن الملك ألفونسـو الثالث عشـر، وتزعزع سـيطرة الجنرال ميجيل بريمو ديفيرا على مقاليد الحكم. كانت كاتالينا جمهورية متعصبة، ابتسم جون عند تذكره ذلك. لم يكن يهتم بالسياسة. فكثيرًا ما اكتشف أن ما يدعي الناس مناصرته لا يهم كثيرًا، ولا يمنحك أية فكرة عن حقيقة شخصـياتهم. كان الأمر يشـبه الحكم على الناس بناءً على اختيارهم جواربهم أو مناديلهم.

اختـار أحد خطابات كاتالينا بتاريخ ٢١ ديسـمبر ١٩٢٩، ووضـعه في الظرف الـذي سيرسـله إلى بوارو. وأخـرج من الظرف الخطاب الذي كان على وشـك أن يرسـله، وكتب تحت توقيعه الكلمات التالية: "مرفق بالخطاب حجة غيابي في يوم السابع من ديسمبر".

***

صـاحت أنابيل تريدواي قائلة: "يا إلهي! هوبـي، ما الذي عليَّ فعله؟ اجتماع هنا؟ إنه لم يقل كم عدد الأشخاص الذين دعاهم. ستغضب لينور كثيرًا. علينا أن نفكر في الوليمة التي سـنقدمها إلى الضـيوف، ولست في مزاج جيد للتفكير في الأمر. ولا التحدث إلى كينجزبيري أو الطاهية بشـأنه، ولكن.. أوه يا إلهي. سـيكون عليَّ

أن أخبر لينور بالأمر، و.. اسمع، إنه يقول إنه سيتم الكشف عن هوية القاتل. يا إلهي!".

رفع هوبسكوتش رأسه عن حجر أنابيل، ونظر إليها نظرة متسائلة. كانا يجلسان في غرفة الجلوس في ضيعة كومبنجهام هول، وكانا قد عادا من فورهما من لعب الكرة في الحديقة. رمق هوبسكوتش أنابيل في تضرع، محاولاً فهم ما إذا كان هتافها الأخير يعني أنها ستكون على استعداد لأن تعود معه إلى الخارج ليلعبا معًا.

قالت أنابيل: "أنا خائفة، خائفة للغاية.. من كل شيء، إلا أنت يا عزيزي هوبي".

انقلب الكلب على ظهره، راغبًا في أن تداعب بطنه.

"ماذا لو رفضت لينور أن يعقد بوارو اجتماعه هنا؟". بينما كانت تتفوه بهذه الكلمات، أدركت أنابيل أمرًا مفاجئًا وصادمًا، وشهقت قائلةً: "أوه. حتى إن رفضت، لا بد أن تظهر الحقيقة. لا توجد طريقة لمنعها من الظهور، ليس الآن بعدما أصبح هيركيول بوارو مشاركًا في الأمر. أوه، هوبي، لولاك أنت..".

لم تكمل جملتها حتى لا تقلق الكلب عبر قولها ما كانت ستفعله إن لم تكن تخشى تركه وحده في العالم. لم تكن لينور تهتم بأمره. كانت أيفي تدعي أنها مهتمة به، ولكنها لم تكن تحبه مثلما تحبه أنابيل، كأنه فرد حقيقي من أفراد العائلة، وقد كان بالفعل. كان سكيتل كذلك أيضًا. فكرت أنابيل: "ذات يوم، سيصبح العالم أكثر تحضرًا، وسنعامل الكلاب مثلما نعامل البشر، ولكنني منافقة سيئة"، وراحت تبكي.

اعتدل هوبسكوتش، ووضع قدمه الأمامية على يدها مواسيًا إياها، ولكنها واصلت البكاء.

مكتبة
t.me/t_pdf

***

"انظري إلى هذا يا جاين". حاول هيوجو دوكيريل أن يعطي زوجته الخطاب الذي فتحه من فوره، ثم أردف: "إن هذا المحتال يتظاهر بأنه بوارو مجددًا،

أعتقد أنه يجدر بي أن أخبره بهذا؛ أعني بوارو".

وضعت جاين كومة كبيرة من الملابس المغسولة على ذراع أقرب أريكة منها، واختطفت الورقة من يد زوجها. وبدأت تقرأ بصوت عالٍ: "عزيزي السيد دوكيريل، من الضروري للغاية أن تحضر وزوجتك جاين الاجتماع في كومبنجهام هول.." . ثم بدأت تقرأ بقية الخطاب بعينيها فقط، ثم رفعت رأسها لتنظر إلى هيوجو، وتقول: "لماذا تعتقد أن هذا الخطاب ليس من بوارو الحقيقي؟".

قطب هيوجو جبينه، وقال: "هل تعتقدين أنه هو من أرسله؟".

"نعم. انظر إلى التوقيع، إنه يختلف *تمامًا* عن التوقيع على الخطاب الآخر، مختلف تمامًا. بعدما التقيت بوارو، يمكنني أن أؤكد أن هذا هو خط يده بالفعل: منمق للغاية مع زخرفة في الخط هنا وهناك".

قال هيوجو: "يا إلهي، إنني لأتساءل عن سبب طلبه منا الذهاب إلى كومبنجهام هول؟".

"هل قرأت الخطاب؟".

"نعم. مرتين".

"لقد ذكر سبب طلبه منا الذهاب إلى هناك".

"هل تعتقدين أنه تمكن من حل اللغز؟ مَنْ أيضًا تعتقدين أنه قد دعاهم؟".

قالت جاين: "أعتقد أنه دعا الأشخاص الآخرين الذين تم اتهامهم في الخطابات الأولى".

"نعم، هذا منطقي. ماذا تعتقدين يا عزيزتي؟ هل نذهب؟".

"ماذا تعتقد يا هيوجو؟ هل ترغب في الذهاب؟".

"حسنًا، أنا .. أعني .. لقد فكرت في أنه قد يكون لديك وجهة نظر في هذا الشأن يا عزيزتي. أعني.. حسنًا، من الصعب أن أعرف. هل أنا.. هل نحن مشغولان بشيء في ذلك اليوم؟".

ضحكت جاين بحنان وتأبطت ذراعه، وقالت: "كنت أمزح معك. إننا مشغولان كل يوم، أو على الأقل أنا مشغولة كل يوم، ولكن بالطبع، يجب أن نذهب، أريد أن أعرف ما توصل إليه الرائع هيركيول بوارو، ومن هو القاتل. أتمنى لو أنه لم يكن علينا الانتظار أسبوعًا كاملًا. أريد أن أعرف الآن ما ينوي قوله لنا".

الفصل ٢١

يوم الآلات الكاتبة

تبين أن يوم الآلات الكاتبة - كما سأظل أذكره دومًا بهذا - كان أكثر إثارةً مما توقعت أن يكون، فمن جانب، أثبت أن بوارو على حق: إنه بالفعل اختبار جيد للشخصية بأن تضع عدة أشخاص في الموقف نفسه، وتراقب الاختلافات في ردود أفعالهم. كنت أعد قائمةً في أثناء ذلك، وأخشى اللحظة التي سأكون مضطرًّا لعرضها على بوارو، وأسمعه وهو يقول كيف كانت قائمته أفضل كثيرًا من قائمتي. كانت قائمتي على النحو التالي:

شركة دونالدسون وماكرودن للمحاماة

سمح لي ستانلي دونالدسون بأن أفحص الآلات الكاتبة التي بها. ولم يكن حرف "الياء" بها معيبًا. (كما أكد دونالدسون أن رولاند روب كان معه طوال يوم السبت الموافق ٧ ديسمبر، أولًا في نادي أثينيوم، ثم ذهبا معًا إلى مسرح بالاس). لم يكن أي من الآلات الكاتبة الخاصة بالشركة هي التي نبحث عنها. كنت قد فحصتها جميعًا، ثم أصرت الآنسة إيمرالد مايسون على إجراء اختبارها مرة أخرى للتأكد.

منزل سيلفيا وميلدريد رول

كانت هناك آلة كاتبة واحدة في منزلهما. حاولت السيدة رول أن تمنعني من الدخول، وقالت لي إنه ليس من حقي أن أعتدي على خصوصيتها، أو ملاحقتها؛ لأنها لم ترتكب جرمًا، ولكن ابنتها ميلدريد أقنعتها بالتعاون معي، وفحصت الآلة الكاتبة، فوجدتها عادية تمامًا.

يوستيس كامبل براون

عرفت أخيرًا اسم عائلته! أخبرتني ميلدريد أين سأجده. ثم زرته في منزله، بدا سعيدًا عندما رآني على عتبة بابه، ورحب بأن أفحص آلته الكاتبة. ولم تكن تلك أيضًا آلتنا المنشودة. وبينما كنت أهم بالمغادرة، قال السيد كامبل براون: "إن كنت أرغب في إرسال خطابات تتهم الناس بالقتل، وأوقعها باسم هيركيول بوارو، فإن أول شيء كنت سأفعله هو أن أفحص الآلة الكاتبة لأتأكد من أنها لا تحوي عيوبًا قد تؤدي إلى كشف هويتي". لم أعلم ماذا سأستفيد من هذه الكلمات.

جون ماكرودن

أخبرني جون ماكرودن، بطريقة فظة وجافة، بأنه لا يملك أية آلة كاتبة. كانت صاحبة المنزل الذي يعيش فيه تمتلك واحدة، ولكنها أكدت لي أن ماكرودن لم يستخدمها قط.

بيتر فاوت

كان السيد فاوت كريمًا للغاية، وسمح لي بأن أفحص جميع الآلات الكاتبة في مقر شركته، فوجدتها تعمل على أكمل وجه.

جميع الآلات الكاتبة خارج لندن

الآلات الكاتبة في كومبنجهام هول - حاول بوارو فحصها، ولكن طلبه قُوبل بالرفض.

/الآلات الكاتبة في مدرســة تورفيل -لم يتم فحصها بعد. (سوف أذهب في الغد).

فينســنت لــوب -هــل يمتلك آلــة كاتبــة؟ إن كان يملك واحــدة، فيجب فحصها أيضًا، ولكنني لم أفلح بعد في العثور على السيد لوب.

الفصل ٢٢

المربع الأصفر الوحيد من الكعكة

"صباح الخير يا سيد ماكرودن، إنك مندهش من رؤيتي هنا، *أليس كذلك*؟".

رفع جون ماكرودن بصره إلى الأعلى؛ ليرى هيركيول بوارو يحدق إليه من أعلى، حيث إنه كان جالسًا على الأرض، وقد ربَّع ساقيه إلى جوار كشكه في السوق، وفي حجره كيس قماشي مليء بالعملات المعدنية. لم يكن هناك زبائن، فقد كانت السوق قد فتحت أبوابها من فورها. وسأل ماكرودن: "ماذا تريد؟ ألم يصل إليك الخطاب الذي أرسلت به إليك؟".

"من المرأة التي تُدعى كاتالينا؟ نعم، لقد وصل إليَّ".

"إذن، سيكون قد وصل إليك أيضًا خطابي بشأن أنني سأكون حاضرًا في كومبنجهام هول في الموعد الذي حددته -لماذا أتيت إلى هنا الآن إذن؟".

"أردت أن ألقاك قبل اجتماعنا في كومبنجهام هول، حيث سيكون الباقون حاضرين. كنت أريد التحدث إليك على انفراد".

"هناك زبائن لأهتم بهم".

قال بوارو، وقد رسم على شفتيه ابتسامة مهذبة: "لا يوجد لديك زبائن الآن. أخبرني، من تكون الآنسة كاتالينا؟".

عبس ماكرودن، وقال: "فيمَ يهمك هذا؟ إنك لا تعرفها. إن كنت تعتقد أنها ليست حقيقية، وأنني قد اخترعت حجة الغياب هذه بنفسي، فلم لا تذهب إلى إسبانيا، وتتحدث إليها بنفسك؟ إن عنوانها على جميع خطاباتها، ومن بينها الخطاب الذي أرسلت به إليك".

أخرج بوارو الخطاب من جيبه، وقال: "إن هذا الخطاب دليل قوي يأتي في صالحك، إنه بتاريخ ٢١ ديسمبر من العام الماضي، ويشير إلى ما قبل هذا التاريخ بأربعة عشر يومًا عندما كنت والآنسة كاتالينا معًا في.."، عاد بوارو لينظر إلى الورقة في يده، ثم أردف قائلًا: ".. ريباديسيا. إن كنت في ريباديسيا يوم السابع من ديسمبر، فلن يكون ممكنًا أن تكون قد ذهبت إلى كومبنجهام هول، وأغرقت السيد بارناباس باندي".

قال ماكرودن: "يسعدني أننا متفقان على هذا الأمر؛ وحيث إننا كذلك -وحيث إن كلينا يعلم أنني لم أكن لأتمكن من قتل باندي - هل يمكنك أن تفسر لي سبب استمرارك في الاهتمام بي؟ لماذا يجب أن أحضر الاجتماع في كومبنجهام هول يوم ٢٤ فبراير؟ ولماذا، بعدما وافقت على فعل هذا، أتيت لتزعجني في مكان عملي؟ قد لا يكون عملي من نوعية الأعمال التي قد تبهرك، أو تبهر والدي، ولكنه عمل في نهاية المطاف. هكذا أجني قوت يومي، وأنت تعوقني عن ذلك".

قال بوارو موضحًا: "ولكن لم يأتِ زبائن إليك بعد. أنا لا أقاطع عملك على الإطلاق".

تنهد ماكرودن، وقال: "إن البيع والشراء بطيئان الآن، ولكنهما سيكتسبان زخمًا. وإن لم يفعلا، فسأمارس عملًا آخر لأجني قوت يومي. ما لم يفهمه والدي أنني لا أهتم كثيرًا بماذا أعمل، بل أهتم بالعمل لا غير، وتكون الحياة أكثر إثارة عندما تجرب بعض الأمور المختلفة. حاولت أن أخبره بأن هذه هي وجهة نظري في الأمور. قد تعتقد أنه لا يهتم إن انتقلت من وظيفة إلى أخرى، أليس كذلك؟ ولكنه لم يوافق على جميع الوظائف التي عملت بها؟ لقد كره أن أعمل في المناجم -فلم يكن يحب أن تتسخ يدا ابنه، بينما يحفر الجبال مثل الأشخاص العاديين - ولكنه لم يعجبه أيضًا أن أعمل في مجال التنظيف. كما لم يحب أن أعمل في تصنيع

الحلي وبيعها، وكذلك لم يحب أن أعمل في مزرعة، أو أعمل هنا في السوق، لكنه يشكو عندما أنتقل من عمل إلى آخر؛ لأنه لا يحبذ إلا من يلتزمون بأمور ثابتة".

"سيدي، لم آتِ إلى هنا لأتحدث عن والدك".

هبَّ جون ماكرودن واقفًا على قدميه، وقال: "أجب عن سؤال واحد فقط يا بوارو. هل توافق على تلك العقوبات القانونية على جرائم القتل المعمول بها في بلادنا؟ لأنني أعتقد أنك لست أفضل حالاً من القاتل نفسه إن كنت تناصر قتل أولئك الذين ارتكبوا جرائم، حتى أكثرها قسوةً".

نظر بوارو حوله، ووجد أن السوق قد بدأت تزدحم، ويعمها الصخب، لكن أحدًا لم يقترب بعد من كشك جون ماكرودن.

سأل بوارو: "إن أجبت عن سؤالك، هل ستجيب عن سؤالي؟".

"سأفعل".

"*حسنًا*. أعتقد أن خسارة حياة إنسان، لأي سبب كان، تعتبر مأساة، ولكن عندما تُرتكب الجرائم الأكثر وحشيةً، أليس من المنطقي أن يلقى المجرم أقصى عقوبة ممكنة جراء الجرم الذي ارتكبه؟ أليست هذه هي العدالة؟".

هز ماكرودن رأسه في أسف، وقال: "إنك مثل والدي تمامًا. تقول إنك تهتم بالعدالة، على الرغم من أنك لا تعلم شيئًا عن معناها".

قال بوارو: "والآن، حان دوري لأطرح السؤال. من فضلك، فكِّر جيدًا قبل أن تجيب، لقد أخبرتني بأنك لا تعرف بارناباس باندي".

"لم أسمع اسمه في حياتي قبل أن.. قبل أن يصل إليَّ هذا الخطاب".

"اسمع الأسماء التالية، وأخبرني إن كنت تعرف أيًّا منها: لينور لافينجتون، أيفي لافينجتون، تيموثي لافينجتون".

هز ماكرودن رأسه نفيًا، ثم قال: "لم أسمع باسم عائلة لافينجتون من قبل".

"سيلفيا رول، فريدي رول، ميلدريد رول".

قال ماكرودن: "لقد سمعت اسم سيلفيا رول من قبل، ولكن منك أنت، أو من الرجل الذي يعمل لديك، ألا تذكر؟ لقد جعلته يدخل إلى الغرفة، ويخبرني بأن السيدة رول قد وصل إليها أيضًا خطاب موقع باسمك، يتهمها بالقتل".

"نعم يا سيدي، أذكر هذا".

"لماذا تسألني إذن ما دمت تعرف أنني أعرف الاسم؟ هل هو نوع من الاختبار؟".

سأل بوارو: "ماذا عن ميلدريد رول وفريدي رول؟".

ذكَّره ماكرودن قائلًا: "لقد اتفقنا على أن أجيب عن سؤال واحد فقط. لقد استنفدت فرصك يا صديقي".

"سيد ماكرودن، أنا لا أفهمك. يبدو أنك لا توافق على سلب الأرواح إن تم هذا وفقًا للقانون. هل لا توافق أيضًا على سلب الأرواح عبر جرائم القتل المخالفة للقانون؟".

"بالطبع لا أوافق".

"صدقني إذن عندما أخبرك بأنني أحاول أن أقبض على هذا الشخص: القاتل الدقيق الحذر، غير المدفوع بالعاطفة، بل بالحسابات الدقيقة. لماذا لا ترغب في مساعدتي؟".

"يبدو أنك قد عرفت -من قتل ذلك الرجل باندي. هل عرفته؟".

لم يكن بوارو قد عرفه. كل ما توصل إليه هو أن هناك قاتلًا ينبغي القبض عليه: شخصًا خطرًا وشريرًا يجب إيقافه. لم يعلن من قبل عن موعد مسبق سيكشف فيه عن الحقائق المهمة *التي لم يكتشفها بعد*. لماذا اختار أن يفعل ذلك في حالة بارناباس باندي إذن؟ لم يكن بوارو يعرف إجابة هذا السؤال. كان يتساءل إن كان هذا نوعًا من الأمل، متنكرًا في صورة تحدٍّ مثير وخطير.

تجنب بوارو الإجابة عن سؤال جون ماكرودن، وقال: "ما زلت أنتظر إجابتك".

أطلق ماكرودن سبابًا غير مسموع، ثم قال: "لا، لم أسمع باسم ميلدريد رول، أو فريدي رول من قبل".

"ماذا عن أنابيل تريدواي، أو هيوجو وجاين دوكيريل؟ أو يوستيس كامبل براون؟".

"لا. لا تعني هذه الأسماء أي شيء بالنسبة إليَّ. هل كان يجب أن تعني شيئًا؟".

"ليس بالضرورة، لا. هل تعرف مدرسة تورفيل؟".

"بالطبع سمعت بها".

"ولكن لا توجد لديك أية روابط شخصية بهذا المكان، أليس كذلك؟".

"لا، لقد أرسلني والدي في البداية إلى مدرسة إيتون، ثم مدرسة راجبي، وطُردت من كلتيهما".

"شكرًا لك سيد ماكرودن. يبدو أنك بالفعل المربع الأصفر الوحيد من الكعكة، تجلس وحدك تمامًا عند حافة الطبق. ولكن، *لماذا؟* هذا هو السؤال: لماذا؟".

"كعكة؟". قالها جون ماكرودن، وقد عقد حاجبيه مفكرًا، ثم استطرد: "لا شيء مما قلته مؤخرًا يحمل معنى مفهومًا بالنسبة إليَّ. لهذا السبب، لن أسألك عن وجه الشبه بيني وبين قطعة من الكعكة! وأنا على يقين بأنني لن أفهم، حتى إن أخبرتني".



الفصل ٢٣

تعمّد الأذى

عندما كنت في طريقي إلى مدرسة تورفيل بعد يومين، على أمل التحدث إلى تيموثي لافينجتون، وفحص جميع الآلات الكاتبة فيها، لم أستطع منع نفسي من الشعور بأنني قد تعرضت لظلم. كان بوارو أيضًا مسافرًا، وكنت أتمنى لو تبادلنا الأدوار، كان بوارو في طريقه إلى مدينة لانيدلوس في ويلز؛ ليحادث امرأة تُدعى ديبورا داكين. كان فينسنت لوب، كما عرفنا أمس من أحد "مساعدي" بوارو الغامضين، قد توفي منذ نحو ١٣ عامًا، وكانت السيدة داكين، أرملة ابن لوب الأكبر، هي الوحيدة المتبقية من العائلة على قيد الحياة.

كنت أتمنى أن أذهب مع بوارو للتحدث معها، ولكن لأن الوقت كان ينسل من بين أصابعنا بسبب ذلك الموعد الذي فرضه بوارو بنفسه دون داعٍ في يوم ٢٤ فبراير، الذي كان يقترب بسرعة، تم تكليفي برحلة مدرسة تروفيل.

لم أكن أحبذ فكرة الذهاب إلى مدرسة داخلية للصبية. كنت أرتاد واحدة مثلها في أثناء دراستي، وعلى الرغم من قدر العلم الذي حصلت عليه، لم أكن أحب لأحد أن يمر بالتجربة نفسها التي مررت بها.

شعرت براحة أكبر بعض الشيء بمجرد أن دخلت إلى مبنى كود، وهو مبنى ضمن المدرسة الداخلية، يديره كل من هيوجو وجاين دوكيريل. كان المبنى

فسيحًا واسعًا، ذا واجهة مسطحة، وتقسيم متناسق للنوافذ، كأنه منزل دمية ضخم. وكان المبنى من الداخل دافئًا، ونظيفًا، ومرتبًا بوجه عام، ولكن بينما كنت أنتظر أن يصحبني أحدهم إلى غرفة مكتب هيوجو دوكيريل، رأيت كومة من الكتب، وأخرى من الأوراق متروكة على الأرض بالقرب من الباب الأمامي. وكانت هناك ملاحظات موضوعة على قمة كل كومة: "هيوجو، من فضلك انقل هذه الكتب"، و"هيوجو، أرجو أن تعثر على مكان مناسب لهذه الأوراق"، وكلتا الملاحظتين موقعة بحرف "ج".

ظهر صبي قصير القامة يرتدي نظارة، وكان الصبي الثالث الذي يساعدني حتى هذه اللحظة. كان هذا الصبي، مثل الاثنين اللذين سبقاه، يرتدي زي تورفيل الموحد كاملًا: سترة كستنائية اللون، وسروالًا رمادي اللون داكنًا، وربطة عنق مخططة باللونين الكستنائي والأصفر. قال الصبي: "لقد حضرت لأصحبك إلى مكتب السيد دوكيريل".

شكرت الصبي وتبعته صاعدًا الدرج حتى وصلنا إلى رواق واسع، ومررنا بالعديد من الأركان قبل أن يتوقف ويطرق أحد الأبواب.

ثم جاء صوت رجل من الداخل، يقول: "تفضل بالدخول!".

دخل مرشدي الطالب، وغمغم ببضع كلمات عن أن هناك زائرًا، ثم عدا مبتعدًا كأنه يخشى أن يتعرض للعقاب؛ لأنه أوصلني إلى الغرفة. أما الرجل، برأسه الخالي من الشعر تقريبًا، وابتسامته الواسعة، فتوجه نحوي مادًا يده أمامه ليصافحني، وقال بود:

"المحقق كاتشبول! أنا هيوجو دوكيريل، وهذه زوجتي جاين، التي أعتقد أنك التقيتها من قبل؟ مرحبًا بك في مبنى كود! إننا نؤمن بأنه أفضل مبنى داخلي على الإطلاق، ولكن لا شك في أننا متحيزان له".

قالت جاين دوكيريل بجدية: "إنه الأفضل بالفعل، يسعدني لقاؤك مجددًا أيها المحقق كاتشبول". وجلست على مقعد جلدي وثير في أحد أركان الغرفة. كانت الكتب مصطفة على كل جدار من قمته حتى قاعدته، وكان هناك الكثير من

أكوام الكتب المتناثرة على الأرضية. ربما كان هذا هو المكان حيث تذهب تلك الأكوام التي وضعت بطريق الخطأ بالقرب من الباب الأمامي لمبنى كود في نهاية المطاف.

وعن يسار جاين دوكيريل، وعلى أريكة ذات ظهر مستقيم، جلس صبي داكن الشعر، يسقط شعره على عينيه البنيتين. كان شخصية غريبة الشكل: كان طويل القامة، وتدل عيناه وشعره وبنيته العظمية على أنه يجب أن يكون وسيمًا، ولكن الجزء السفلي من وجهه لم يكن جميلًا إلى هذا الحد. كان يعتلي وجهه تعبير ينم عن أنه محاصر، وكان يتصرف كأنه يتوقع أن يتلقى توبيخًا أو عقابًا.

ثم قلت: "صباح الخير سيدة دوكيريل. يسعدني لقاؤك سيد دوكيريل. شكرًا لكما على توفير بعض الوقت لي في يوم عملكما المزدحم".

صاح دوكيريل المشرف على المبنى، قائلًا: "يسعدنا استقبالك؛ يسعدنا هذا!".

قالت زوجته: "هذا تيموثي لافينجتون، ابن حفيدة بارناباس باندي الراحل".

سأل تيموثي دون أن ينظر إليَّ: "هل حقيقي أنك تعتقد أن جدي قد قُتل؟".

"تيموثي ..". كانت هناك نبرة تحذيرية في صوت جاين دوكيريل. يبدو أنها تخشى من أن يؤدي هذا السؤال إلى أن يتحدث تيموثي بطريقة وقحة.

قلت لها: "لا بأس. تيموثي، أريدك أن تشعر بأنك يمكنك التحدث بحرية، وأنك تستطيع أن تطرح عليَّ أية أسئلة قد تطرأ على بالك. لا بد أن هذا الأمر يبدو مريعًا بالنسبة إليك".

قال الصبي: "سأصف الأمر بأنه محبط أكثر من كونه مريعًا. إن كان قد مات مقتولًا، وليس في حادث عرضي، فربما فات أوان القبض على الفاعل، أليس كذلك؟".

"لا".

قال تيموثي: "جيد".

"ولكنني أعتقد أنه ليس من المرجح بشكل كبير أن يكون السيد باندي قد قُتل، يجب ألا تقلق بهذا الشأن".

قال: "لست قلقًا، وعلى النقيض منك، أعتقد أنه من المرجح".

"تيموثي"، قالتها جاين دوكيريل محذرة مرة أخرى، وقد أدركت أن الوقاحة لن يمكن تجنبها.

أشار تيموثي ناحيتها دون أن ينظر إليها مباشرةً، وقال لي: "كما ترى، أنا ممنوع من التحدث بحرية؛ لأن السيدة دوكيريل تريد مني أن أقول الأمور التي يعتقد الكبار أن الفتيان في مثل عمري يجب أن يقولوها".

سألته: "لماذا تعتقد أنه من المرجح أن جد والدتك قد قُتل؟".

"لعدة أسباب. كان من المفترض أن تحضر أمي وخالتي أنابيل وأيفي حفل رأس السنة الجديدة هنا في اليوم الذي توفي فيه جدي، وألغين حضورهن في اللحظة الأخيرة، ولم يتمكن من شرح السبب -ليس بما يكفي لإقناعي. لا بد أن أمرًا ما قد حدث في المنزل، أمرًا قررن جميعًا ألا يخبرنني به. أيًّا كان هذا الأمر، فربما كان هذا الأمر يتعلق بقيام واحدة منهن بقتل جدي. حتى أضعف امرأة يمكنها أن تدفعه تحت سطح الماء وتغرقه. لقد كانت بنيته أضعف من عنكبوت القبو".

قلت: "استمر".

"ثم وضع أحدهم فستانًا يعود لخالتي أنابيل تحت فراشي هنا؛ فستانًا مبتلًّا، وجدي توفي في أثناء استحمامه. هذا أمر مثير للريبة، ألا تعتقد هذا أيها المحقق؟".

قلت: "لا شك في أنه أمر يحتاج إلى تفسير".

"بكل تأكيد! وماذا عن الخطابات التي أُرسلت إلى ٤ أشخاص تتهمهم بقتل جدي؟ وأحدها أرسل إلى خالتي أنابيل".

قالت جاين دوكيريل في أسف: "ربما لم يكن يجدر بنا أن نخبر تيموثي بكل ما أخبرناه به".

قال تيموثي: "كانت أيفي ستخبرني بالأمر إن لم تخبروني به. أيها المحقق، لا يمكن أن تكون أيفي هي من قتل جدي. يمكنك أن تزيلها من قائمتك، وكينجزبيري أيضًا، من المؤكد أنه لم يفعلها أيضًا".

سألت: "هل تقول إنه ربما تكون والدتك أو خالتك هي القاتلة؟".

"واحدة منهما هي القاتلة على ما أعتقد. فقد حصلت كل منهما على أموال طائلة بعد وفاته".

صاحت جاين دوكيريل، قائلة: "تيموثي!".

"سيدة دوكيريل، أعتقد أن المحقق يريدني أن أخبره بالحقيقة - أليس كذلك أيها المحقق؟ أنا أعتقد أن أمي قد تقدم على قتل أي شخص يعترض طريقها. وهي تفعل ذلك حتى تظل المسيطرة على جميع الأمور. إن خالتي أنابيل على النقيض منها تمامًا، ولكنها سيدة غريبة الأطوار، ومن يعلم ما قد تفعله؟".

سألته: "غريبة بأي شكل؟".

"من الصعب وصف الأمر. إنها كما لو كانت.. حتى عندما تكون في أسعد حالاتها، يشعر المرء بأنها تتظاهر. أقرب إلى..". أومأ تيموثي برأسه لنفسه. كأن الفكرة التي طرأت عليه قد أسعدته، ثم أردف: "هل عرفت شخصًا من قبل دائمًا ما تكون بشرته باردة كالثلج حتى عندما يكون جالسًا أمام نار مستعرة في غرفة شديدة الحرارة؟ إن وضعت المشاعر محل حرارة الجسم، فستحصل على خالتي أنابيل".

قالت جاين دوكيريل: "إن ما تقوله غير معقول على الإطلاق يا تيموثي".

قلت لها: "أعتقد أنني أفهم ما يعنيه".

"لقد كان الوضع صعبًا على تيموثي منذ وفاة والده، فقد توفي منذ بضع سنوات أيها المحقق".

قال تيموثي: "إن السيدة دوكيريل محقة. لقد حزنت للغاية على فقدان والدي، ولكن هذا لا ينفي صحة أفكاري وملاحظاتي عن الأمور الأخرى".

سألته: "هل حزنت أيضًا على فقدان جد والدتك؟".

"نعم، ولكن على نحو نظري فحسب".

"ماذا تعني؟".

قال تيموثي: "إن نهاية حياة أي إنسان حزينة، أليس كذلك؟ بالتأكيد قد شعرت بأنه من المثير للحزن أن يكون جدي قد توفي، ولكنه كان مسنًّا، ولم تكن بيننا علاقة قوية، لم يكن يتحدث إليَّ كثيرًا، لقد كان الأمر مسليًّا في الواقع: في بعض الأحيان في المنزل كان يراني قادمًا، ثم يتظاهر بأنه قد تذكر أمرًا ما يتطلب منه الاستدارة والسير في الاتجاه المعاكس".

سألته شاعرًا بأنني أعرف الإجابة: "لماذا كان يتجنبك؟".

"كان يعتقد أنني صعب المراس. أنا بالفعل صعب المراس. وكذلك كان هو - الأمر الذي كان يعني أنه يفضل التحدث إلى والدتي، أو خالتي أنابيل، أو أيفي، أو كينجزبيري، فقد كانوا جميعًا يداهنونه".

"ألم تنزعج من أنه كان يفضل شقيقتك عليك؟".

"على الإطلاق. إن أمي تفضلني، وبذلك تحققت المساواة. أنا ولدها الغالي الذي من المستحيل أن يرتكب أية أخطاء. فلدينا تفضيلات في عائلتنا. لم يكن الجد يحب وجود خالتي أنابيل إلى جواره، مثلما يحب وجود أمي - ولكنني أعتقد أنني أحب خالتي أنابيل أكثر، إنها امرأة أكثر لطفًا".

قال هيوجو دوكيريل بغموض: "تهذب يا لافينجتون".

"لا يمكن للمرء أن يختار ما يشعر به تجاه الآخرين يا سيد دوكيريل. أليس كذلك أيها المحقق؟".

لم تكن لديَّ أية نية في المشاركة في الانحياز لطرف دون آخر.

قال تيموثي: "لِمَ تبدين مصدومة إلى هذا الحد يا سيدة دوكيريل؟ إنك تحبين فريدي رول أكثر من جميع الصبية الآخرين في مبنى كود، وأنا على يقين بأنه لا حيلة لك في الإحساس بذلك الشعور، مثلما هي الحال معي تمامًا".

قالت جاين دوكيريل: "هذا ليس صحيحًا يا تيموثي، حيث إنني كنت سأعامل أي صبي منطوٍ بالضبط كما أعامل فريدي. وأنت بحاجة إلى تعلم الفارق بين

الصدق والبوح بكل فكرة تخطر على ذهنك. قد تكون بعض الأفكار مفيدة، ولكن بعضها الآخر ليس كذلك. أعتقد أنك قلت ما يكفي هذا الصباح. هل تسمح بأن تعود إلى دروسك الآن؟".

بمجرد أن انصرف تيموثي، سألت عن الآلات الكاتبة. قال هيوجو دوكيريل: "بكل سرور، يا صديقي العزيز، يمكنك أن تفحص آلتي الكاتبة كما يحلو لك. أوه.. إنني أتساءل أين هي. جاين، عزيزتي، هل تعلمين أين هي؟".

"يؤسفني أنني لا أعرف يا هيوجو، لم أرها منذ أسابيع. في المرة الأخيرة عندما رأيتها، كانت في هذه الغرفة، ولكنها ليست هنا الآن".

حاولت أن أبدو كأن هذه المعلومة غير مهمة لي، أو غير ذات صلة، وسألت: "هل تذكر أنك نقلتها إلى مكان آخر يا سيد دوكيريل؟".

"لا. لا، يؤسفني أنني لا أذكر. لا أعتقد أنني نقلتها، ولكنها ليست هنا. إنه لأمر غريب".

سألت زوجته: "لماذا ترغب في رؤية آلتنا الكاتبة؟". حكيت لها عن حرف "الياء" المعيب الذي تكرر في الخطابات الأربعة، وأخبرتها بأنه إن كان ممكنًا، عليَّ أن أفحص جميع الآلات الكاتبة في مدرسة تورفيل.

قالت: "لقد شككت في هذا الأمر، أيها المحقق، لقد قلت إن زيارتك إلى هنا اليوم ليست عملًا شرطيًّا رسميًّا".

"هذا صحيح".

"إذن، لا يوجد تحقيق رسمي من شرطة سكوتلانديارد بشأن الخطابات الأربعة، أليس كذلك؟".

"لا؛ حتى هذه اللحظة، كل ما يحدث هو أنني وبوارو نبحث الأمر، بعد إذنكما بالطبع، لنرَ إن كنا سنتمكن من التوصل إلى حل لهذا اللغز المحير".

"أعي هذا جيدًا، أيها المحقق، ولكنَّ هناك فارقًا بين المحادثة القصيرة التي أجريناها منذ قليل، والسماح لك بأن تفحص آلاتنا الكاتبة. لست واثقة بما سيشعر به أولياء أمور الطلبة حيال هذا الأمر، أو مدير المدرسة كذلك. أعتقد أنه سيقول إن عليك أن تحضر أمر تفتيش إن أردت فعل ما تود فعله".

كانت أهمية آلة هيوجو دوكيريل الكاتبة تزداد أهمية في هذه اللحظة.

"هل يمكنني أن أطرح سؤالًا فظًّا يا سيدة دوكيريل؟ هل تحاولين التستر على شخص ما؟".

نظرت نحوي بحذر قبل أن تجيب: "من تظن أنني أحاول التستر عليه؟ اطمئن، لم أخفِ آلة هيوجو الكاتبة في مكان سري. ولِمَ قد أفعل؟ أنا لم أكن أعرف أنك قد تطلب فحصها".

"ولكن، وبعدما طلبت فحصها، ربما لم تعجبك فكرة أنني قد أعثر عليها، بل ربما الإقرار بأنها، تحديدًا، هي الآلة الكاتبة التي كُتبت بها الخطابات الأربعة".

بدا الجزع على وجه هيوجو دوكيريل، وهو يقول: "عزيزتي جاين، إنك لا تعتقدين أنني من أرسل هذه الخطابات، أليس كذلك؟".

"أنت؟ لا تكن سخيفًا يا هيوجو. كل ما أقوله هو أن المحقق كاتشبول يجب أن يتحدث مع مدير المدرسة، إن تورفيل تحت مسئوليته. وإن اكتشف أن أحد المحققين قد سُمح له بأن يتجول فيها بحرية دون تصريح، وأن يفحص ممتلكات المدرسة، فإننا لن نفلت من عقابه!".

لإعطاء جاين دوكيريل حقها، كانت قد بذلت قصارى وسعها لإقناع مدير المدرسة بأن التعاون معي هو الأمر المنطقي والصحيح لفعله. وكاد ينصاع لها، حتى سمع أن هيركيول بوارو متورط في الأمر، حينها تغير سلوكه، وأصبح عنيدًا، ولم يكن هناك سبيل لجعله يعدل عن رأيه . وقالها صراحة، على الرغم من وجود الكثير من الآلات الكاتبة في مدرسة تورفيل، لكنه لن يسمح لي برؤية أي منها.

بينما كنت أعبر باحة المدرسة في طريقي إلى الخارج، كنت أفكر في واحدة من الآلات الكاتبة أكثر من البقية: آلة هيوجو دوكيريل الكاتبة، وتساءلت من الذي أخفاها؟

"أيها المحقق كاتشبول!".

التفت نحو الصوت لأرى تيموثي لافينجتون واضعًا على كتفه حقيبته المدرسية، ويسرع نحوي.

ثم قال لي وهو يلهث: "هل لديك أية أسئلة أخرى ترغب في طرحها عليَّ؟".

"لديَّ بعضها في الواقع، أريد أن أسألك عن حفل رأس السنة الجديدة".

"هل تقصد يوم وفاة جدي؟".

"نعم، ولكنني مهتم بالحفل".

جفل تيموثي، وقال: "لماذا؟ إنه مضيعة وقحة للوقت، مثل كل عام. أتمنى لو أنهم ألغوه".

"هل كنت حاضرًا طوال اليوم؟".

"نعم. لماذا؟".

"هل رأيت فريدي رول في الحفل، ووالدته؟ والسيد والسيدة دوكيريل؟".

"نعم. لماذا تسأل؟ أوه، فهمت! إنك تتساءل عما إذا كان أي منهم من المحتمل أن يكون هو قاتل جدي. لا، لقد كانوا جميعًا هنا".

"هل يمكنك أن تؤكد أنهم كانوا حاضرين طوال اليوم؟ هل لاحظت إن كان أي منهم قد غادر، ثم عاد بعد ساعة أو ساعتين؟".

فكر تيموثي في السؤال، ثم قال: "لا، لا أعتقد هذا. أما السيدة رول، على وجه الخصوص، فربما فعلت ذلك".

سألته: "لماذا تقول ذلك؟".

"لقد قادت سيارتها بنفسها إلى هنا خلال يوم الحفل. لقد رأيتها في أثناء وصولها؛ لأن فريدي أسرع نحوها ليستقبلها. ولا أرى أنها مثال للفضيلة -على الرغم من أن السيدة دوكيريل ستقول "تيموثي!" إن سمعت ما أقوله لك الآن".

"أعتقد أنك تشير إلى الشائعات التي تدور حول سيلفيا رول، أليس كذلك؟".

اتسعت عينا تيموثي في دهشة، وقال: "هل سمعت هذه الشائعات؟ لم أكن أعتقد أنك قد سمعتها. مَنْ أخبرك بها؟".

قلت مسرورًا بحسن انتقائي للكلمات: "من الممكن أن تحصل على الكثير من المعلومات في أثناء تجولك في مدرسة كبيرة مثل هذه".

"إذن.. هل تعلم أنها تقتل الأطفال الرضع؟ أوه! *ألم تكن تعلم*؟".

لا بد أنني بدوت مندهشًا مثلما شعرت تمامًا. قالت جاين دوكيريل، عندما أحضرت الفستان إلى منزل وايت هافن، إن هناك أمرًا يتعلق بجني السيدة رول المال بطريقة غير قانونية أو أخلاقية. لقد افترضت أنا وبوارو ورولاند ماكرودن أنها كانت تقصد نوعًا مختلفًا من التصرفات غير القانونية أو الأخلاقية.

قال تيموثي: "إن هذا صحيح تمامًا".

"عندما تقول إن سيلفيا رول تقتل الأطفال الرضع..؟".

"تذهب إليها النساء الحوامل بأطفال لا يرغبن في الاحتفاظ بهم؛ فقط اللاتي يمكنهن أن يدفعن الكثير من المال، بالطبع. ويبدو أن السيدة رول لا تهتم بأمرهن أو بأمر الأطفال، كل ما يهمها هو أن تزداد ثراءً؛ لهذا السبب أعتقد أنها ربما قتلت جدي. ألا تعتقد أن القتل قد يتحول إلى عادة؟ أعني، بمجرد أن يسلب المرء حياة إنسان، فلِمَ لا يستمر؟ وربما كان جدي الضحية المثالية؛ فالمسنون، مثل الرضع، جميعهم لا يمكنهم المقاومة".

اعتقدت أن نظرية تيموثي خيالية إلى حد ما. فما دافع سيلفيا رول وراء قتل بارناباس باندي؟

سألته: "هل يمكن للسيدة رول أن تدس الفستان تحت فراشك؟".

"بكل سهولة، ولكنني لا أعلم كيف حصلت عليه في الأساس؛ إنه يخص خالتي أنابيل".

كنت على وشك أن أسأل تيموثي عما إذا كان يعرف أين توجد الآلة الكاتبة الخاصة بمدير مبناه الداخلي، عندما قال: "أريد أن أريك شيئًا يخص والدي. يجب أن تعدني بألا تخبر أحدًا، لو أخبرتك ما هو؛ وبخاصة أمي. إنها لا تستحق أن تعرف، فكثيرًا ما كانت تتعامل ببرود مع أبي -لم أرها تظهر نحوه أية عاطفة على الإطلاق".

"لا أعتقد أنه يمكنني أن أعدك بأن أحتفظ بهذا الأمر سرًّا يا تيموثي، وبخاصة إن كانت هناك مساءلة قانونية تتعلق به ..".

"لا شيء من هذا القبيل، بل على النقيض تمامًا في واقع الأمر"، ثم فتح حقيبته وأخرج منها ظرفًا، وأعطاني إياه. كان الخطاب موجهًا إليه -ليس على عنوانه في كومبنجهام هول، بل على عنوان مدرسة تورفيل، وقال: "افتحه".

سحبت الخطاب من داخل الظرف، وفضضته، وبدأت أقرؤه:

عزيزي تيمي:

يؤسفني أن الأمر استغرق مني فترة طويلة لأخبرك بأنني على النقيض مما أخبروك به لم أمت. أنا على قيد الحياة، وبصحة جيدة، وأشارك في عمل مهم للغاية نيابة عن حكومة جلالة الملك. إن بلادنا عرضة للتهديد، ويجب حمايتها، وقد أصبحت أحد حماتها. تسبب عملي في أن أتعرض وآخرين لخطر محدق؛ لذا تقرر أنه يجب أن أختفي. أخشى من أنني لا يمكنني أن أخبرك بالمزيد مما أعرفه دون أن أعرضك للخطر، وهو أبعد ما يكون عما أريد أن أتسبب فيه لك. لم يكن يجدر بي أن أرسل إليك هذا الخطاب، ويجب أن تعدني بألا تخبر أحدًا بأنني فعلت. إن هذا أمر على جانب كبير من الأهمية يا تيمي. لا أعلم إن كنت سأتمكن من العودة إلى حياتي السابقة، ولكن من المؤكد أنني سأراسلك كلما استطعت. ويجب أن يكون هذا سرًّا بيننا. وبمجرد أن أستطيع، سأرسل إليك عنوانًا يمكنك أن تراسلني عليه، ومن ثم سيمكننا أن نتراسل بطريقة أفضل. أنا فخور بك للغاية يا تيمي، وأفكر فيك كل يوم.

والدك المحب:

سيسيل لافينجتون

كان الخطاب بتاريخ ٢١ يونيو ١٩٢٩: أي منذ نحو ٨ أشهر.

قلت وقد شعرت فجأة بقلبي ينتفض بين ضلوعي: "يا إلهي!".

قال تيموثي: "لا أعتقد أن أبي سيمانع في أن أعطيك الخطاب. إن أمي وأيفي وخالتي أنابيل هن اللاتي ينبغي ألا يعرفن عنه شيئًا. من المؤكد أنه لم يكن ليعترض على أنني عرضت الخطاب على رجل شرطة. فقد كنت أتوق إلى أن أخبر أي شخص بشأنه. لقد ثار غضبي بشدة بينما كنت جالسًا في صمت، بينما تقول لك السيدة دوكيريل إنه لا بد من أنني لا أزال حزينًا على وفاة والدي، إنها لا تعرف

أنــه لا يــزال على قيد الحياة مثلي ومثلــك. لا بد أنهم دفنوا تابوتًــا فارغًا. ها! إن التعبير البادي على وجهك عجيب. كنت أعرف أن الخطاب سيصدمك".

قلــت بهدوء: "لقد صــدمني بالفعــل"، وكنت أحــدق إلى كلمــات "مبنى كود، مدرســة تورفيل" المكتوبة على ظــرف الخطاب. حرفا "ياء"، دليلان صــغيران؛ والكثير من الأدلة الأخرى داخل الخطاب نفسه.

كان الخط العرضــي لكل حرف من حروف "الياء" يحتوي على فجوة صــغيرة يظهر عبرها لون الورق الأبيض. قبل أشهر من أن يقرر منتحل شخصية هيركيول بوارو أن يتهم ٤ أشــخاص بقتل بارناباس باندي، كان قد أرســل هذا الخطاب إلى تيموثي لافينجتون.

وكان السؤال السرمدي المطروح، هو: لماذا؟ وكيف تتوافق أجزاء اللغز معًا؟

الفصل ٢٤

عداوة قديمة

فــي قلب ويلــز، جلس هيركيول بوارو إلــى طاولة مليئة بالخدوشـ، تواجهه ديبورا داكيــن، وكانت امرأة بدينة ذات شــعر رمادي اللون، تحدثــت كثيرًا خلال الفترة القصــيرة، منذ تعرف بها بوارو، عن حاجتها إلى رفع قدميها، ومدى صعوبة فعل هذا. كانت قد أجلت بدء محادثتها نحو ٢٠ دقيقة، بينما كانت تتجول في مطبخها. لتعد طبقًا من الكعك الذي قد يرى بوارو أنه مناسب لأن يتناوله. وأخيرًا، جلست. وبدأت تفرك كاحليها، مقطبة حاجبيها، وتغمغم بأمور لنفسها عن قدميها، بينما كان بوارو يقرأ الخطاب الذي وضعته على الطاولة، إلى جوار الكعك.

لم يكن من الســهل العثور على الســيدة داكين؛ حيث تبين أن كوخها الصــغير لــم يكن في مدينة لانيدلوس، مثلما ظن بــوارو هذا من خلال العنوان، بل كان في غابة قريبة منها، على بُعد ٣ كيلومترات منها يربط بينهما طريق منحدر وضــيق. وعلــى بعد عــدة كيلومترات ممــا يمكن أن يُطلق عليه اســم "التحضــر". لم تكن هناك منازل أخرى يمكن رؤيتها من نوافذ الكوخ، فكل ما أمكن رؤيته هو الأشجار الكثيفــة. ولو لم يكن بوارو مطمئنًا إلى أن ســيارة قوية ســتنقله عائدًا إلى محطة القطار، وكان ســائق ينتظره على مسافة قريبة بشــكل كبير مما يمكن للسيارة أن تصل، لشعر بالقلق.

قـرأ بوارو الخطاب للمرة الثانية. كان الخطاب مرسـلًا مـن بارناباس باندي إلى فينسـنت لوب على عنوان في مدينـة دوليجيلو في ويلز بتاريخ يعود إلى أواخر العـام السـابق. كان التاريخ المكتوب على الخطاب هو الخامس من ديسـمبر، أي قبل يومين فقط من وفاة باندي.

كتب باندي في الخطاب:

عزيزي فينسنت:

أنا على يقين بأنك سـتندهش من تلقيك خطابًا مني؛ حيث إنني أشـعر بالدهشة من نفسي لأنني أكتبه. لا توجد وسيلة تمكّنني من معرفة إذا كنت بعد كل هذه السنين ستشـعر بالسـعادة لتلقيك خطابًا مني، مثلما كنت ستشـعر في الماضي، أم أنك قد قـررت منذ أمد بعيد أن تمحوني تمامًا من فكرك، وألا تفكر فيَّ مرة أخرى. وسـألت نفسـي عما إذا كنت سأسـبب لك مـن الأذى ما يفوق الخير عندما أحاول التواصـل معك بهذه الطريقة بعد كل هذه السنوات، بعدما أصبح كل منا مسنًّا، ولم يعد أمامنا الكثير من الوقت لنعيشـه. في النهاية، أشـعر بأنني ملزم بمحاولة إصـلاح الضـرر الذي حدث منذ سنوات طوال.

أود أن تعرف أنني أسـامحك. إنني أتفهم الخيار الذي قمت به، وأعلم أنك كنت سـتتخذ خيارًا مختلفًا إن لم تعتقد أن حياتك معرضـة لخطـر محدق. لم يكن يجب عليَّ أن ألومك بلا هوادة على ضـعفك، وبخاصـة عندما حاولت أن تكفر عن خطئك عبـر إخبـاري بحقيقة ما حـدث، وما لم يكن يجدر بك أن تفعله. لقد كانت شـجاعة منك عندما فعلت ذلك.

أتمنى الآن لو أنني بذلت جهدًا أكبر لأرى الأمر من منظورك أنت. أتمنى لو أنني أقررت لنفسي، في وقت مبكر عن الآن، بأنني لو كنت مكانك، لشعرت بالخوف أيضًا، ولـم أكن لأفكر إلا في حماية نفسـي وعائلتـي، ولم أكن لأفكر فـي عدالة الموقف أو أخلاقياته؛ لذا أكتب إليك هذا الخطاب راجيًا أن تكون أكثر تسـامحًا معي مما كنت معك في الماضـي. أعتذر لك يا فينسـنت من أعماق قلبـي. وإنني نادم على اتهامي الجائر لك، وأدرك الآن أن عدم تعاطفي معك كان إثمًا أقبح من كل ما فعلته أنت.

أرجو أن تسامحني،

بارناباس

رفع بوارو عينيه عن الخطاب، وسأل ديبورا داكين: "هل تسلمتِ هذا الخطاب منذ ٣ أسابيع فقط؟".

أومأت برأسها بالإيجاب، وقالت: "ولأن فينسنت قد مات، ظل الخطاب في مكانه مغلقًا بعض الوقت، حتى قرر شخص ما أن يرى إن كانت لديه عائلة في مكان ما، وقبل أن تسألني، لا أعلم مَنْ هو هذا الشخص. كل ما أعرفه هو أنني عدت إلى منزلي ذات يوم، ووجدته موضوعًا على عتبة بابي: كان هذا الخطاب سيضيع إلى الأبد، ولن يقرأه أحد أبدًا. ومن حسن الحظ أنه وصل إلى هنا، إن كان مهمًّا- وسأقر لك، سيد بوارو، بأن هذا هو الجانب الوحيد الإيجابي في الأمر برمته، لكن إن لم يتبين أن الخطاب مهم أو مفيد لك .. فإنني أتمنى لو أنني لم أقرأه".

"ماذا تعنين يا سيدتي؟".

"كدت أبكي من السعادة عندما أخبرتني بمن تكون، وسألتني عما إذا كنت أعلم أي شيء عن خطاب أرسل به السيد باندي إلى فينسنت. فكرت مخاطبة نفسي: "إن الأمور تتم بطرق غامضة". وبعدما كنت آمل أن عينيَّ لم تقعا على هذا الشيء اللعين -وتمنيت لو أن السيد باندي لم يرسل هذا الخطاب من الأساس- إذ بمحقق شهير يأتي ويخبرني بأنه قد يساعده على تحقيق مهم! لا أمانع فيما شعرت به من انزعاج ما دام أفادك الخطاب يا سيد بوارو. لن أتظاهر بأنني سأكون آسفة إن تبين أن *هناك* مَنْ قتل السيد باندي؛ لأنني لن أفعل، على الإطلاق. ليس *بسببه*. ومع ذلك، فإن القتل جريمة، وسأقوم بواجبي طوعًا إن كان هناك قاتل يجب أن يُقبض عليه".

"يبدو لي يا سيدتي أنني مضطر إلى أن أسألك عن مكان وجودك في ذلك اليوم حين مات السيد باندي. إنك تتحدثين عنه كأنك كنت تكرهينه بما يكفي لتقتليه".

"بما يكفي؟". بدت الدهشة في عيني ديبورا داكين، واستطردت قائلة: "لقد كرهته بما يكفي بالفعل يا سيد بوارو، ولكن لا يتعلق الأمر بما إذا كنت قد كرهته بقدر "يكفي" أو بقدر "لا يكفي". لن أسمح لنفسي بأن أقتل إنسانًا أبدًا. إن الأمر

مخالـف للقانـون؛ لذا لن أفعله. هذا هو الهدف من وجـود القانون، أليس كذلك؟ أن يخبرنا بما يمكننا أو لا يمكننا فعله؟ ولكن، من فضـلك، لا تعتقد أنني لم أقتل السيد باندي؛ لأنني لا أكرهه *بما* يكفي".

"لمَ تكرهينه؟".

"بسبب ما فعله بفينسـنت. أعتقد أنك سمعت *تلك* القصـة بالفعل من وجهة نظر السيد باندي".

أخبرها بوارو بأن هذا لم يحدث.

بدت عليها الدهشـة، وقالت: "حسـنًا، إن القصـة تعود إلى وقت كانا يعملان فيه في المنجم. منجم الأردواز بالقرب من إللانبيرس. كان السـيد باندي يمتلك عـددًا مـن المناجم - هكذا جمع ثروتـه. كان هذا .. لا بد أنـه كان منذ ٥٠ عامًا مضت. لم أكن قد ولدت بعد".

إنها لم تتجاوز الخمسـين من عمرها إذن. كان بوارو يعتقد أنها أكبر سـنًّا من ذلك.

"كان السيد باندي مالك المنجم، وكان فينسنت يعمل لديه مشرفًا. وأصبحا صـديقين مقربين؛ *أعز* صـديقين. كان يمكنك أن تصف الصـداقة بينهما بأنها صداقة ستستمر طوال العمر، ولكنها لم تستمر، وكان هذا بسبب السيد باندي".

قال بوارو: "هل فعل شيئًا تسبب في تدمير الصداقة بينهما؟".

"كان بعض مناجم الأردواز قد سـرقت، وتم اتهام شـاب يُدعى ويليام إيفانز بالسرقة. كان الشاب أيضًا يعمل في المنجم، واعتقد السيد باندي أنه شاب ممتاز بكل المقاييس. حسـنـًا، دخل السيد إيفانز السـجن، حيث انتحر، ولم يكن قد مر وقت طويل على سجنه. وترك رسالة مفادها أنه لن يدع أحدًا يعاقبه على جرم لم يرتكبه. حسـنًا، إن هذا ليس منطقيًّا، أليس كذلـك؟ فعندما لف هذا الحبل حول عنقه، فإنه قد عاقب نفسه بعقوبة أسوأ من تلك التي يعاقب عليها بالسجن. ولكن، لم يكن هذا أسوأ ما في الأمر: فقد فعلت زوجته الحزينة مثلما فعل، وأنهت حياتها *وحياة* ابنهما الصغير".

غمغم بوارو، وهو يهز رأسه، وقال: "*يا للأسف!*".

"لقد كانت مأساة رهيبة: انتهت حياة ثلاثة أشخاص وراحت سدى. وتبين في النهاية، كما ترى، أنه كان *محقًا*؛ عن كونه بريئًا. لم يكن ويليام إيفانز هو المذنب، ولكنني أستبق الأحداث الآن. سأقر لك يا سيد بوارو أنني لست معتادة التحدث مع المحققين المشهورين في مطبخي".

"من فضلك، قصي القصة كما يحلو لك سيدتي".

"أنت لطيف للغاية يا سيد بوارو. حسنًا .. كان السيد باندي منزعجًا من حالات الوفاة التي وقعت لأسرة إيفانز. كان منزعجًا للغاية. لم يكن الشخص الذي يهتم فقط بأرباحه دون أن يراعي عماله، هذه شهادتي في حقه. وهذا لأوفيه حقه، على الرغم من أنني أكرهه. أعتقد أنه يجدر بي أن أقول، كرهته، لأنه مات".

قال بوارو: "قد تستمر الكراهية فترة طويلة للغاية بعد أن يرحل من تسبب فيها".

"لست بحاجة إلى أن تخبرني بهذا يا سيد بوارو! أنا خبيرة في هذا الأمر!".

"هل تم القبض على المجرم الحقيقي؛ الشخص الذي سرق الأردواز؟".

"نعم. بعد وفاة إيفانز، لم يعد فينسنت على طبيعته، وبدأ السيد باندي يلاحظ عليه بعض التصرفات الغريبة. كان يريد أن يعرف سبب شعور فينسنت بكل هذا الانزعاج على الرغم من أنه وويليام إيفانز لم يكونا صديقين مقربين. وخوفًا من أن يكون السيد باندي قد اكتشف الحقيقة، أخبره فينسنت بأنه كان يعلم طوال هذه الفترة أن ويليام إيفانز لم يكن من سرق الأردواز. كان الشخص المذنب رجلًا سيئًا وشريرًا إلى أقصى درجة، ولم يخبرنا فينسنت باسمه قط، وقال إنه لم يرغب في أن يجعل اسمه عالقًا في أذهاننا. وأخبر فينسنت السيد باندي بأن أغلب عمال المنجم يعرفون الحقيقة، وأنه ليس الوحيد الذي يعرفها. والتزموا جميعًا الصمت بعدما هدد اللص بأنه سوف ينحر أعناقهم وأعناق زوجاتهم وأعناق أطفالهم إن تحدثوا بما يعرفون".

قال بوارو بهدوء: "يا له من رجل شرير".

"بلا أدنى شك يا سيد بوارو، بلا أدنى شك. ولكن، هذا لا يجعل من فينسنت شريرًا؛ لأنه لم يفصح عما يعرفه، أليس كذلك؟ لقد كان خائفًا؛ خائفًا من أنه

وزوجته وابنه، زوجي الراحل، قد يُقتلون وهم نائمون في أسـرَّتهم إن أخبر السيد باندي بما يعرفه. هل فهمت؟ ألن تكون أنت أو أنا أو أي شـخص خائفًا لدرجة أن يلتزم الصمت؟ ولكن أفصح فينسنت عما يعرفه في نهاية المطاف. وبفضله، نال الرجل الشرير جزاءه في النهاية".

"ولكن، لم يسامحه السيد باندي، أليس كذلك؟ كان يلومه على موت عائلة إيفانز، أليس كذلك؟".

"بالفعل يا سيد بوارو. وكان فينسنت يلوم نفسه على ذلك. ولا أنكر أن غضب السيد باندي منه كان منطقيًّا في البداية. كان أي شخص سيفعل المثل، ثم لا تنسَ الصدمة التي سببها الأمر. وكان فينسنت متفهمًا ما يشعر به السيد باندي تمامًا. ولم يسـامح نفسـه قط، وكذلك فعل السـيد باندي. كان يعامل فينسـنت كأنه من قتل ويليام إيفانز وأسـرته بيديه. حتى بعد ٢٠ أو ٣٠ عامًا، عندما حاول فينسـنت مرة تلو أخرى أن يخبره بمدى ندمه على ما حدث .. لم يوافق السـيد باندي على مقابلتـه، أو قراءة خطاباته، وكان يعيدها جميعها إليه دون أن يفتحها، وفي نهاية المطاف، توقف فينسنت عن المحاولة".

"يؤسفني سماع هذا سيدتي".

قالت ديبورا داكين: "لا يجدر بك أن تأسف. ليس أنت يا سيد بوارو، لا أعنيك *أنت* .. ولكن، كان يجب أن يأسـف السـيد باندي - يأسـف بشـدة - على الطريقة التي كان يتعامل بها مع فينسنت المسكين، لقد دمره تمامًا. ومع تقدمه في العمر، وزيادة مشـقة الحياة عليه، ودون أن تصـله كلمة عطف واحدة من السـيد باندي، بدأ فينسنت يرى حكم صديقه القديم، الذي كان أعز أصدقائه ذات يوم وكأنه .. نوع من الحكم بالموت".

قال بوارو: "إنها مأساة تؤدي إلى مأساة".

قالـت ديبورا داكين: "هذا يجعل الأمر يبدو كأن أحـدًا لم يخطئ، ولكنه ليس كذلك. إنه خطأ السـيد باندي. لقد مات فينسنت مؤمنًا بأنه كان شخصًا بغيضًا، وخلال العام الأخير من حياته، لم ينطق تقريبًا بكلمة واحدة".

"إذن .. معذرة يا سيدتي، لماذا تصفين هذا الخطاب بـ"اللعين"؟ ألم تكوني سعيدة بقراءته؟ أن تعرفي أنه بعد كل هذه السنوات، أن السيد باندي لان قلبه وصفح عنه؟".

"لا، لم أسعد! لقد جعل هذا الخطاب الأمر برمته *أسوأ* - لا شك في أنك ترى هذا؟ إما إن كان فينسنت قد ارتكب إثمًا لا يُغتفر، أو أنه لم يفعل. فكثيرًا ما اعتقدنا أن هذا الإثم يبدو بالنسبة إلى السيد باندي: لا يُغتفر. ثم فجأة، وبعد ٥٠ عامًا، يقرر أنه ليس بهذه الدرجة من السوء؟ لقد ترك فينسنت يعاني طوال هذه الفترة، ليقرر فقط بعد فوات الأوان، وعندما كان الوقت مناسبًا له هو، أنه أخطأ؟".

قال بوارو: "رأي مثير للاهتمام سيدتي، ولكنه قد لا يكون عقلانيًّا تمامًا".

بدت ديبورا داكين كأنها أُهينت، وقالت: "ماذا تعني أنه ليس عقلانيًّا؟ إنه كذلك دون شك! إنَّ فعل أمر ما بعد فوات الأوان أسوأ كثيرًا من عدم فعله على الإطلاق".

فكر بوارو في أنه يمكن تطبيق المنطق نفسه على أفعال فينسنت لوب. لا شك في أن زوجة ابنه لم تفكر في الأمر من هذه الزاوية، وقرر بوارو ألا يطيل زيارته أكثر من الضروري، إن حاول أن يشرح لها هذا.

الفصل ٢٥

عودة بوارو إلى كومبنجهام هول

كان بوارو ينتظر وصول سائق ليقله من محطة القطار، وشعر بالدهشة عندما خرج من القطار؛ ليجد لينور لافينجتون تقف على رصيف المحطة تحت مظلة زرقاء اللون. لم تقل أية عبارات ترحيب، أو مجاملات معتادة، بل قالت: "أتمنى ألا أندم على السماح لك بزيارتنا مرة أخرى يا سيد بوارو".

"أتمنى هذا أيضًا يا سيدتي".

سارا معًا نحو سيارتها صامتين، وتبعهما حامل حقائب بوارو.

وعندما أدارت محرك السيارة بعد بضع دقائق، قالت لينور لافينجتون: "لم يكن من الضروري أن تكون برقيتك مبهمة على هذا النحو. هل تقول إنك قد عثرت على دليل على أن الجد قد قُتل، وأنك تخطط للكشف عن القاتل خلال إقامتك معنا؟ هل تعرف بالفعل ...؟". وتركت السؤال دون أن تتمّه.

"أُقر لك يا سيدتي بأن الصورة لم تكتمل بعد، ولكن، في غضون ثلاثة أيام، أتمنى أن أكون قادرًا على إخبارك والآخرين بالقصة كاملة".

ثلاثة أيام. ظلت الكلمات تدور في ذهن بوارو. كان يوم الرابع والعشرين من فبراير يبدو بعيدًا للغاية عندما أرسل خطابات الدعوة، ومنذ ذلك الوقت، حصل على الكثير من المعلومات الجديدة المثيرة للاهتمام، وأي من هذه المعلومات

قد يثبت أنه مفتاح حل اللغز، وبدأ يتساءل، متى سيعثر على هذا الحل؟ ومن أجل راحة بال بوارو، كان يأمل أن يحدث هذا في القريب العاجل.

قال بوارو آملاً ألا يثبت أنه مخطئ: "خلال اجتماعنا، ستعرفين الحقيقة عن وفاة جدك. بالطبع إن أحد الحاضرين في الاجتماع يعلم بالفعل حقيقة ما حدث".

سألته لينور: "هل تعني قاتل جدي؟ ولكن لن يكون هذا الشخص من بين الحاضرين، كما قلت. إن الأشخاص الذين سيحضرون في المنزل وحدهم، هم: أنا، وأنابيل، وأيفي، وكينجزبيري. ولم يقتل أي منا الجد".

"يؤسفني أن تكوني مخطئة يا سيدتي، فهناك المزيد من الأشخاص سينضمون إلينا، وسيصلون في الغد. المحقق إدوارد كاتشبول من شرطة سكوتلانديارد، هيوجو وجاين دوكيريل، فريدي رول وأمه سيلفيا. كما ستحضر ميلدريد شقيقة فريدي، وخطيبها يوستيس كامبل براون، وجون ماكرودن ووالده رولاند ماكرودن، و... احترسي من فضلك!".

انحرفت السيارة بعنف، وتفادت بصعوبة بالغة سيارة أخرى آتية من الجهة المعاكسة، ثم توقفت إلى جانب الطريق، وأطفأت لينور لافينجتون محرك السيارة.

قال بوارو متلعثمًا: "وابنك تيموثي"، ثم أخرج من جيبه منديلًا ليمسح به جبهته.

"هل تعني أنك دعوت مجموعة من الغرباء إلى منزلي دون إذني؟".

"أعرف أنه أمر غير لائق، ولكنني سأدافع عن نفسي، وأقول إن هذا التصرف كان ضروريًّا، إلا إذا كنت ترغبين في أن ينجو القاتل من القصاص العادل".

"بالطبع لا أريد هذا، ولكن ... لا يعني هذا أنك يمكنك أن تملأ منزلي بالغرباء، والأشخاص الذين لا أحبهم، دون أن تستشيرني".

"مَنْ الذين لا تحبينهم؟ فريدي رول؟".

"لا، لم أكن أعني فريدي".

"ولكنك لا تحبينه، أليس كذلك؟".

"على الإطلاق". قالتها بنبرة تنم عن الملل.

"لقد قلت خلال لقائنا السابق إنك قد نصحت ابنك تيموثي بالابتعاد عنه".

مكتبة
t.me/t_pdf

"لأنه غريب الأطوار فحسب، لقد كنت أفكر في عائلة دوكيريل، إن كنت تريد أن تعرف".

"ما وجه اعتراضك على هيوجو وجاين دوكيريل؟".

"إنهما لا يتعاملان بعدل مع ابني. إنهما يعاقبانه على أتفه الأخطاء، في حين يفلت الفتيان الآخرون، أولئك الذين يضعون على وجوههم قناع البراءة، بـ..."، لم تكمل لينور لافينجتون جملتها.

"يفلت بجريمة قتل؟". قالها بوارو مقترحًا.

"هناك الكثير من غرف النوم لإعدادها. كم من الوقت تخطط أن يقيم كل هؤلاء الأشخاص في المنزل؟ ولماذا كل هذا العدد؟".

لأن كلًّا منهم من المحتمل أن يكون قد قتل بارناباس باندي، ولا أعلم من منهم القاتل بعد.

ولكن بوارو احتفظ بهذه الإجابة الحقيقية لنفسه، وقال بدلًا منها: "أفضل أن أنتظر حتى تتكشف القطعة الأخيرة من اللغز قبل أن أقول المزيد".

تنهدت لينور لافينجتون، ثم أدارت محرك السيارة، وانطلقت بالسيارة مجددًا في طرق ريفية ضيقة تصطف على طولها أشجار الزان وأشجار القضبان الفضية على جانبيها، وقالت: "أجد أنه من المستحيل أن أصدق أن أحد هؤلاء الأشخاص الذين دعوتهم قد دخل المنزل يوم وفاة جدي دون أن يلاحظه أحدنا، ولكن ... إن كنت واثقًا بهذا، وإن كان أحد محققي شرطة سكوتلانديارد سيتكبد عناء الحضور إلى هنا، فستحصل على تعاون العائلة الكامل".

"*شكرًا جزيلًا لك*، يا سيدتي".

"بمجرد أن نصل إلى المنزل يمكنك أن تفحص الآلة الكاتبة، إن كنت لا تزال راغبًا في فعل ذلك".

"سيكون هذا مفيدًا لي للغاية".

"لقد اشترينا آلة كاتبة جديدة منذ أن كنت هنا المرة السابقة -لم تعد الآلة الكاتبة القديمة تعمل مثلما كانت".

بدا الجزع على وجه بوارو، وقال: "هل لا تزال الآلة الكاتبة القديمة موجودة؟".

"نعم، لقد طلبت من كينجزبيري أن يجهز الآلتين لك لتفحصهما، فوقت كتابة هذه الخطابات المريعة لم أكن قد اشتريت بعد الآلة الكاتبة الجديدة، ولكن إن لم أقدمها إليك لتفحصها، فربما تعتقد أنني أخفي أمرًا ما".

قال لها بوارو: "من الأفضل أن يكون المرء دقيقًا دائمًا، ويفحص كل شيء. لهذا السبب أود أن أطرح عليك بعض الأسئلة عن يوم وفاة السيد باندي".

"هل ستسألني عن المناقشة التي دارت بيني وبين أيفي، بينما كان جدي يستحم؟ تفضل. لقد أخبرتك: أنا على استعداد للتعاون إن كان هذا سيساعد على إنهاء كل هذه الشكوك والمضايقات".

قال بوارو: "وصف كينجزبيري الأمر بأنه كان جدالًا، وليس مناقشة".

قالت لينور: "لقد كانت مشاجرة رهيبة، وما زاد الطين بلة هو صراخ أنابيل المتواصل فينا لكي نتوقف، إنها لا تتحمل أي نوع من النزاعات. لا أحد يحب هذا بالطبع، إلا أن أغلبنا يتقبل حقيقة أنه لا يمكن أن تكون جميع المناقشات ممتعة. أنا واثقة بأنني وأيفي كنا سنحل النزاع بيننا في وقت مبكر كثيرًا من هذا، إن لم تكن أنابيل تقاطعنا باستمرار بطلبها أن نتعامل بعطف إحدانا مع الأخرى، وأذكر أن هذا الفعل جعلني أصبح أقل عطفًا *معها*. كان تعاطفها مع أيفي، كالعادة. ولكنها تراعي أن تتودد إليَّ أيضًا".

"سيدتي، أنا ممتن لصراحتك، ولكنك سوف تفيدينني أكثر إن أخبرتني أولًا بسبب *الجدال* الذي دار بينك وبين ابنتك".

بدت الدهشة على لينور لافينجتون وهي تقول: "نعم، لقد كنت صريحة، أليس كذلك؟ أكثر صراحة مما كنت خلال فترة طويلة، إنه شعور مثير".

فكر بوارو في أنها تبدو أيضًا قلقة حيال الأمر.

"لم تكن الكلمات القاسية التي تبادلتها مع أيفي في غرفة نومها هي بداية المشكلة. قبل بضعة أيام، كان هناك عشاء عائلي انتهى نهاية كارثية، وقبل هذا بعدة شهور، كانت هناك رحلة إلى الشاطئ، وكانت سيئة بالقدر نفسه، وقد كان هذا عندما بدأ كل شيء، وكان الأمر خطئي أنا، بالكامل. إن كنت تمكنت من السيطرة على نفسي بصورة أفضل، لم يكن شيء من هذا سيحدث".

قال بوارو: "أخبريني بالقصة من بدايتها".

قالت لينور لافينجتون: "سأفعل، ولكن بشرط واحد، وهو أن تعدني بألا تتحدث عن الأمر مع أيفي. لقد حصلت على إذنها لكي أخبرك به، ولكنني أخشى من أن يكون هذا محرجًا للغاية بالنسبة إليها، إن أثرت الموضوع في حضورها".

كردٍّ على طلبها، أصدر بوارو صوتًا يمكن اعتباره قبولًا. وفاجأته الكلمات التي سمعها بعد ذلك.

"لقد قلت ملاحظة سيئة عن ساقي أيفي، بينما كنا على الشاطئ معًا".

"ساقاها يا سيدتي؟".

"نعم. سأظل أندم دائمًا على ما قلت، ولكن بمجرد التفوه بها لا يمكن محو هذه الملاحظة من الوجود، بغض النظر عن عدد مرات الاعتذار عنها. إنها تظل موجودة في ذاكرة الشخص الذي جرحته".

سأل بوارو: "هل كانت الملاحظة مهينة؟".

"لا شك في أنني لم أكن أقصد أية إهانة. أنا واثقة بأنك قد لاحظت أن وجه أيفي به ندبة كبيرة، بالطبع لاحظت ذلك. من المستحيل ألا يلاحظ أحد هذا. كوالدة، فإنني أخشى بطبيعة الحال من أن يجعل هذا التشوه من الصعب - إن لم يكن من المستحيل - أن يطلب رجل الاقتران بها. إنني أرغب في أن تتزوج وتُنجب. لم يكن زواجي ناجحًا، لكن أيفي يمكنها أن تنتقي زوجًا أفضل مما فعلت أنا، أنا واثقة بذلك. إنها أكثر واقعية مما كنت أنا عندما كنت في مثل عمرها. إن هي أدرَكت فقط أن الزواج يتعلق بأن يختارك شريك الحياة، مثلما يتعلق بأن تختاره ليكون شريك حياتك".

أصدرت لينور صوتًا ينم عن نفاد الصبر، ثم قالت: "من المستحيل أن أقص عليك هذه القصة دون أن أذكر الأمور التي قد تقول عنها إنها لا تُغتفر يا سيد بوارو، يؤسفني أنني لا يد لي فيما أشعر. إن أيفي محظوظة لأن أغلب وجهها لم يُصب بالندوب، ويمكنها أن تخفيها بكل سهولة إن صففت شعرها بالطريقة الصحيحة؛ الأمر الذي تصر على رفضه. يمكنها أن تفعل إن اختارت ذلك

بالطبع، ولم أعتقد قط أن ندوبها قد تمنع أي رجل من الاهتمام بها، إن شخصية أيفي حيوية وآسرة".

وافقها بوارو، قائلًا: "آسرة بالفعل".

"ولكنني *أعتقد* أنه يجب عليها ألا تفاقم مشكلتها أكثر عن طريق مواصلة الأكل حتى تصبح في حجم بيت صغير. أي رجل هذا الذي قد يرتبط بزوجة ذات ندوب في وجهها، وجسد شديد البدانة؟ إن كنت أبدو غاضبة يا سيد بوارو، فإن السبب سيكون لأنني لم أخبر أيفي بهذا الأمر قط، على الرغم من أنني أفكر فيه كثيرًا. لا شيء يهمني في حياتي أكثر من سعادة ابنيَّ؛ فمن *أجلهما*، كنت زوجة مخلصة ومحبة لوالدهما، زوجي الراحل، حتى يوم وفاته. ومن *أجلهما*، أترك أنابيل ترعاهما، وتتدخل في حياتهما كأنها والدتهما مثلي تمامًا. إنني أعلم كم يحبانها، وكثيرًا ما قدمت حاجاتهما ومشاعرهما على حاجاتي ومشاعري. ولكي أتجنب أن أجرح مشاعر أيفي، كنت أجلس إلى طاولة الطعام الليلة تلو الأخرى، أراقبها تكدس أكوامًا من الطعام في طبقها، ولم أقل *شيئًا* - ولو كلمة واحدة - على الرغم من أنني كنت أتحمل بصعوبة المشهد الذي أراه. لقد كانت طفلة ضخمة وبدينة، وستظل دومًا فتاة قوية البنية بالطبع، لقد ورثت هذا عن والدها سيسيل، ولكنني لا أستطيع منع نفسي من مراقبة طريقتها في الأكل، والتساؤل عما تعتقد أنها فاعلة. يبدو أنها لا تهتم بمظهرها على الإطلاق. ولا يمكنني فهم ذلك".

تنهدت لينور لافينجتون بصوت عالٍ، ثم قالت: "حسنًا. لقد قلت ما أريد. تلك هي مشاعري الحقيقية. هل تعتقد أنني أم قاسية وغير حنون، يا سيد بوارو؟".

"لست غير حنون، ولكن ... إن سمحت لي بأن أدلي بملاحظة؟".

"لا مانع لديَّ على الإطلاق".

"إن الآنسة أيفي شابة جميلة للغاية بمظهر وحجم طبيعيين تمامًا. وفي رأيي أن قلقك غير ضروري أو مبرر. صحيح أنها لا تمتلك القوام الرائع الذي تمتلكينه أنت وشقيقتك، ولكنَّ هناك الكثير من النساء لا يمتلكنه أيضًا. انظري إلى العالم

من حولك! ليست النساء اللاتي يمكنني أن أحيط خصورهن بإصبعيّ السبابة والإبهام، هن فقط من يقعن في الحب، وينجحن في زواجهن".

كانت لينور لافينجتون تهز رأسها بعنف، بينما كان بوارو يتحدث. وعندما انتهى من حديثه، قالت: "إن ظلت أيفي تأكل أكوام البطاطس التي تضيفها إلى طبقها بالمعدل الحالي، فلن يوجد في القريب لها خصر يمكننا التحدث عنه. كان هذا ما أثار المشكلة، خلال وجبة العشاء المشئومة: كانت قد أخذت لنفسها حبة واحدة من البطاطس، ثم ثانية، ثم ثالثة، حتى لم أعد قادرة على منع نفسي أكثر من ذلك".

سأل بوارو: "من ماذا؟".

"كل ما قلته كان "أيفي، أظن أن حبتين من البطاطس كافيتان، أليس كذلك؟". كنت أعتقد أنني قد تخيّرت كلماتي بعناية، ولكنها ثارت ثورة عارمة، وأخرجت كل ما في أعماقها من استياء، بما في ذلك القصة الكاملة لما حدث على الشاطئ. شعر الجد وأنابيل بصدمة واستياء كبيرين، وشعرت *أنا* كذلك بالاستياء؛ لأنني بدوت الشخصية الشريرة في القصة كلها، وأعتقد أنني كنت كذلك بالفعل، وهذا ما زاد الطين بلة!".

قال بوارو: "أخبريني بقصة الشاطئ".

قالت لينور: "كان هذا في الصيف الماضي. كان يومًا شديد الحرارة. وكانت أنابيل مصابة بالإنفلونزا، ولم تكن قادرة على النهوض لتلعب مع هوبسكوتش في الحديقة. وكان الكلب يعوي ويئن عند نهاية فراشها؛ الأمر الذي جعلها تشعر بالكثير من الإزعاج، فطلبت منا أن نصحبه إلى الخارج هذا اليوم، بعيدًا عن كومبنجهام هول. ولم أكن متحمسة للفكرة -يؤسفني أنني لست من محبي الكلاب- ولكن قالت أيفي إن أنابيل قد تتعافى بسرعة أكبر إن لم تكن قلقة بشأن هوبسكوتش، لذا وافقت.

"وذهبنا إلى الشاطئ. كادت أيفي تغرق عندما كانت طفلة صغيرة، هل كنت تعرف ذلك؟ كانت هذه الحادثة التي أصيبت فيها بتلك الندوب المريعة. كانت قد انزلقت على ضفة النهر، وسقطت في الماء. وحاول كلب أنابيل الذي سبق هوبسكوتش - كان اسمه سكيتل - أن يوقفها عن التدحرج نحو النهر، ولكن انتهى به المطاف وقد مزَّق وجهها بمخالبه. لم يكن الأمر خطأه بالطبع".

قال بوارو: "لقد أنقذت الآنسة أنابيل حياة ابنتك، أليس كذلك؟".

"نعم؛ لولا شقيقتي، لكانت أيفي قد غرقت. كادت كلتاهما تغرق، فقد كان التيار قويًّا بما يكفي ليسحبهما بعيدًا، ولكن أنابيل تمكنت بصورة ما من سحب أيفي إلى خارج الماء، وأنقذتها، وأنقذت نفسها أيضًا. لقد كانتا محظوظتين. لا يمكنني أن أفكر كذلك فيما كان سيحدث. وأصبحت أنابيل تخشى الماء منذ ذلك اليوم".

غمغم بوارو: "تخشى الماء. هذا أمر مثير للغاية".

"كما ظلت أيفي أيضًا تخشى الماء فترة طويلة، ولكن عندما أصبحت في سن الرابعة عشرة، عاهدت نفسها بأن تقهر خوفها، وسرعان ما أصبحت سباحة نشيطة، وتمارس السباحة بشكل منتظم. والآن، أصبحت تقود السيارة نحو الشاطئ لتغطس في الماء كلما تمكنت من ذلك؛ الشاطئ نفسه الذي صحبنا إليه هوبسكوتش عندما كانت أنابيل مريضة".

"هذا شيء جدير بالثناء".

"نعم، ولكن كل هذه السباحة منحتها ذراعين وساقين مفتولة العضلات. ولست بحاجة إلى أن تخبرني بأن الكثير من النساء ذوات الأذرع والسيقان التي تشبه أذرع وسيقان الرياضيين من الرجال، سعيدات في زواجهن يا سيد بوارو. فلا شك لديَّ في ذلك. كل ما أريده هو أن تبدو ابنتي جذابة قدر الإمكان، هذا كل ما في الأمر".

لم يقل بوارو شيئًا.

قالت لينور: "عن نفسي، أنا لا أمارس السباحة بشكل منتظم. ولم أر ابنتي ترتدي ثياب السباحة منذ سنوات، حتى ذلك اليوم عندما صحبنا هوبسكوتش

إلى الشاطئ. وقد سبحت أيفي نصف ساعة، ثم جاءت لتجلس إلى جواري. كان هوبسكوتش يلعب في الأمواج، وكنت أنا وأيفي جالستين إلى جانب الأشجار. وكانت تتناول بعضًا من أطعمة النزهات، ثم جاء الكلب يعدو نحونا، وقد لاحظ أن هناك طعامًا، ثم حدث أغرب شيء على الإطلاق: شحب وجه أيفي، وبدأت ترتجف. كانت تحدق إلى هوبسكوتش، وقد فغرت فاهها، وترتجف كأنها على وشك أن تفقد وعيها.

"فسألتها عما أصابها، ولكنها لم تتمكن من التحدث. لقد راودتها ذكرى ما، كما ترى - ذكرى عن ذلك اليوم حين كادت تغرق. وكانت قد أخبرتني بذلك في وقت لاحق، ونحن في طريقنا إلى المنزل. لم تكن تتذكر إلا القليل من التفاصيل على مدار سنوات طويلة، ثم فجأة تذكرت أن رأسها كان تحت سطح الماء، ولم تكن قادرة على التنفس، أو تحرير نفسها من الشيء الذي كان يسحبها أسفل الماء. فجأة، تذكرت كل التفاصيل بكل وضوح. فقد تذكرت أنه كانت هناك *أشجار* على ضفة النهر، مثل تلك التي كنا نجلس إلى جوارها على الشاطئ، كما تذكرت رؤية قوائم سكيتل ... ما مدى معرفتك بالكلاب يا سيد بوارو؟".

"لقد تعرفت بالكثير من أنواعها على مدار الأعوام يا سيدتي. لماذا تطرحين هذا السؤال؟".

"هل رأيت من قبل كلبًا يشبه هوبسكوتش؟ كلبًا لديه فرو سميك وكثيف؟".

هل سبق له ذلك؟ لم يكن بوارو يعتقد ذلك، وأخبرها بهذا.

قالت لينور: "هوبسكوتش من نوع آيريدال تيرير. لا بد أنك لاحظت أن الشعر على قوائمه الأربع كثًا وكثيفًا، كأنه يرتدي سروالًا من الفراء".

"نعم؛ يا له من وصف دقيق".

"كان سكيتل، الكلب الذي حاول إنقاذ أيفي من نوع آيريدال، مثل هوبسكوتش تمامًا؛ فعندما تكون القوائم جافة، تبدو كلاب آيريدال تيرير أعرض كثيرًا من طبيعتها، حيث ينتفش الشعر حولها بدلًا من أن ينسدل عليها، ويلتصق بها. عندما كان هوبسكوتش يعدو نحو أيفي في ذلك اليوم، آملًا أن تعطيه بعض الطعام، كانت

قوائمــه مبتلــة من اللعب في ميــاه البحر؛ لذا كانت تبدو نحيفةً بشــكل كبير جدًّا، كأنهما عصوان بنيتان، فتذكرت أيفي اليوم الذي كادت تغرق فيه بكل وضوح.

"لقــد تذكرت رؤيــة قائمتيّ ســكيتل المبتلتين، واعتقدت، ثانيــة أو ثانيتين فقط، أنهما عبارة عن جذعي شجرتين بنيين. ولأنهما كانتا رفيعتين للغاية، قالت إنهــا تخيلت أن جذعي الشــجرتين كانا بعيدين، وفكرت فــي أن هذا يعني أنها قد علقت بعيدًا للغاية عن ضفة النهر، وأنه لا يوجد أمل في إنقاذها. أعتقد أنها كانت تهذي من فرط خوفها.

"وبعــد لحظــات، كانت أنابيل قد وصلــت إليهــا، وعاد الأمل إليهــا من جديد! لاحظت أيفي وجود جذع شــجرة ســميك إلــى جوار جذعي الشــجرتين النحيلين - حينهــا لاحظت أن جذعي الشــجرتين النحيلين لم يكونا جذعي شــجرتين من الأساس. وأدركت أنهما يتحركان نحو الأمام والخلف، وأنهما كانا متصلين بجسم الكلب، وبدا كل شيء منطقيًّا من جديد بالنسبة إليها".

تسارعت أنفاس لينور لافينجتون وهي تتكلم.

وقالت: "لك أن تتخيل يا ســيد بوارو كم كان رهيبًا بالنســبة إليَّ أن أســمع كل هذا. لقد تذكرت كل ما حدث من جديد: صــدمة اكتشــاف أنني كدت أفقد ابنتي. إن لم أصطحب أيفي وهوبسكوتش إلى الشاطئ في ذلك اليوم، وإن لم تبتل قوائمه بميــاه البحر، لم تكن لتعود جميع تلك الذكريــات. أتمنى لو أنها لم تفعل، وأتمنى لــو أنني لــم أقل ما قلته بعد ذلــك، ولكن لا يمكن للمرء أن يمحو الماضــي، أليس كذلك؟".

سأل بوارو: "هل سنصل الآن إلى تلك الملاحظة السيئة عن السيقان؟". كان يتساءل عما إذا كانت ستصل إليها من الأساس.

"كنا في الســيارة عائدتين إلى المنزل. وبعد أن أخبرتني أيفي بما حدث، لــم أكن على طبيعتي علــى الإطلاق. حاولت أن أقود الســيارة إلى المنزل دون أن أصطدم بشيء. كنت أرغب بشدة في أن تتوقف عن الحديث حتى أتمكن من جمع شتات نفسي... وخرجت الكلمات من فمي! لم أختر الكلمات التي قلتها".

"ما الكلمات التي قلتِها يا سيدتي؟".

"قلت إن ساقي سكيتل ليستا هما اللتين تشبهان جذعي شجرتين، وقلت إنه يجدر بأيفي أن تقلل من ممارستها السباحة؛ لأن ساقيها أصبحتا تقاربان جذع الشجرة، كلما زادت العضـلات بهما. ندمت على هذه الكلمات بمجرد أن تفوهت بها، ولكن كانت هناك فائدة واحدة مما قلت: فقد غضـبت أيفي من كلماتي على الفور، ولم تعد تتذكر أيًّا من ذكريات أنها كانت على وشـك الغرق. كل ما كانت تفكر فيه هو مدى نقمتها على أمها قاسية القلب. لم أقل ما قلت لكي أجرح مشاعرها -لم أكن أعتقد *في الواقع* أن سـاقيها تبـدوان مثل جذعي شـجرتين *حقيقيين*- كنت أريد فقط أن تفكر في أي أمر آخر، بدلًا من تلك الذكريات التي تزعجها. كنت أريد أن أوجه انتباهها نحو مستقبلها، وليس نحو ماضيها. لا بد أنني قضيت ساعات طوالًا في الاعتذار لها، واعتقدت أننا يمكننا أن ننسى ما حدث، بالفعل، ولكن بعد *أشهر* بينما كنا نتناول العشاء ... حسنًا، لقد أخبرتك بما حدث".

"هل أخبرت الآنسة أيفي شقيقتك وجدك بما حدث على الشاطئ، وما قلتِه لها؟".

"نعم".

"وماذا كانت ردة فعليهما؟".

قالت لينور، وقد بدا عليها الإرهاق ونفاد الصبر: "كانت أنابيل مستاءة بالطبع. ففي مقابل كل دمعة تسيل من أي شخص، تذرف أنابيل شلالًا من الدموع".

"وماذا عن السيد باندي؟".

"لم يقل شيئًا، ولكنه بدا تعسًا للغاية. لا أعتقد أن ما سبّب له التعاسة تلك الكلمـات الجارحـة التي تفوهت بهـا، بقدر الذعر الذي شـعرت بـه أيفي عندما اعتقـدت أنهـا على وشـك أن تموت. ربمـا كان يجدر بهـا أن تحتفـظ بذكرياتها المكتشـفة حديثًا لنفسـها. إنـه تأثير أنابيل فيهـا؛ لم تكن أيفي معتـادة من قبل أن تنتابهـا تلك الثـورات الانفعالية على الإطلاق. حتى بعد أن فسـد تجمعنا على العشـاء، لم يكن هذا كافيًا بالنسـبة إليها! ففي اليوم الـذي توفي فيه الجد، كنت أسـير في الرواق، وسمعت صوت بكاء عالٍ. يمكن للمرء أن يبكي بصوت خافت يا سيد بوارو، كما تعلم".

"بالطبع سيدتي".

"ويؤسفني القرار الذي اتخذته حينها أنني لن أتحمل تلك الشفقة على النفس أكثر من ذلك. وكثيرًا ما كانت ابنتي فتاة قوية وعقلانية. وعندما أخبرتها بذلك، صرخت في وجهي قائلة: "ما الذي من المفترض بي فعله إن كانت أمي تقارن ساقيّ بجذوع الأشجار؟". ثم، بالطبع، اندفعت أنابيل صاعدة الدرج لتلعب دور وساطة لم نطلبه منها، وتظاهرت بأنها تحافظ على السلام بيننا، ثم بعد قليل، صاح بنا الجد من الحمام، قائلًا إننا نحدث صخبًا رهيبًا، وإن علينا أن نتوقف. إن لم تتدخل أنابيل في الأمر، وتركتني أتحدث مع ابنتي على انفراد، لم يكن ليحدث هذا الشجار الكبير؛ لأنني وأيفي كنا نرفع صوتينا لكي نغطي على صوت نواحها الذي لا ينقطع. لم يكن الجد غبيًّا، وكان يعلم هذا مثلما أعرفه أنا. كان يوجه صياحه إلى أنابيل. في ذلك الوقت كان قد قرر أن...".

التفت بوارو نحوها ليرى سبب توقف لينور لافينجتون عن الحديث، ورأى وجهها ممتقعًا، وكانت تحدق إلى الطريق أمامها مباشرة.

قال بوارو: "استمري من فضلك".

"إن فعلت، سيكون عليك أن تعدني بألا تخبر أحدًا بما سأقوله، فلا أحد يعلم شيئًا عن هذا الأمر سواي، بعدما مات الجد".

"هل ستخبرينني، على ما أظن، بأن السيد باندي قد قرر أن يكتب وصية جديدة؟".

انحرفت السيارة بشدة في تلك اللحظة. صاح بوارو: "*اللعنة!* لقد فوجئت بأن هيركيول بوارو يعرف الكثير، على ما أظن، ولكن لا يُعد هذا مبررًا لقتل كل منا".

"كيف تسنى لك أن تعرف بأمر الوصية؟ إلا أن ... لا بد أنك قد تحدثت إلى بيتر عن الأمر، بيتر فاوت. هذا غريب، لقد قال لي الجد إنني الوحيدة التي أخبرها بهذا الأمر، ربما كان يعني أنني الشخص الوحيد من العائلة. يجب ألا تعرف أنابيل هذا يا سيد بوارو. يجب أن تعدني بهذا، إن هذا سيدمرها تمامًا. لقد كنت أقول عنها أمورًا قد لا تكون إطرائية، أعرف هذا، ولكن...".

"ولكنها شقيقتك، كما أنها أنقذت حياة ابنتك".

قالت لينور: "بالضبط؛ بعدما تُوفي الجد، كان هذا هو الشيء الوحيد الذي كنت سعيدة به: أنه لم تسنح له الفرصة لتغيير هذه الوصية، ومن ثم لن تكتشف أنابيل ما حدث أبدًا. كنت سأتأكد من أن تحصل على الرعاية التامة، بالطبع، ولكن هذا بعيد عن الموضوع. فأن تُحرم من الميراث بهذه القسوة ... أعتقد أنها كانت ستتدمر".

"هل حاولت إقناع السيد باندي بالعدول عن قراره هذا، عندما أخبرك بما كان ينوي فعله؟".

"لا؛ كان هذا سيزيد من إصراره عليه، فأن تحاول إقناع شخص ما بتغيير مشاعره...". قطعت عبارتها، وهي تهز رأسها في قوة نفيًا، ثم أردفت: "إن هذا أمر لا طائل منه على الإطلاق، وهذا أمر لا يفلح على الإطلاق مع نفسي أو مع الآخرين، ونادرًا ما كان يرى الجد - عدا مرات قليلة - أنه كان مخطئًا في أي شيء، ولكنه لم يكن يقتنع بخطئه قط إن أخبره شخص آخر بذلك".

قال بوارو: "فهمت".

سأل نفسه، ما ذلك الأمر الذي اعتقد أنه ليس متوافقًا؟ كان يدرك أنه سمع شيئًا ما لا يتوافق مع بقية الحديث. كما أنه كان يدرك أنه شيء سمعه منذ ركب السيارة مع لينور لافينجتون. ما هذا الأمر؟

قالت لينور: "ربما تعتقد أن شقيقتي تمتلك دافعًا قويًّا للقتل، لقد كان لديها دافع فعلًا، ولكنها لم *تعلم* أن لديها دافعًا".

ذكَّرها بوارو قائلًا: "لقد مُنحت الآنسة أنابيل أقوى حجة غياب على الإطلاق بواسطتك أنت وابنتك".

"إنك تقولها كأننا كنا نكذب، إنها *ليست* كذبة. لقد كنت وأيفي مع أنابيل في كل لحظة من ذلك اليوم يا سيد بوارو. وعندما وقفنا جميعًا في الحمام معًا، بعدما استدعانا كينجزبيري، كان فستان أنابيل جافًّا بالكامل. فمن المستحيل أن تكون هي مَنْ قتل الجد".

سألها بوارو: "أخبريني يا سيدتي: هل سامحتك الآنسة أيفي؟ أم أنها لا تزال تشعر بالحزن مما قلتِه لها؟".

"لا أعرف، فلا نية لديَّ أن أفتح هذا الموضوع مرة أخرى، ولكنني آمل أن تكون قد سامحتني. فمنذ يومين، ارتدت للمرة الأولى سوارًا كنت قد أعطيتها إياه. أعتقد أنه كان نوعًا من عرض سلام. لقد أعطيتها إياه بعد وفاة الجد، وهي بالتأكيد لم تكن قد سامحتني *حينها*! لقد أخبرتني بأنها تفضل أن تموت على أن ترتديه، وألقت به عبر الغرفة في وجهي. إنه سوار جميل، يدوي الصنع، مصنوع من الكهرمان الأسود، وكنت أعتز به كثيرًا. أعتقد أنني فكرت لو أعطيت أيفي إياه، فسيكون إثباتًا لحبي لها، حيث إنها تعلم كم أن هذا السوار أثير على قلبي - لقد كان هدية نادرة في إحدى العطلات على الشاطئ مع زوجي الراحل سيسيل - ولكنها اختارت أن تفسر الأمر بطريقة خاطئة تمامًا".

"كيف فسرت الأمر؟". كانت بوابات ضيعة كومبنجهام هول قد بدأت تلوح من بعيد الآن.

"لقد اتهمتني بأنني لا أعطيها هدايا إلا أشياء أمتلكها بالفعل، وليست هدايا أشتريها خاصةً من أجلها. وتوجهت نحو غرفتها، وبدأت تقلب في الأدراج بحثًا عن مروحة يدوية كنت قد أعطيتها إياها من قبل - كدليل آخر ضدي! كانت تلك المروحة من مقتنياتي الأثيرة على قلبي. كانت مرسومة عليها صورة امرأة بارعة الجمال تتمايل، وبالطبع كان خصرها *نحيلًا*. أنا واثقة بأنني أتذكر أنني عندما أعطيتها المروحة، قلت لها: "إن المرأة التي في الصورة تشبهك كثيرًا، يا حبيبتي"؛ لأنها كانت كذلك *بالفعل*، بشعرها الأسود الفاحم، وبشرتها البيضاء. لقد أحبت أيفي المروحة كثيرًا عندما أعطيتها إياها في البداية، ورأت تلك المقارنة مجاملةً مقصودة أوجهها إليها، ولكن فجأة وبسبب تلك الأحداث المؤسفة التي وقعت، والتي قصصتها عليك، ظنت أنني كنت أخدعها، وأنني كنت أريد منها أن ترى الفارق بين الخصر النحيل للمرأة المرسومة على المروحة وخصرها الأكثر بدانة".

قال بوارو: "إن العلاقات الإنسانية أمر شديد التعقيد".

قالت لينور لافينجتون باستهجان: "ويجعلها الناس أكثر تعقيدًا مما هي عليه بالفعل، ولكن كما أخبرتك: لقد ارتدت أيفي مؤخرًا السوار الذي أعطيتها إياه. وحرصت على أن أراها وهي ترتديه أيضًا. ربما كانت تلك طريقتها لتعرّفني أنها قد سامحتني، ماذا أيضًا قد يعنيه هذا التصرف غير ذلك؟".

الفصل ٢٦

فحص الآلة الكاتبة

عندما وصلت لينور لافينجتون وبوارو إلى ضيعة كومبنجهام هول، وجدا كينجزبيري يقف حارسًا على طاولة صغيرة في ردهة المنزل الأمامية، وعلى الطاولة، كانت هناك آلتان للكتابة متجاورتان.

قال كينجزبيري: "لقد أحضرت تلك الآلتين من أجل السيد بوارو، مثلما طلبت يا سيدة لافينجتون".

"شكرًا لك يا كينجزبيري، هذا كل شيء الآن".

وانصرف الخادم، ولم يتحرك أحد لإغلاق الباب الأمامي للمنزل.

تمكن بوارو من كبت رغبته في السؤال عن السبب وراء أن أمورًا على غرار تناول الطعام، وفحص الآلات الكاتبة، تحدث في ردهة المنزل الأمامية، في منزل بحجم كومبنجهام هول، الذي يحتوي على الكثير من الغرف التي من المؤكد أنها فارغة، ولا تُستخدم من الأساس. لم يكن الأمر منطقيًّا! إن كان بوارو يملك هذا المنزل، لوضع بيانو ضخمًا حيث توجد الطاولة الصغيرة؛ فقد كان هذا هو الشيء الوحيد الذي بدا بالنسبة له كأنه ينتمي إلى تلك البقعة بالتحديد.

سألت لينور لافينجتون: "هل هناك مشكلة يا سيد بوارو؟".

أجابها: "لا على الإطلاق يا سيدتي"، ثم عاد لينظر إلى الآلتين الموضوعتين أمامه. كانت إحداهما جديدة ولامعة، في حين كان في الأخرى شق في أحد

جوانبهـا، وخدش عميق في مقدمتهـا. وكان كينجزبيري قد وضـع بجوار الآلتين ورقة بيضاء وورقة كربون، سيحتاج إليهما بوارو فيما بعد لإجراء فحصه.

وبمجرد أن استقر مقامه في غرفة النوم المخصصة له، وتناول شرابًا منعشًا، جلس بـوارو إلى الطاولة الصـغيرة، وجرب الآلة الكاتبة الأولـى، ثم الثانية. كان حـرف "الياء" في الآلتين واضـحًا ومكتملًا، ولم يكن هنـاك أي حبر مفقود على الإطـلاق. ولم تكـن هناك حاجة إلى البحث عن أية اختلافـات أخرى، لكن بوارو ظل يبحث، فإن لم يبحث المرء، فسيحرم نفسه من فرصة العثور على أية تفاصيل غير متوقعة، قد تكون على قدر كبير من الأهمية.

تحـدث بـوارو بلغته الأم، الفرنسـية، شـاكرًا الخالـق على أن تلك التفصـيلة المهمة موجودة في هذه الحالة. كان مشـغولًا بفحص ورقتين كتب على كل منهما الكلمات نفسـها تمامًا، عندما سـمع أولًا، ثم رأى هوبسـكوتش. جـاء الكلب يعدو هابطًا الدرج، وعبر الردهة، وقفز مسـتندًا إلى قائمتيـه الخلفيتين محييًا بوارو. وجـاءت أنابيل تريـدواي تعدو خلفه، وتقـول: "هوبي، اهبط. اهبـط يا هوبي! إن السيد بوارو لا يريد أن يُلعق وجهه، أنا واثقة بهذا".

بالطبـع لـم يكـن بوارو يريـد هذا، فربـت بـوارو على الكلـب آمـلًا أن يتقبل هوبسكوتش هذا كتسوية معقولة.

وقالـت أنابيل: "انظر، كم هو سـعيد برؤيتك يا سـيد بوارو! أليـس كلبًا ودودًا ومحبًّـا؟". تمكنـت أنابيـل من أن تبـدو حزينة، وهي تقـول هذه الكلمـات، كأنها الوحيدة التي يمكنها أن تقدر طبيعة هذا الكلب الطيبة.

وأخيـرًا، تذكر هوبسـكوتش أنه كان في طريقه إلى خـارج المنزل، فتوجه من فوره إلى الحديقة.

وقالـت أنابيل عندمـا رأت الورقتين اللتين يمسـك بهما بـوارو: "أرى أنك قد بدأت فحص الآلة الكاتبة. حسنًا، لن أقاطعك، لقد وجهت إليَّ لينور أوامر صارمة بأن أدعك وشأنك، وأن أتركك لتقوم بتحرياتك".

"لقد انتهيت من تجربتي يا آنسـة. هل ترغبين في رؤية النتائج؟ أخبريني بالفوارق التي لاحظتها؟". وأعطاها بوارو الورقتين.

حدقت إلى الورقتين برهة من الوقت، قبل أن ترفع بصرها نحو بوارو، وتقول: "لا أرى أية اختلافات على الإطلاق. أعني لا يوجد ما يستحق الملاحظة. إن حرف "الياء" مطبوع بشكل كامل وصحيح في الصفحتين".

"هذا صحيح، ولكن هناك أمورًا أخرى لتنظري إليها غير حروف "الياء"".

"لقد طبعت الكلمات نفسها في كلتا الورقتين "أنا هيركيول بوارو، وصلت إلى كومبنجهام هول، ولن أغادر حتى أحل لغز وفاة بارناباس باندي". إن الورقتين متطابقتان تمامًا، أليس كذلك؟ ما الذي لم أتمكن من ملاحظته؟".

"إن أخبرتك بالإجابة يا آنسة، فسوف أحرمك من فرصة محاولة اكتشافها بنفسك".

"لا أريد أن أكتشف أي شيء، بل أريدك أن تخبرنا بما إذا كنا عرضة لخطر في ظل وجود قاتل يحوم في المكان، وأن تحمينا إن كنا عرضة للخطر بالفعل، ثم... ثم كل ما أريده هو أن أنسى!".

"ما الذي تريدين نسيانه؟".

"الأمر برمته؛ مقتل جدي، والسبب في قتله، أيًّا ما سيكون هذا السبب في النهاية، وذلك الخطاب المريع الذي لا يمكنني أن أخرجه من ذهني، على الرغم من أنني قد أحرقته".

فقال بوارو: "والفستان الأزرق المبتل الذي يحمل رسومًا لزهور بيضاء وصفراء، أليس كذلك؟".

نظرت إليه، وقد اتسعت عيناها، وبدا عليها عدم الفهم، وقالت: "ماذا تعني؟ *أنا* أمتلك فستانًا أزرق اللون يحمل رسوم زهور بيضاء وصفراء، ولكنه ليس مبتلا".

"أين هو؟".

"في خزانة ملابسي".

"هل أنت واثقة بذلك؟".

"أين سيكون إلا هناك؟ إنه الفستان الذي كنت أرتديه يوم وفاة جدي، ولم أرغب في ارتدائه منذ ذلك الحين".

إنها لم تبحث إذن عن الفستان، ولم تكتشف أنه مفقود. قال بوارو مخاطبًا نفسه، *بفرض أنها تقول الحقيقة*.

"آنستي، هل كنت تعرفين أن جدك قبل وفاته قد قرر أن يغير وصيته؟ ولكنه لم يفعل في نهاية المطاف، فقد منعه الموت من ذلك، ولكنه كان ينوي أن يغير شروط وصيته بشكل كبير".

"لم أكن أعلم هذا، على الرغم من أن محاميه بيتر فاوت قد حضر إلى المنزل، وأغلق وجدي على نفسيهما باب غرفة المعيشة للتحدث على انفراد، لذا ربما كان هذا ...".

شهقت أنابيل فجأةً، وترنحت إلى الخلف، وتحرك بوارو نحوها مسرعًا؛ تحسبًا لالتقاطها إن سقطت.

وساعدها على الجلوس على أحد المقاعد، وسألها: "ما الأمر يا آنسة؟".

قالت بصوت مبحوح: "لقد كنت أنا المعنية، أليس كذلك؟ كان يريد أن يحرمني من الميراث، وكان هذا هو سبب استدعائه بيتر فاوت. على الرغم من أنني أنقذت حياة أيفي، فبمجرد أن عرف، لم يسامحني قط! الأمر الذي يعني أنني لا أستحق الغفران"، قالتها أنابيل بحدة، ثم استطردت: "إن كان جدي أراد أن يغير في وصيته ليعاقبني، فإن هذا يعني أنني لا أستحق شيئًا؛ لا أستحق سوى المعاناة. فدائمًا ما كان عادلاً. لم أتخيل قط أنه قد يحبني مثلما يحب لينور، *ولكنه دائمًا ما كان عادلا*".

"آنستي، من فضلك، اشرحي لبوارو. ما الأمر الذي لم يتمكن جدك من مسامحتك عليه؟".

"لا! يا إلهي! سيحصل على ما أراد - لن أقف عقبة في طريق رغباته - ولكنني لن أخبرك، أو أخبر أي شخص آخر. *أبدًا!*"، ثم ركضت باكية صاعدة الدرج.

ظل بوارو واقفًا يحدق حيث ذهبت ذاهلاً، ثم استدار لينظر نحو باب المنزل الأمامي المفتوح، وفكَّر في مدى السهولة بالنسبة إليه، في أن يعود إلى لندن، وإلى

منــزل وايت هافن، وألا يعود أبدًا. فمن الناحية الرسـمية، لم تُرتكب أية جريمة؛ لذا لن يلومه أحد على فشله في حل لغز جريمة القتل.

ولكنه لن يغادر بالطبع، إنه هيركيول بوارو!

قال مخاطبًا نفسه: "ثلاثة أيام، ثلاثة أيام فقط".

الفصل ٢٧

السوار والمروحة

في صباح اليوم التالي، كان بوارو في طريقه لتناول الفطور، عندما اعترضت أيفي لافينجتون طريقه في الردهة، وكان هوبسكوتش واقفًا إلى جوارها. ولم يحاول لعق بوارو هذه المرة، وبدا في الواقع خانعًا إلى حدٍّ ما.

سألته أيفي: "أين خالتي أنابيل؟ ما الذي فعلته معها؟".

"أليست في المنزل؟"، قالها سائلًا.

"لا؛ لقد أخذت إحدى السيارات، وانطلقت إلى مكان ما دون هوبي، وهو أمر لم تفعله من قبل؛ على الإطلاق. ليس دون أن تقولّ شيئًا لي أو لأمي. هل قلت شيئًا أغضبها؟".

قال بوارو، وقد شعر بغصة في قلبه: "*نعم، هذا محتمل*. في بعض الأحيان، ومن أجل إنقاذ حياة البعض، يجب طرح الأسئلة غير المرحب بها".

سألته أيفي: "حياة من التي يجب إنقاذها؟ هل تقصد أن من قتل الجد ينوي أن يعيد الكرة؟".

"بلا أدنى شك، لقد تم التخطيط لجريمة قتل بالفعل".

"إذن هل هي حياة شخص واحد أم أكثر؟ لقد قلت "حياة البعض"".

"آنستي! *يا للهول*".

"ما الأمر؟ إنك تبدو كأنك رأيت طيفًا".

فتح بوارو فمه، ولكنه لم يتمكن من نطق أية كلمة. وكان يفكر بسرعة كبيرة لم تمكنه من التحدث على الإطلاق.

بدا القلق على وجه أيفي، وهي تقول: "هل أنت بخير يا سيد بوارو؟ هل قلت شيئًا أخافك؟".

"آنستي، لقد قلت شيئًا ساعدني كثيرًا! والآن، أرجو منك السكون فترة قصيرة، أريد أن أتبع منطق النظرية التي تنمو في ذهني؛ لأرى إن كنت محقًّا. لا بد أنني محق!".

ظلت أيفي واقفة في مكانها، وقد عقدت ذراعيها أمام صدرها تراقبه، بينما يربط أجزاء اللغز ببعضها. ووقف هوبسكوتش إلى جوارها، وهو يحدق إلى بوارو أيضًا متسائلًا.

قال بوارو في نهاية المطاف: "شكرًا لك".

قالت أيفي: "حسنًا؟ هل كنت محقًّا؟".

"أعتقد أنني محق بالفعل، نعم".

"رائع! أنا أتطلع إلى سماع نظريتك، فأنا لم أتمكن من الخروج بنظرية ما".

قال بوارو ناصحًا: "لا تحاولي فعل هذا، حيث إن تخميناتك ستقوم على فرضيات خاطئة تمامًا، ومن ثم ستفشلين".

"ما الذي تعنيه بالفرضيات الخاطئة؟".

"كل شيء في وقته يا آنسة، كل شيء في وقته".

رمقته أيفي بنظرة تجمع ما بين الضيق والإعجاب، ثم قالت مبتسمةً: "أعتقد أن أمي أخبرتك بكل شيء عن الشجار الذي وقع يوم وفاة جدي، أليس كذلك؟ إذن عرفت كل شيء عن ساقيَّ اللتين تشبهان جذوع الأشجار، وأعتقد أن أمي أخبرتك بألا تذكر شيئًا عن الأمر لي، خشية أن أغضب منها مجددًا".

"آنسة، إن سمحت لي، أنت بارعة الجمال، ولا يوجد ما يعيب حجمك أو شكلك".

قالـت أيفي، وهي تشـير إلى وجهها: "حسـنًا، هناك تلك النـدوب في وجهي، ولكـن، عدا ذلـك، أتفق معك تمامًـا، فأنا امـرأة طبيعية، وبصـحة جيدة، وهذا يناسـبني تمامًا. تعتقـد أمي أنه يجب أن أطمح إلى أن أكـون نحيفة مثل الأنبوب، ولكـن تناول الطعام يمثل هوسًـا بالنسـبة إليهـا، إنها لا تأكل بما يكفـي أبدًا، هل لاحظت ما حدث ليلة أمس في أثناء العشاء؟".

قال بوارو: "لا، لم أفعل"، وذلك لأنه كان مشغولاً بتناول وجبته اللذيذة.

"إنهـا تضـع الفتـات في فمها من وقـت إلى آخر، وتبتلعه كرهًـا، كما يفعل أي شـخص يتناول دواءً وصـفه له الطبيب، ولكنها تقضـي القسم الأكبر من وقت كل وجبـة طعام تقلب شـوكتها في الطعـام الذي أمامها، كأنها تشـك فـي أنه يتآمر ضدها. إنها تعتقد أن سبب غضبي منها أنني لم أتحمل سماع الحقيقة عن ساقيَّ المريعتين. هذا محض هراء! أنا سـعيدة تمامًا بسـاقيّ، إن مـا أزعجني هو أنني اكتشـفت أن أمـي تنظر إليَّ، ولا تـرى إلا مجموعة من العيوب الجسـدية، كما أن كذبها يغضبني كثيرًا".

قال بوارو: "هل كذبت أمك؟".

"إنهـا لا تتحمـل قول الحقيقـة. إن الحقيقة تؤرقها كثيرًا؛ لـذا فإنها قد تفعل أو تقول *أي شـيء* لتحافظ على سـعادتي وسعادة تيمي -أعتقد أنها تشعر بأن هذا واجبها كأم- ولكن، من وقت إلى آخر، يزل لسانها، وتقول الحقيقة، وعندما تفعل، تتراجع عما قالته، وتنكر الأمور الواضحة وضوح النهار. أنا لا أصدقها *أبدًا* عندما تقول إنها تعتقد أنني جميلة. أعرف أنها تكذب. سـيكون من الأفضـل لو أنها تقر بأنها سـتحب أن أحرم نفسـي من الطعام لأصـبح نحيفة، ولكنهـا تكذب مرة تلو أخرى عندما تقول إنها تحبني كثيرًا كما أنا، وتقول لنفسها إنها بذلك تحافظ على سـعادتي". كانت أيفي تتحدث بطريقة منطقية وتحليلية، ودون أثر للاسـتياء في صوتها. فكر بوارو في أنها امرأة أكثر سعادةً واستقرارًا من أمها وخالتها.

واسـتطردت قائلة: "كل ما في الأمر هو أنه عندما ينكر المرء الحقيقة، فإنها تظهر بطريقة أخرى. لا أعتقد أن أمي أخبرتك بأنها أعطتني مروحة هدية، أليس كذلـك؟". قالتها أيفي ضـاحكة، ثم أردفت: "كانت هناك صـورة لامرأة سـوداء

الشعر عليها، وقالت أمي: "ألا تشبهك هذه المرأة يا أيفي؟ إن شعرها بلون شعرك نفسه، وفستانها". كان الأمر برمته صحيحًا، ولكن المرأة المرسومة على المروحة كانت ذات خصر هو الأنحف فيما رأيت في حياتي! وتصادف أنني كنت في طريقي إلى الخروج لحضور حفل مرتدية فستانًا صارخًا، يحمل اللونين الأسود والأحمر، والذي، عندما أتذكر الأمر، لم يكن يناسبني، وكان سيبدو رائعًا على فتاة أخرى أكثر نحافة مني، ولكنني لم أهتم، فلقد أعجبني الفستان، فارتديته، ولكن لم تتحمل أمي ذلك؛ لأنه كان يبرز خصري؛ لذا قدمت إليَّ توبيخًا في صورة هدية. أعتقد أنها كانت تأمل أن أنظر إلى المرأة المرسومة على المروحة، وألحظ التناقض بيننا، وأقرر على الفور أن أرتدي ثوبًا آخر يخفي خصري، ويجعلني أبدو أكثر نحافة".

قال بوارو: "لقد أخبرتني والدتك بأنها قد أهدتك سوارًا أيضًا".

أومأت أيفي برأسها بالإيجاب، وقالت: "كان هذا بعد وفاة جدي. ألقيت نظرة واحدة عليه، وفكرت في أنني لن أتمكن أبدًا من تمرير يدي عبره، ولو حاولت مائة عام. كان السوار يخص أمي، ولا بد أنه كان يناسبها تمامًا، ولكنه لم يكن مصممًا لامرأة في حجمي. وكما تبين بعد ذلك، كان السوار *يناسبني بالفعل*، ولكنني، لم أرتده إلا مؤخرًا، ولا أعتقد أنني سأفعل مرة أخرى. لقد أردت أن تراني أمي وأنا أرتديه ولو مرة واحدة فقط. أعلم أنها تخشى من أن تكون قد حطمت معنوياتي تمامًا بعدما جعلتني أكتشف أنها تفضل أن أكون أكثر نحافة مما أنا عليه، وأردت أن أظهر لها أنني قد سامحتها. لا يمكنها أن تغير من طبيعتها. وفي خضم غضبي، لم أتعامل معها بعدل على الإطلاق. لقد كان السوار والمروحة شيئين أثيرين إلى قلبها، ولم تكن لتتخلى عن أي منهما مطلقًا - أعني إن لم تكن قد أعطتني إياهما- ولكنني اتهمتها بأنها تعطيني هدايا مستعملة، وأنها لا تحب أن تنفق أموالها عليَّ".

رُسمت ابتسامة حزينة على وجه أيفي، وقالت: "أنا لست أفضل حالًا من أمي يا سيد بوارو. أعتقد أنه من المهم أن يدرك المرء أن أقرب وأعز الناس إليه

ليسوا مثاليين. إن لم يتمكن المرء من تقبل هذا ... حسنًا، أعتقد أن هذا يقود إلى الجنون".

كان بوارو يتفق معها على أنه لا يوجد إنسان كامل، ولكنه، من ناحية أخرى، كان يفكر في اللغز وحله، بمجرد أن تتكشف أمامه جميع الأمور المعلقة والمتشابكة...

"هل كنتِ تعرفين يا آنسة أن جدك كان ينوي تغيير وصيته، وأنه توفي قبل أن يتمكن من فعل ذلك؟".

"لا"، وأطلت نظرة حادة من عيني أيفي، ثم أردفت: "كيف كان يخطط لتغييرها؟".

"لقد أخبرني كل من محاميه ووالدتك بأنه كان ينوي حرمان الآنسة أنابيل من ميراثها كله".

قالت أيفي: "لماذا بحق السماء قد يرغب في فعل أمر كهذا؟ إن خالتي أنابيل عطوف، وإيثارية، وإنسانة طيبة. لا يوجد الكثير من الناس مثلها، أنا لست عطوفًا طوال الوقت. هل *أنت*، عطوف يا سيد بوارو؟".

"أحاول أن أكون يا آنسة، من المهم أن أحاول".

غمغمت قائلة: "ولكن... لا يبدو هذا منطقيًّا، لا يمكن أن يكون هذا حقيقيًّا. دائمًا ما كان جدي يفضل أمي، ولكنه لم يُظهر قط تفضيله بهذه الطريقة الفجة. كان يعلم مثلما أعلم تمامًا أن الخالة أنابيل لن تؤذي أحدًا أبدًا. وكثيرًا ما اعتقدت أنه يشعر بالذنب؛ لأنه يشعر بأنها تثير جنونه؛ لأنه كان يدرك أنها لم تفعل شيئًا لتستحق هذا الشعور منه".

قال بوارو: "يجب أن أطرح عليك سؤالًا آخر يا آنسة. إنه سؤال غريب، وأعتذر إن سبَّب لك أي ضيق".

"هل يتعلق بجذوع الأشجار؟". قالت أيفي.

"لا، إنه يتعلق بوالدك الراحل".

"يا لوالدي المسكين".

"لماذا تقولين ذلك؟".

مكتبة
t.me/t_pdf

"لا أعـرف. لا أعتقـد أن أمـي أحبتـه كثيرًا، لقـد لعبـت دور الزوجة المحبة ببراعة تامة، ولكن لم يكن قلبها متعلقًا به. ربما كانت سـتتمكن من أن تحبه أكثر إن كانت صـادقة منذ البداية .. ولكنها تعاملت في علاقتهما بطريقتها المعتادة: حيث حاولت أن تفعل وتقول كل ما رأت أنه سـيحافظ على سـعادته، ونتيجة هذا، لم يكن أي منهما سعيدًا".

سألها بوارو: "هل خدعته أمك بشأن أمر معين؟".

قالت أيفي: "لا، إن الأمر أسوأ من ذلك، فلقد كانت تخدعه كل يوم من حياتهما اليومية العادية. إن أمي شديدة الذكاء، كما تعلم، ومنظمة للغاية، وماكرة، وتميل دومًا إلى افتراض أن الأمور ستسير كما تريد هي. وكثيرًا ما تسبب هذا التوجه في اختفاء العقبات من طريقها، أو من الأفضل أن أقول، كثيرًا ما حدث هذا منذ وفاة والـدي. كان والـدي يقلق من أتفه الأمور، وكثيرًا مـا كان يقول إنه يجب ألا يجربا فعـل هـذا أو ذاك؛ لأنهمـا لن ينجحا؛ على سـبيل المثال، تـرك كومبنجهام هول للعيش في منزل خاص بهما. كانت أمي تريد هذا، لكن أبي رفض، فتظاهرت أمي بأنها تتفق معه في الرأي. لا بد أن الأمر أرّقها كثيرًا لمعرفتها أنها سـتكون قادرة على النجاح في العيش في منزل منفصل إن توافرت لها الفرصة، وكان ينبغي لها أن تخبره بأن يتوقف عن كونه سخيفًا بدلًا من التصرف بهذه الطريقة المضطربة في حياته. أعتقد أنها شعرت بالراحة عندما مات".

"هل عبرت عن هذه الراحة صراحة؟".

"يا إلهي، بالطبع لا. إنها تفضل أن تموت أيضًا على أن تعترف بهذا. إنها ذكية للغاية. لقد اسـتمتعت كثيرًا بكونها المسئولة عن نفسها، وأن تتخذ جميع قراراتها بنفسـها منذ أن توفي والدي، ولكن دون أن تقول ولو مرة واحدة: "يا لها من راحة أن أكون حرة!"، مثلما قد تفعل الكثير من النساء في مكانها. إن قول أمر مثل هذا سيكون مباشرًا للغاية بالنسبة إلى أمي".

ثم ابتسـمت أيفي، واسـتطردت: "معذرة على ثرثرتي، مـا الذي كنت تريد أن تسأل عنه بشأن أبي؟ أنا لم أمنحك الفرصة لتسأل".

"منــذ وفــاة والــدك، هل وصــلت إليك أية خطابــات تدعي أنهــا موجهة إليك منه؟".

"خطابات من والدي الراحل؟ لا، على الإطلاق. لماذا تسأل عن هذا؟".

هز بوارو رأســه، وقال: "لا يهم، شــكرًا لك على قضائك وقتًا في التحدث معي يا آنسة. إن حديثنا معًا كان مفيدًا للغاية".

قالــت أيفي بصــوت مرتفع، بينما كان يســير بوارو متجهًا إلــى غرفة الطعام، حيــث كان فطــوره ينتظره: "أقول لك إن الأمر يهم كثيــرًا. أولًا، خطابات منك لم تكتبهــا، والآن خطابــات من والدي الراحل لا يمكن أن تكــون منه ... آمل منك أن تفســر كل هذه الأمور يا ســيد بوارو. أريد أن أفهم كل هــذه الجوانب المبهمة من ذلك الأمر الغريب".

غمغم بوارو مخاطبًا نفســه، بينما كان يجلس لتناول طعامه: "وأنا أيضًا، أريد بشدة أن أفهمها".

الفصل ٢٨

اعتراف غير مقنع

كنت جالسًا في مكتبي في إدارة شرطة سكوتلانديارد، وكنت أحاول التفكير في إجابة من لغز الكلمات المتقاطعة الصعب الذي أحاول حله، عندما طرق رئيس الشرطة باب مكتبي، ثم قال مبتسمًا: "معذرة لمقاطعتك يا كاتشبول، لقد حضرت الآنسة أنابيل تريدواي للقائك".

منذ أن عرف أن رولاند روب قد اقتنع أخيرًا بأن اتهام ابنه بالقتل لم يأتِ من طرف بوارو، أو من شرطة سكوتلانديارد، أصبح رئيس الشرطة مثالاً للعقلانية والاعتدال.

قلت: "سأقابل الآنسة تريدواي على الفور".

قادها رئيس الشرطة إلى الغرفة الصغيرة، ثم انصرف، وألقيت نظرة سريعة إلى المرأة الواقفة أمامي، وتساءلت عن سبب رؤيتي إياها في تلك اللحظة، باعتبارها مثالاً حيًّا للنهاية المأساوية. بدا الأمر كأن الغرفة قد أظلمت مع دخولها، ولكن لماذا؟ إنها لم تكن تبكي، ولم تكن ترتدي ملابس الحداد، فقد كان الأمر محيرًا.

"مساء الخير آنسة تريدواي".

"هل أنت المحقق إدوارد كاتشبول؟".

"هذا صحيح. كنت أتوقع أن أراك عصر الغد في كومبنجهام هول، ولم أتوقع أن تأتي أنت إليَّ هنا في لندن".

قالت: "هناك اعتراف أود أن أخبرك به".

"فهمت". جلست ودعوتها لتفعل المثل، ولكنها ظلت واقفة.

"لقد قتلت جدي، وليس لي شركاء".

"هل هذا صحيح؟".

"نعم". ورفعت ذقنها نحو الأعلى، وبدت كأنها فخور بذلك، ثم أردفت: "هناك ثلاثة أشخاص تلقوا خطابات تتهمهم بقتله، ولكنهم جميعًا أبرياء. أنا مَنْ قتله".

"أنت قتلت بارناباس باندي، هل هذا ما تخبرينني به؟".

"نعم".

"كيف؟".

قطبت جبينها، وقالت: "لا أعرف عما تسأل".

"إن الأمر بسيط، أنت تقولين إنك قتلت السيد باندي، وأنا أسألك، كيف فعلت ذلك".

"ولكنني اعتقدت أنك تعرف كيف مات. لقد غرق في حوض استحمامه".

"هل تعنين *أنك* قد أغرقته؟".

"أنا ... نعم، أنا أغرقته".

قلت: "تلك قصة مختلفة عن تلك التي أخبرت بها هيركيول بوارو".

خفضت أنابيل تريدواي عينيها، وقالت: "أنا آسفة".

"على ماذا؟ على قتل جدك؟ أم الكذب على بوارو؟ أم الكذب عليَّ؟ أم الأمور الثلاثة؟".

"أرجوك، لا تزد من صعوبة الأمر بالنسبة إليَّ أيها المحقق".

"لقد اعترفت من فورك بالقتل يا آنسة. ما الذي كنت تتوقعين أن يحدث: أن أقدم إليك كوبًا من الكاكاو وأربت على ظهرك؟ لقد قالت شقيقتك وابنتها لـ بوارو إنه من المستحيل أن تكوني أنت من قتل السيد باندي؛ لأنك كنت معهما

في المكان، حيث سمع ثلاثتكن صياحه شاكيًا من الضوضاء التي كنتن تحدثنها؛ حتى عثر عليه كينجزبيري ميتًا بعد نحو ٣٠ دقيقة".

"لا بد أنهما مخطئتان. لقد كنا ثلاثتنا معًا في غرفة أيفي، ولكنني غادرت الغرفة بضع دقائق. لا بد أن لينور وأيفي نسيتا ذلك. فمن الصعب على المرء تذكر الأمور بوضوح بعد مرور عدة أسابيع".

"فهمت. هل تذكرين ماذا كنت ترتدين عندما قتلت جدك؟".

"ما الذي كنت أرتديه؟".

"نعم، لقد وصفت شقيقتك لينور فستانًا معينًا".

"أنا .. كنت أرتدي فستاني الأزرق الذي يحمل رسوم أزهار صفراء وبيضاء".

كانت هذه النقطة، على الأقل، تتفق مع رواية شقيقتها.

سألتها: "أخبريني، أين هذا الفستان الآن؟".

"في المنزل. لماذا يسألني الجميع عن مكان هذا الفستان؟ لماذا أصبح مهمًّا لهذه الدرجة؟ لم أرتده منذ وفاة جدي".

سألتها: "هل ابتل الفستان، بينما كنت تغرقين جدك في مياه حوض الاستحمام؟".

بدت كأنها ستفقد وعيها، وقالت: "نعم".

"لقد قالت شقيقتك لينور لبوارو إن فستانك كان جافًّا تمامًا".

"إنها ... لا بد أنها لم تلاحظ ذلك".

"ماذا لو أخبرتك بأن جاين دوكيريل قد عثرت على هذا الفستان الذي يخصك، وكان ملفوفًا، بينما كان مبتلًّا تمامًا، وأنه كان معلقًا أسفل إطار فراش تيموثي لافينجتون في المدرسة؟".

بدت الصدمة جلية على وجه أنابيل تريدواي.

وقالت: "إنك تختلق كل هذا، لكي تربكني. أنت تفعل هذا متعمدًا!".

"هل تسببت في إرباك قصتك التي راجعتها جيدًا ببعض الحقائق غير المتوقعة؟".

"أنت تحرّف كلماتي! ألا يمكنك أن تقبل اعترافي فقط لا غير؟".

"ليس بعد. هل أنت واثقة بأنك لم تلصقي الفستان أسفل حامل فراش ابن شقيقتك؟ ألم تخشي من أن يلاحظ أحد أنه كان مبتلًا، وتفوح منه رائحة زيت الزيتون؟ هل طرأت عليك الفكرة العبقرية بأن تخفيه في مكان ما بعيدًا عن المنزل؟".

قالت بصوت مرتجف: "حسنًا إذن: نعم لقد فعلت".

"ولكن، عندما سألتك لأتأكد أنك أخفيت الفستان تحت فراش تيموثي، قلت إنه في المنزل. لماذا كذبت في هذا الشأن، على الرغم من أنك قد اعترفتِ بالفعل بارتكاب جريمة قتل؟ لا أعتقد أنك قد تكذبين في هذا الأمر".

"هناك أمر واحد هو المهم أيها المحقق: وهو أنني قتلت جدي، وسأقسم على هذا في المحكمة. يجب أن تلقي القبض عليَّ على الفور، وأنت تفعل ما تفعله عادة مع أي مجرم، ولكن هل تعدني بأمر ما في مقابل اعترافي الكامل؟ لا أريد أن يظل هوبي في كومبنجهام هول من دوني؛ فلن يرعاه أحد هناك. عدني بأن تعثر على شخص ما يحبه ويعتني به جيدًا".

قلت لها في مرح: "*ستواصلين* فعل الأمرين. فمن الجلي بالنسبة إليَّ أنك لم تقتلي أحدًا".

"لقد فعلت. سأقسم على هذا".

"ستقسمين؟ هل تقسمين على حياة كلبك هوبسكوتش؟".

زمت أنابيل تريدواي شفتيها في قوة، وسالت الدموع من عينيها، ولم تنبس ببنت شفة.

"حسنًا يا آنسة تريدواي، أخبريني: *لماذا* أغرقت جدك؟".

"هذا سؤال يمكنني الإجابة عنه بسهولة". وظهرت راحة واضحة في صوتها وعينيها. وشعرت بأنها على وشك البوح بالحقيقة، أو على الأقل بجزء منها: "لقد اكتشف جدي أمرًا ما يخصني، وكان سيحرمني من الميراث في وصيته بسببه".

"ما الذي اكتشفه؟".

قالت أنابيل تريدواي: "لن أخبرك بهذا *أبدًا*. ولا يمكنك أن تجبرني على ذلك".

"أنت محقة. لا يمكنني هذا".

"هل ستلقي القبض عليَّ لأنني قاتلة؟".

"أنـا؟ لا، سأستشير السيد بـوارو أولاً، وربما أتواصل مع قوة الشرطة المختصة بهذا الأمر بعد ذلك".

"ولكـن .. مـا الذي يجدر بي أن أفعله الآن؟ لم أكن أتوقع أن أعود إلى المنزل مرة أخرى".

"حسـنًا، أعتقد أنه سـيكون عليكِ أن تفعلي هذا، إلا إن كان لديك مكان آخر لتذهبي إليه. عودي إلى المنزل، نزّهـي كلبك، وانتظري لتري إن كان هناك أحد سـيلقي القبض عليـك بتهمة القتل. وأعتقد أنه من غير المرجح أن يحدث هذا، ولكنك ربما لا تعرفين أبدًا، فقد تكونين محظوظة!".

الفصل ٢٩

أنقليس غير متوقع

بينما كنت أجتاز المنعطف الذي يؤدي إلى الشارع الذي أسكن فيه، في تلك الليلة نفسها، رأيت باب المنزل الذي أقطن به مفتوحًا، وكانت صاحبة المنزل، السيدة بلانش أنزوورث، تقف دون حراك على عتبته متأهبة للانطلاق، خارجةً منه بمجرد أن تلمحني، فغمغمت لنفسي قائلًا: "يا إلهي!".

كانت تقفز على قدم، ثم تثب على الأخرى، وتلوح بذراعيها في الهواء، كأن أحدًا قد طلب منها أن تجسد دور شجرة عصفت بها الرياح. هل تعتقد أنني لم أرها بعد؟

رسمت على شفتيّ أفضل ابتسامة أمتلكها، وقلت: "مرحبًا، سيدة أنزوورث! إنها ليلة رائعة، أليس كذلك؟".

بمجرد أن أصبحت قريبًا منها، قالت: "كم أنا سعيدة بعودتك!"، وجذبتني إلى داخل المنزل، وقالت: "لقد حضر رجل يسأل عنك بينما كنت في الخارج. لم تعجبني هيئته، فقد كان يبدو غريب الأطوار، لقد التقيت جميع أنواع البشر، ولكنه لا يشبه أيًّا منهم".

قلت: "آه". أفضل شيء يتعلق بالسيدة أنزوورث هو أنك لا تحتاج إلى أن تطرح عليها أي سؤال، فبعد بضع دقائق من لقائها، ستكون قد أمدتك بقائمة كاملة

بجميـع الأفـكار التي تدور في ذهنها، وكل المواقف التي مرت بها، أو تورطت فيها منذ رأتك في المرة السابقة.

"لقـد وقـف مكانــه كأنه تمثـال من الخـزف أو الفخار. كانت عضــلات وجهه تتحرك بهدوء شـديد في أثناء حديثه. كان مهذَّبًـا للغاية؛ تقريبًا بدرجة مفرطة، كأنه يتظاهر بذلك".

قلت مرة أخرى: "آه".

"انتابني شـعور غريب بمجرد أن لمحته، ولكنني قلت مخاطبة نفسـي: "لا تكوني سـخيفة يا بلانش. ما الذي يقلقك؟ لقد كان الرجل دمثًا، لطيفًا، ومهذبًا، ومتحفظًا بعض الشـيء ربما، ولكن هذه ليست الأمور التي يجب القلق بشأنها، ويا حبـذا لو كان كل الرجـال مهذبين مثله"، ثم أعطاني لفافـة لأعطيك إياها، وقال إنها من أجل المحقق إدوارد كاتشـبول، وإنها مرسـلة إليـك، فتركتها جانبًا. إنها ملفوفـة بالكامل، وأنا على يقين بأنها لا تحوي شـيئًا سـيئًا *للغاية*، ولكن لا يمكننا معرفة ذلك على وجه اليقين، أليس كذلك؟ أعتقد أنها تحوي شيئًا ثقيلا".

سألتها: "أين هذه اللفافة؟".

قالت السيدة أنزوورث: "أصدقك القول، لم يعجبني شكلها، مثلما لم تعجبني هيئة الرجل. لست واثقة بأنه يجدر بك أن تفتحها، لم أكن لأفعل لو كنت مكانك".

"لست بحاجة إلى أن تقلقي بشأني يا سيدة أنزوورث".

"أوه، ولكنني أقلق، أنا أقلق عليك بالفعل".

"أين هذه اللفافة؟".

"إنهـا في غرفة الطعام، ولكـن ... انتظر!"، ثم وقفت أمامي؛ لتمنعني من المضي قدمًا نحو الردهة، وقالت: "لا يمكنني أن أدعك تفتحها دون أن أحذرك، إن ما حدث بعد ذلك هو ما أقلقني إلى هذه الدرجة. يجب أن تسمع القصة كاملة".

هل يجب حقًّا أن أسمعها؟ بذلت قصارى جهدي لأبدو صابرًا.

"لقد سـألت الرجل عن اسـمه، ولكنه تجاهلني، وتصـرف كأنني لم أسأله عن شـيء! هذا ما أعنيه: لقد حاول أن يبدو مهذبًا، ولكن لم يكن لرجل مهذب أن

يتجاهل سؤالًا بديهيًّا مثل هذا من سيدة، أليس كذلك؟ أقول لك إنه ليس كما بدا، كما أن المكر كان يطل من عينيه جليًّا".

"أكيد كان كذلك".

"كما أن ابتسامته كانت غريبةً أيضًا. ليست ابتسامة كالتي تراها كل يوم، ثم إنه فتح فمه، وقال .. ولن يمكنني أن أنسى ما قاله ما حييت! إن هذا من أكثر المواقف التي مررت بها في حياتي غرابة! قال: "*أخبري المحقق كاتشبول بأن الأنقليس جعل المركب يميل*"".

"ماذا؟".

كررت بلانش أنزوورث العبارة مرة أخرى عن طيب خاطر.

قلت: "الأنقليس جعل المركب يميل؟".

"هذا ما قاله بالضبط! حسنًا، فكرت في نفسي: لا حاجة بي إلى أن أكون مضيفة كريمة إن كان سيتعامل معي بهذه الطريقة الفجة، وقلت: "أرجو أن تخبرني باسمك"، على أمل أن يدرك أن كل هذا الهراء لا يعجبني، ولكنه لم يكترث. كل ما فعله هو أن كرر العبارة مرة أخرى. "الأنقليس جعل المركب يميل"".

قلت: "يجب أن أرى اللفافة". هذه المرة، وحمدًا لله، تنحت صاحبة المنزل جانبًا، وسمحت لي بالمرور.

وتوقفت فجأة عندما رأيت اللفافة على طاولة غرفة الطعام، وأدركت على الفور ماذا تكون.

"الأنقليس جعل المركب يميل. ها!".

"لماذا تضحك؟ هل تعلم ما تعنيه هذه العبارة؟". سألتني السيدة أنزوورث.

"نعم، أعتقد أنني أعرف".

تراجعت للخلف، وغطت فمها بيدها، وشهقت عندما نزعت الغلاف عن اللفافة. بمجرد أن ظهر الشيء داخلها، قالت في انبهار: "إنها .. آلة كاتبة".

قلت لها: "أريد بعض الأوراق. وسأشرح لك ما يحدث بمجرد أن أفحص هذا الشيء؛ لأثبت أنني محق".

"أوراق؟ حسنًا، أنا واثقة بأنني .. لا بأس بالطبع، ولكن".

"إذن، أحضري بعض الأوراق على الفور".

لم يمر وقت طويل حتى كنت أضع الورق في الآلة، والسيدة أنزوورث تقف من خلفي. وكتبت عبارة: "الأنقليس جعل المركب يميل". بدت العبارة كأنها المقطع الأول من أغنية مضحكة في حفل موسيقي، وفكرت في أن المقطع التالي قد يكون، "ولكنه لم ينقلب بفضل البرميل"، فكتبت هذه العبارة أيضًا.

سألت السيدة أنزوورث: "ماذا يكون هذا الأنقليس؟ ولماذا - أريد أن أعرف - لم ينقلب المركب بفضل البرميل؟".

جذبت الورقة خارج الآلة الكاتبة، ونظرت إلى نتاج قريحتي المبدعة، وصحت: "نعم!".

قالت السيدة أنزوورث: "إن لم تخبرني بما يحدث هنا، فلن يُغمض لي جفن الليلة".

"كنت أنا وبوارو نبحث منذ فترة عن آلة كاتبة معينة، وتبين الآن أنها هذه الآلة. إن بها حرف "ياء" تالفًا. ركزي بصرك هنا". وأعطيت إياها الورقة.

"ولكن .. ما علاقة هذا بالأنقليس؟"، قالتها سائلة.

"إن الشخص الذي أحضر الآلة الكاتبة، كان يريد مني أن أختبرها عن طريق كتابة تلك العبارة التي تحتوي على عدة حروف "ياء". هذا هو كل ما يهم -ليس الأنقليس أو البرميل؛ إنهما ليسا حقيقيين. المهم في الأمر هو: مَنْ ذلك الرجل الغريب الذي حضر إلى هنا، ولمن تعود هذه الآلة الكاتبة؟".

تخيلت كم سيكون بوارو سعيدًا عندما أخبره بهذه التطورات الجديدة للأحداث، ولكننا، في واقع الأمر.. وكنت سأدرك هذا على الفور لو لم أكن شديد الغباء، لم نتقدم قيد أنملة.

قلت للسيدة أنزوورث: "أعتقد أن الرجل الذي التقيته لم يتعد كونه رسولًا، وليس المُرسل الحقيقي للآلة الكاتبة. إننا لا نحتاج إلى معرفة اسمه، بل اسم مَن طلب منه أن يفعل ذلك".

ثم استأذنت منها، وصعدت إلى غرفتي، ورقدت على الفراش، شاعرًا بأن الغرفة تميل بي مثل مركب الأنقليس. هناك من يسخر مني؛ شخص تمكن من

لفت انتباهي إلى جهلي: "إليك الآلة الكاتبة التي تبحث عنها. كل ما عليك فعله الآن هو أن تكتشف من أين أتت، وهو الأمر الذي لن يمكنك فعله، أليس كذلك؟ ولن تتمكن من فعل هذا أبدًا؛ لأنني أكثر منك براعة". أكاد أسمع تلك الكلمات تتردد في أذني بنبرة ساخرة.

وقلت على الرغم من أن الشخص الذي أتحدث إليه لن يسمع ما أقول: "ربما كنت أكثر مني براعةً، ولكنني واثق بأنك لست أكثر براعة من هيركيول بوارو".

الفصل ٣٠

لغز الأرباع الثلاثة

في اليوم التالي، على الرغم من الطقس السيئ، توجهت إلى كومبنجهام هول مع رولاند ماكرودن. لم تكن الرحلة ممتعة، فقد قضيت الجزء الأكبر منها مفكرًا في سبب سير الحوار بيني وبين بوارو وماكرودن بكل سلاسة، وعندما أكون مع ماكرودن دون بوارو لا يمكننا أن نتحدث معًا بالطريقة غير المتكلفة نفسها، بل كان هو على الأقل يتسم بحدة المزاج.

كانت واجهة كومبنجهام هول عادية، خالية من أية لمحة جمالية، وتحمل طابع المؤسسات الحكومية، وعلى الرغم من أنه كان مبنى قديمًا، فإنه كان يحمل طابعًا معاصرًا غريبًا، كأنه قد وُضع، ولم يبْنَ، وسط المنطقة المحيطة به، ووجدت أنه من الغريب التفكير أنه في اليوم التالي سيجتمع جميع المتورطين في ذلك اللغز الغريب الذي يكتنف وفاة بارناباس باندي هنا بناءً على أوامر بوارو.

ووجدت أنا ورولاند ماكرودن الباب المؤدي إلى الردهة الأمامية مواربًا، على الرغم من الأمطار الغزيرة، ولم أتعجب عندما وجدت الجزء الأمامي من الأرضية المبلطة مبتلًا، وكان هناك بعض الطين ممزوجًا بالمياه، وفكرت على الفور في حذاء بوارو المسكين، وفي المعاناة التي ربما واجهها. كانت هناك بعض

آثار أقدام حيوان متناثرة على الأرضية، وافترضت أنها من أعمال هوبسكوتش الفنية (أو "أعماله الطينية"، وابتسمت لدعابتي).

لم يكن هناك أحد في استقبالنا، فالتفت ماكرودن نحوي، وقد علا وجهه تعبير ينم عن عدم الرضا، وبدا كأنه على وشك أن يشكو، عندما سمعنا معًا صوت وقع أقدام متثاقلة، وظهر أمامنا رجل مسن من ممر مقوس، وكان يتقدم ببطء نحونا.

قال الرجل: "أرى أنكما دخلتما أيها السيدان، أنا كينجزبيري. دعاني أحمل عنكما قبعتيكما ومعطفيكما، ثم سأقودكما إلى غرفتيكما، لقد أعددت لكل منكما غرفة رائعة تطل على منظر رائع، آه، وقد طلب السيد بوارو أن تنضما إليه معًا في غرفة مكتب السيد باندي". عندما اقترب مني أكثر، لاحظت أنه يرتجف، ولكن، لم يبدُ أنه سيغلق باب المنزل الأمامي قبل أن يدعونا إلى أن نتبعه إلى الطابق العلوي.

كانت غرفة النوم المخصصة لي شديدة الاتساع، وبسيطة، وغير مريحة، وباردة. وكانت حشوة الفراش صلبة وكذلك الوسادة، وكان هذا مزيجًا محبطًا، وكان من المحتمل أن يكون المنظر الذي تطل عليه الغرفة مبهجًا، ولكن بعد أن يتوقف هطول المطر على النوافذ.

وقد أخبرنا كينجزبيري بكيفية عثورنا على الغرفة التي لا يزال مصرًّا على تسميتها "غرفة مكتب السيد باندي"، وبمجرد أن أصبحت مستعدًّا للهبوط إلى الطابق السفلي، طرقت باب غرفة ماكرودن، التي كانت تقع إلى جوار غرفتي، وعندما سألته عما إذا كانت الغرفة تعجبه، رد عليَّ ببرود قائلًا: "إنها تحتوي على فراش وحوض لغسيل الوجه، وهذا كل ما أحتاج إليه"، كان ما يرمي إليه واضحًا كالشمس، فقد كان يعني أن المدللين المرفهين فقط هم من يأملون في أكثر من هذا.

عثرنا على بوارو جالسًا على مقعد جلدي وثير ذي ظهر مرتفع في غرفة المكتب، واضعًا بطانية مخططة بألوان البرتقالي والبني والأسود على كتفيه.

وكان يرتشف كوبًا من الشاي الأخضر، شممت رائحته بمجرد دخولنا الغرفة، ورأيت البخار الذي يتصاعد منه.

قالها بصوت ينم عن اللوعة: "كاتشبول! لا أعلم ما خطبكم أيها الإنجليز، إن الجو بارد في هذه الغرفة مثل الخارج تمامًا!".

وافقته قائلًا: "أتفق معك تمامًا، أشعر بأن هذا المنزل كجبل جليدي ذي جدران وسقف".

صاح بنا رولاند ماكرودن قائلًا: "فليتوقف كل منكما عن التذمر. ما هذا يا بوارو؟"، كان يشير إلى قطعة من الورق وضعت مقلوبة على وجهها على ما سيُطلق عليه كينجزبيري، دون أدنى شك، "مكتب السيد باندي".

قال بوارو: "أها! كل شيء في وقته *يا صديقي*، كل شيء في وقته".

"وماذا في هذه الحقيبة الورقية البنية؟".

"سأجيب عن أسئلتك *عما* قريب، ولكن أوَّلًا .. أنا أعتذر لك بشدة يا صديقي، ويجب أن أخبرك ببعض الأخبار السيئة. هلا جلست من فضلك؟".

"سيئة .."، قالها ماكرودن وقد شحب وجهه بشدة، وأردف: "هل هو جون؟".

"*لا، لا* .. إن جون على خير ما يرام".

"ما الأمر إذن؟ هيا قل ما الأمر!".

"إنها الآنسة *مايسون* المسكينة، إيمرالد مايسون".

"ماذا عنها؟ إنك لم تدعها إلى الحضور هنا، أليس كذلك؟ بوارو، سألكمك في وجهك إن كنت قد فعلت ..".

"من فضلك، *يا صديقي*". ووضع بوارو أصبعه على شفتيه، واستطرد: "أرجو أن تلتزم الصمت".

صاح ماكرودن: "فقط أخبرني بحق السماء، ما الذي فعلته الآنسة مايسون هذه المرة؟".

"لقد وقع حادث تصادم مؤسف، وكانت الآنسة مايسون في السيارة عندما .. عبر حصان الطريق أمامها فجأة".

قلت: "حصان؟".

"نعم يا كاتشبول حصان، ومن فضلك لا تقاطعني. لم يُصب أحد آخر بأذى، ولكن الآنسة مايسون المسكينة.. أوه! *يا له من أمر مؤسف!*" .

سأله ماكرودن: "هل تعني أن إيمرالد مايسون قد ماتت؟" .

"لا يا صديقي. ربما كان من الأفضل لها لو أنها ماتت. إنها امرأة شابة أمامها الحياة كلها.." .

قال ماكرودن: "بوارو، أريدك أن تخبرني على الفور .." . وكان وجهه قد احمَرَّ بشدة.

"حسنًا، حسنًا. إنها ستفقد كلتا ساقيها" .

"*ماذا؟*" ، قالها ماكرودن في ذهول.

قلت: "يا إلهي! هذا رهيب" .

"هناك جرّاح، في هذه اللحظة، يقطع ساقيها، ولم تكن هناك أية طريقة لإنقاذهما، لقد تعرضتا لضرر بالغ" .

أخرج ماكرودن من جيبه منديلًا، وبدأ يمسح جبهته. ولم ينبس ببنت شفة، وراح يهز رأسه عدة مرات، ثم قال: "هذا .. إنه .. لا يمكنني أن أقول .. لا يمكنني أن أصدق ذلك. *كلتا* ساقيها؟" .

"نعم، كلتا ساقيها" .

"يجب علينا .. يجب أن تحرص الشركة على أن تمنحها كل ما تحتاج إليه. وترسل إليها زهورًا، وسلة فواكه، وأموالًا، اللعنة! كل ما تحتاج إليه من مال، وكذلك أفضل رعاية طبية متاحة. لا بد أن يكون هناك متخصص يدرب الناس بعد حوادث مثل تلك، حتى يمكنهم أن .." ، زم ماكرودن شفتيه، وانحسرت الحمرة من على وجهه، وبدت بشرته في هذه اللحظة كما لو كانت شفافة، وأردف قائلًا: "هل سيمكنها العودة إلى العمل؟ إن لم تتمكن من العودة، فهذا سيدمرها. سيدمرها؛ ذلك حقًّا، إنها تحب عملها كثيرًا" .

قال بوارو: "سيد ماكرودن، أنا آسف على ما حدث لها، أعلم أنك لا تهتم بأمر هذه الشابة، ولكن لا شك في أن هذا الخبر كان صادمًا بالنسبة إليك" .

توجـه ماكـرودن ببطء إلى أقـرب مقعد منـه، وجلس عليه، ودفـن وجهه بين راحتي يديه، وفي اللحظة نفسها، التفت بوارو نحوي وغمز لي.

فنظرت إليه متسائلًا، فغمز لي مرة أخرى. وغمرني إحساس بعدم التصديق؛ هل يحدث هذا حقًّا؟

نظرت نحوه وعلى وجهي تعبير ينم عن المزيد من التسـاؤل. هل يحاول بوارو أن يخبرنـي بـأن ما قاله لماكرودن كـذب؟ هل إيمرالد مايسـون بخير، ولم تُمس سـاقاها بسوء، ولا تزالان موصولتين بجسـدها، ولا أحد يحاول قطعهما؟ في كلتا الحالتين، ما الذي يحاول بوارو فعله؟

تساءلت عما إذا كان يجدر بي أن أفصح عما يعتمل في صدري. ماذا سيحدث لـو قلـت لرولاند ماكـرودن: "لقد غمـز لي بـوارو من فـوره مرتيـن، وأعتقد أنه يمازحك؟". لا شك في أنها ليست العبارة المناسبة لقولها في مثل هذه الظروف.

سأله بوارو: "صديقي، هل تفضل العودة إلى غرفتك. يمكنني أنا وكاتشبول أن نستمر دونك إن لم تكن تشعر بأنك قادر على الاستمرار".

"تستمران بماذا؟ معذرة، أنا .. لقد شتتني هذا الخبر المفزع".

قال بوارو: "أرى هذا".

قال ماكرودن: "معذرة يا كاتشبول".

سألته: "عن ماذا؟".

"لقد كنت شخصًـا سـيئ المزاج اليوم، وأنت تستحق الإطراء على تحمّلي، لقد تعاملت معك بصـورة سيئة، وأنت لم تفعل شيئًا لتستحق هذه المعاملة، أرجو أن تتقبل خالص اعتذاري".

قلت: "بالطبع، لقد نسيت الأمر".

قـال بوارو: "أيها السـيدان، لدينا الكثيـر لنتحدث عنه. سـيد ماكرودن، لقد سـألتني عن هذه الورقة، يمكنك أن تلقي نظرة عليها إن أردت، وكذلك يمكنك أن تفعل يا كاتشبول، إن كان صديقنا هذا تمنعه الصدمة عن أن يفعل".

قلت مباشرة: "إنه يبدو مصدومًا بالنسبة إلـيَّ، ألا يبدو لك أنه مصدوم أيضًا؟".

ابتسم بوارو. حينها تأكدت أن ساقي إيمرالد مايسون ليستا معرضتين لأن تُقطعا، وشعرت بالاستياء من نفسي، فلم يكن هناك ما يمنعني من إخبار ماكرودن بأنه قد خُدع، فلماذا لم أقل ذلك؟ بدلًا من هذا، التزمت الصمت، ووثقت بخطة بوارو الكبرى، كأنه يعلم كل شيء.

توجهت نحو المكتب، وأمسكت بالورقة، وقلبتها، وكانت مكتوبةً عليها عبارة واحدة: "الأنقليس جعل المركب يميل".

غمغمت: "يا إلهي..؟".

راح بوارو يضحك.

قلت: "أنت من أرسل إليَّ الآلة الكاتبة؟".

"آه! نعم، *لقد كنت أنا!* لقد جعلت جورج يوصلها، وأخبرته بما يجب عليه أن يقول، وقد أدى دوره ببراعة تامة، لقد أعطى السيدة أنزوورث رسالة تتحدث عن الأنقليس".

"كفاك ألعابًا يا بوارو، لماذا لم تخبرني مباشرة بأنك قد عثرت على الآلة الكاتبة؟".

"تقبل خالص اعتذاري، *يا عزيزي*. إنني لا يمكنني مقاومة الرغبة في ممارسة بعض الألاعيب من وقت إلى آخر".

"أين عثرت عليها؟".

"أين عثرت على الآلة الكاتبة التي كتبت عبارة الأنقليس؟ هنا في كومبنجهام هول، لا تقل شيئًا يا كاتشبول، من فضلك، لا أحد يعلم أن الآلة الكاتبة مفقودة".

"إذن .. تمت كتابة الخطابات الأربعة الموقعة باسمك بواسطة شخص ما هنا؟".

"نعم، لقد كُتبت الخطابات هنا".

"مَنْ كتبها؟".

"هذا هو السؤال! أشك في أحدهم -ولكنه مجرد شك، ولا يمكنني إثبات ما إذا كنت محقًّا أم لا، إن المعرفة على وجه اليقين..". ثم تنهد، وأردف: "بعد كل هذا العمل المضني، ما زالت الحقيقة تغيب عني".

ذكّرته قائلًا: "ألم تعد بأن تكشف كل شيء غدًا بحلول الساعة الثانية تمامًا؟".

"نعم، لقد بدأ الوقت ينفد منه"، ثم ابتسم كأن الفكرة قد أعجبته: "هل سيجعل من نفسه أحمق؟ لا، لا يمكنه فعل ذلك! يجب أن يفكر في سمعته! يجب أن يحافظ على اسمه اللامع - الاسم المميز لـ هيركيول بوارو. *إذن*، هناك أمر واحد لفعله! وهو أنه يجب أن يتم حل هذا اللغز قبل الساعة الثانية من بعد ظهر الغد".

ثم قال: "لقد اقتربت كثيرًا يا صديقيَّ .. كثيرًا جدًّا. أشعر بهذا هنا"، وأشار إلى رأسه، ثم أردف: "إن الخلايا الرمادية تعمل بجد شديد. وأوشك الوقت على النفاد .. إنه أمر منعش يا كاتشبول، ويمنحني الإلهام! لا تقلق، سيكون كل شيء على خير ما يرام".

قلت له: "أنا لست قلقًا، فأنا لست من وعد الناس بحل هذا اللغز. لقد كنت أذكرك *بأنك* من يجب أن يقلق".

"يا لظرفك يا كاتشبول".

سألته: "ماذا يوجد في هذه الحقيبة الورقية البنية؟".

قال بوارو: "آه، نعم، الحقيبة، سنتحدث عما يوجد في داخلها الآن، ولكن يجب أن أعترف بأمر ما أولًا. سيد ماكرودن، أرى أنك لا تزال غير قادر على التحدث؛ لذا استمع من فضلك إلى ما سأقول، إن القصة التي أخبرتك بها عن الآنسة مايسون، التي تقول إنها على وشك أن تخسر ساقيها، ليست حقيقية".

فغر ماكرودن فمه في عدم فهم، وقال: "ليس .. ليس *صحيحًا*؟".

"على الإطلاق، طبقًا لمعلوماتي، فإن هذه الشابة لم تتعرض لأي حادث مؤسف، وأن كلتا ساقيها لا تزالان على حالتهما الطبيعية".

"ولكنك.. قلت.. *لماذا*، يا بوارو؟".

وجدت من الغريب أن ماكرودن لم يكن غاضبًا، بل بدا كأنه قد دخل في حالة غريبة من الذهول، فقد برقت عيناه.

"سأشرح هذا، *يا صديقي*، بالإضافة إلى الكثير من الأمور الأخرى خلال اجتماعنا غدًا، ويؤسفني أنني قد سببت لك الكثير من الانزعاج بسبب قصتي، ولكن دفاعًا عن نفسي، لن يمكنني إلا قول إن هذا التصرف كان ضروريًّا. إنك لا تعرف ما فعلت، ولكنك ساعدتني كثيرًا".

أومأ ماكرودن برأسه بإشارة مبهمة.

توجه بوارو نحو المكتب، ثم سمعت صوت احتكاك، بينما كان يخرج شيئًا من الحقيبة الورقية البنية، ثم تراجع قليلًا إلى الخلف حتى نتمكن من رؤية هذا الشيء.

قلت: "أليس هذا..؟"، وانفجر ماكرودن ضاحكًا.

كان الشيء الذي أخرجه بوارو عبارة عن طبق خزفي يحمل رسومات باللونين الأبيض والأزرق، وعليه قطعة من كعكة نافذة دار العبادة.

قال بوارو: "نعم، بالطبع، إنها كعكة الآنسة "في"، قطعة واحدة منها، فهذا كل ما أحتاج إليه".

قال ماكرودن: "هل لتسد جوعك حتى يحين موعد العشاء؟"، ثم انفجر ضاحكًا مرةً أخرى، بدا جليًّا أنه قد حدث له تحول كبير، وأن بوارو كان المسئول عن هذا، ولكن، كان من الصعب التكهن بما إذا كان هذا التأثير مصادفةً أم متعمدًا.

قال بوارو: "إنها ليست من أجل المعدة، بل من أجل تحفيز الخلايا الرمادية الصغيرة، وإليكما يا صديقيَّ، في قطعة الكعك الصغيرة *هذه* يوجد حل *لغز مَن قتل بارناباس باندي!*".

***

"يا إلهي! يا له من منزل قبيح"، قالها يوستيس كامبل براون بينما كان يخرج من السيارة التي أقلته إلى ضيعة كومبنجهام هول بصحبة سيلفيا رول وميلدريد، حدق يوستيس إلى واجهة المنزل، وقال: "لا يمكن أن يكون ثمة أحد يعيش هنا؟ انظروا إلى المنزل! وهل يعتقدون أنهم قادرون على بيعه مقابل

ثــروة كبيرة، ويشــترون بثمنه عــددًا من الشــقق الراقية في لنــدن، أو باريس، أو نيويورك ...".

قالت ميلدريد: "لا أرى أنه سيئ إلى هذه الدرجة".

قالت ســيلفيا رول: "ولا أنا. أنت محقة يا ميلدريد، إنه مبنى جميل الشكل، إن يوستيس لا يعلم ما يتحدث عنه، إنه لا يفعل شيئًا سوى إظهار جهله".

نقلت ميلدريد بصــرها ما بين أمها وخطيبها، ثم دون أن تضــيف كلمة أخرى، توجهت على الفور نحو المنزل، ووقف كل من سيلفيا ويوستيس مكانهما يراقبانها، بينما كانت تدخل المنزل عبر بابه الأمامي.

قال يوســتيس: "هل يمكننــي أن أقترح عليك هدنة؟ علــى الأقل حتى نعود إلى لندن".

أشــاحت ســيلفيا بوجهها بعيدًا، وقالت: "يمكنني أن أقول إن المنزل جميل إن كان هذا ما أرى بالفعل".

"ألــم تنزعجــي من أنك قد جعلــتِ ميلدريد تبتعد عنا مجددًا؟ ألن تتوقفي عن كونك شخصًــا لا يُطاق؟"، ثم رفع يوســتيس يديه أمام وجهه معتذرًا، وقال: "كان هذا خطئي أنا، وســأحاول التوقف عن قول التعليقات العدوانية إن فعلت ذلك أنت أيضًــا. ما رأيك بهذا؟ علينا أن نتوقف عن التفكير في أنفســنا، ونبدأ التفكير في ميلدريد. قد يكون كلانا مســتمتعًا بالحرب الصغيرة الدائرة بيننا، ولكنني أعتقد أنها لم تعد قادرة على تحمل المزيد منها".

ذكّرته سيلفيا قائلة: "لقد قلت عني إنني قاتلة".

"لم يكن يجب أن أقول هذا، أنا أعتذر".

"هل تعتقد هذا حقًّا؟ أجبني بصراحة".

"قلت أنا آسف".

"ولكنك لا تشــعر بالأســف حقيقة! إنك لا تشــعر بالمعاناة التي يشــعر بها الآخرون، خاصة النساء على شاكلتي، أنت شرير".

قال يوســتيس: "والآن، بعدما أخرجت ما يجول في صــدرك، ما رأيك في عقد الهدنة؟".

"حسنًا، طوال فترة إقامتنا في كومبنجهام هول، سأبذل قصارى جهدي".

"شكرًا لك، سأحاول أنا أيضًا".

دخلا المنزل معًا، ووجدا ميلدريد تقف وحيدة عند مدخل الردهة، جفلت ميلدريد عندما رأتهما، ثم نظرت في صمت نحو السقف، وبدأت تغني واحدة من أغنياتها المفضلة، "الفتى الذي أحبه في المرسم في الأعلى"، ومدت ذراعيها بطولهما على جانبيها، وبدت كأنها تود الطيران مبتعدة.

فكر يوستيس: "يجب أن أبعدها عن تأثير سيلفيا وإلا سيُجن كل منا".

تهدج صوت ميلدريد في أثناء غنائها:



"والآن إن كنتُ دوقة تملك الكثير من المال،
لكنت سأعطيه الفتى الذي سيتزوج بي.
ولكنني لا أملك مالًا، لذا، سأعيش على الحب والود،
وسأكون سعيدة مثل الطيور على الأشجار.
إن الفتى الذي أحبه في المرسم في الأعلى..".

سأل جون ماكرودن: "هل تسمعان أحدًا يغني، أنا واثق بأن هناك مَنْ يغني".

سألت: "بوارو، كيف يمكن لقطعة من الكعك أن تكون حل لغز جريمة قتل غامضة؟".

"لأنها لا تزال قطعة واحدة: غير مقسمة، ولم تُمس بسوء. وليست مقسمة إلى أرباع. إنها حل ما ظللت أفكر فيه بعض الوقت، لغز الأرباع الثلاثة! إلا إذا..".

توجه بوارو نحو الكعكة، وأخرج سكينًا صغيرةً من جيبه، وقطع المربع الأصفر على قمة الجانب الأيسر منه. ثم دفع المربع نحو حافة الطبق، فاصلًا إياه عن بقية قطعة الكعك، وأردف قائلًا: "إلا إذا *كانت* هذه هي الحالة، ولكنني لا أعتقد أنها كذلك. لا، لا أعتقد هذا على الإطلاق". ثم أعاد المربع الأصفر مرة أخرى إلى مكانه السابق، بحيث يتلاقى مع بقية المربعات.

قلت: "هل تقول إنه لا يوجد مربع منفصل، ولكنه متصل ببقية الأرباع الثلاثة الأخرى؛ الأمر الذي يعني أن .. جميع الأشخاص الأربعة الذين وصلت إليهم خطابات الاتهام بالقتل يعرف بعضهم بعضًا، أليس كذلك؟".

"*لا يا صديقي*، على الإطلاق".

قال رولاند ماكرودن: "إن جون لا يعرف أيًّا من الآخرين، هذا ما أخبرني به وأنا أصدقه".

"ما الذي يعنيه بوارو إذن بأن قطعة الكعك الكاملة غير المقسمة هي حل اللغز؟".

نظر كل منا نحوه، فابتسم ابتسامة غامضة، ثم قال ماكرودن: "مهلًا! أعتقد أنني أعرف ما يعنيه..".

***

"ولكنني لا *أ*عرف أين قد تكون"، قالها هيوجو دوكيريل بصوت ملؤه الجزع، ثم أردف: "أعني أنها قد تكون في أي مكان! كل ما أعرفه هو أنها ليست هنا، ولقد تأخرنا كثيرًا عن موعدنا. يا إلهي!".

قالت له زوجته برفق: "هيوجو، اهدأ، لن يهتم أحد في كومبنجهام هول بوصولنا عند الظهيرة، أم في منتصف الليل، ما دمنا سنكون هناك في موعد الاجتماع في الغد، هذا هو ما يهم".

"شكرًا لك على محاولتك جعلي أشعر بالراحة يا عزيزتي جاين، أعلم أنك تشعرين بالضيق على تأخرنا عن الموعد أكثر مما تظهرين لي".

وضعت يدها في يده، وقالت: "أنا لا أشعر بالضيق يا هيوجو، أتمنى لو تمكنت من الفهم، هذا كل ما في الأمر: كيف يبدو الأمر أن أكون مكانك، طريقة تفكيرك، و.. التصرف مثلك. لا يمكنني تخيل الأمر، لا يمكنني تخيل أن أحتاج إلى الذهاب إلى مكتب البريد ٣ مرات؛ لأنك خلال المرتين الأوليين، نسيت أن تأخذ الخطاب معك، لم أكن لأفعل هذا قط؛ لذا من الصعب بالنسبة إليَّ أن أستوعب أن هذا ممكن".

"حسـنًا، لقد تم إرسـاله في نهاية المطاف، ولكن، ليس الخطاب هو المشكلة، بل تلك القبعة اللعينة! أين *تلك* القبعة اللعينة؟".

"لماذا لا ترتدي واحدة أخرى؟".

"أردت ارتداء هذه القبعة. أعني *تلك* القبعة، التي لم تعد موجودة بعد الآن!".

"لقد قلت إنك كنت تمسك بها منذ قليل".

"نعم، أنا واثق بهذا".

"حسنًا إذن، إلى أين ذهبت عندما غادرت الغرفة منذ لحظات؟".

"فقط إلى الردهة".

"إذن، ربما هي في الردهة؟".

قطب هيوجو جبينه مرة أخرى، ثم تهلل وجهه فرحًا، وقال: "ربما كانت هناك بالفعل! سأذهب للبحث عنها"، ثم عاد هيوجو بعد لحظات ممسكًا بقبعته في يده، وقال: "لقد نجحت طريقتك عزيزتي جاين، أنت رائعة. حسنًا! هل نذهب الآن؟".

تنهـدت جاين دوكيريل، وقالت: "يجدر بنا هذا، ولكن أليس هناك شـيء آخر علينا أن نأخذه معنا، عدا قبعتك وجميع الأشـياء الأخرى الموضوعة في الحقائب بجوار الباب؟".

"لا، لقد أحضـرت كل شـيء معي، كل شـيء في الحقائب منذ ليلة أمس. ماذا أيضًا علينا أن نفعل؟".

هزت رأسـها، وقالت مبتسمة: "ماذا عن تيموثي لافينجتون وفريدي رول؟ هل أذهب لإحضارهما؟".

"نعم من فضلك يا حبيبتي. ستؤدين هذه المهمة أفضل مني، أنا واثق بهذا".

"أنا أيضًا أعتقد هذا. هيوجو؟".

"ما الأمر يا عزيزتي؟".

"أمسك هذه القبعة في يدك طوال الوقت، هلا تفعل ذلك؟ لا أريد أن تفقدها مرة أخرى".

"بالطبع، لن أدعها تغيب عن ناظري".

*

قال رولاند ماكرودن: "إن كنت محقًا يا بوارو، فإن ما تعنيه هو أنه ليس جميع الأشخاص الأربعة الذين وصلت إليهم خطابات الاتهام بالقتل يعرف بعضهم بعضًا، ولا أنهم يعرفون جميعًا بارناباس باندي، بل إنهم جميعهم على معرفة بمن كتب هذه الخطابات".

قال بوارو: "نعم، أنت محق".

بدت الدهشة على وجه ماكرودن، وقال: "حقًا؟ لم أكن أتوقع هذا. لقد كنت أخمن ليس أكثر".

قال بوارو: "لقد كان تخمينًا جيدًا. على الأقل .. أنا واثق تقريبًا بأنك محق، ولكن لا يزال هناك سؤال واحد يجب أن أطرحه، ولكنه يحتاج إلى رحلة إلى لندن".

فصحت قائلًا: "لندن؟ لقد أحضرت الجميع إلى هنا. *أنت* مَنْ أحضرهم هنا!".

"وسيظلون هنا حتى أعود، لا تقلق عزيزي كاتشبول، سأعود في الوقت المناسب قبل الساعة الثانية ظهرًا، موعد اجتماع الغد".

"ولكن، إلى أين ستذهب؟".

سأله رولاند ماكرودن: "هل ستذهب إلى بيتر فاوت؟".

صفق بوارو بكفيه، وقال: "تخمين بارع آخر!".

قال ماكرودن: "ليس تمامًا. إن فاوت ربما كان الشخص الوحيد الذي يعرف شيئًا ما، ولكنه ليس هنا في كومبنجهام هول".

قال بوارو: "من المؤكد أنه يعرف إجابة السؤال الذي سأطرحه عليه صباح الغد، حتمًا لديه إجابة! بعد هذا، آمل أن تكون الصورة الكاملة قد اتضحت، وفي الوقت المناسب أيضًا".

*

وصل جون ماكرودن إلى كومبنجهام هول ليجد بابه الأمامي مفتوحًا على مصراعيه، فدخل عبره. وكانت الأرضية عند مدخل المنزل مبتلة وملطخة

بالطين، وكانت هناك بعض حقائب الملابس موضوعة عند قاعدة الدرج الذي كان حجمه أكبر ثلاثة أضعاف من أي درج قد رآه من قبل.

نادى قائلًا: "مرحبًا؟ مرحبًا! هل يوجد أحد هنا؟".

لم يظهر أحد، ولم يجب أحد عن سؤاله، ولم يكن هناك شيء قد يحبه جون أكثر من أن يكتشف أنه بمفرده في هذا المبنى الضخم البارد كالقبر -حيث سيمكنه أن يوقد نارًا في إحدى الغرف، ويقضي أمسية هادئة بمفرده- ولكنه كان يعلم أن هذه مجرد رغبة خيالية، ولا شك في أن مجموعة من الرجال والسيدات المتكلفين من المجتمع الراقي سيظهرون في أية لحظة، وكان يعلم أنه سيكرههم جميعًا".

سار في الردهة يبحث عن المطبخ لجلب بعض الطعام، وإعداد كوب من الشاي، فعندما وصل إلى منتصف الردهة؛ انفتح باب عن يمينه، وظهر شخص ما أخيرًا.

"أنا جون ماك .."، بدأ يعرِّف القادم بنفسه، وهو يلتفت نحوه، ولكنه لم يتمكن من نطق بقية اسمه، وتحشرج صوته.

لا، *هذا* غير معقول، وكان من المستحيل أن يتمكن من التفكير بوضوح، وقلبه يدق بهذا العنف.

هذا غير معقول، ولكنه حقيقي.

"مرحبًا يا جون".

"إنه.. *أنت*"، كان هذا هو كل ما أمكنه قوله.

الربع الرابع

الفصل ٣١

رسالة إلى السيد بورو

لقد تعلم فريدي رول الكثير منذ وصوله إلى كومبنجهام هول أمس، أكثر كثيرًا مما تعلمه في المدرسة، في واقع الأمر، فقد كان المعلمون يبذلون قصارى وسعهم لغرس الحقائق المفيدة في عقله، وكان بارعًا في تذكّر هذه الحقائق، لكن سماع الأمور التي حدثت في الماضي، أو ما فعله رجل مات منذ فترة طويلة، لم يكن مماثلًا لاكتشاف الأمور بنفسه، وعندما يحدث هذا - وليس داخل الفصول الدراسية المملة شبه الصامتة، بل في الحياة اليومية للمرء - فإن ما يتعلمه يترك داخله انطباعًا أكثر عمقًا كثيرًا، وكان فريدي واثقًا بأنه لن ينسى أبدًا الدرسين اللذين تعلمهما منذ وصوله إلى منزل تيموثي لافينجتون (كما سماه): كان الدرس الأول هو أن المرء لا يحتاج إلا إلى صديق واحد فقط.

ومن العجيب، أن تيموثي قرر فجأة أنه معجب بفريدي، وكانا يمرحان معًا ويعدوان في أنحاء الحديقة، ويلعبان لعبة الاختفاء والبحث، ويسرقان الطعام من المطبخ في غفلة من الطاهي، ويسخران من دوكيريل العجوز الأحمق، ومن الأشخاص الآخرين في المنزل: ذلك الخادم عتيق الطراز الذي يبدو كأنه قد يتفتت ويتحول إلى تراب لو أنه تحرك خطوة أخرى، وذلك الرجل البلجيكي الذي أطلق عليه كل من تيموثي وفريدي "البيضة ذات الشارب"، والرجل الذي يشبه

تمثالًا نصفيًّا موضوعًا في أحد المتاحف، بشعره الرمادي المجعد وجبهته التي تعتبر الأكبر في العالم.

قال تيموثي ذلك الصباح: "إن الناس غريبو الأطوار للغاية، أليس كذلك يا فريدي؟ وبخاصة عندما يجتمع الكثير منهم في مكان واحد، مثلما يحدث الآن - هذا عندما ألاحظ حدوث ذلك الأمر حقًّا- أو في المدرسة، لا أقدر كثيرًا البشر بوجه عام، *فأنت* على ما يرام يا فريدي، ومن الجلي أنني على ما يرام أيضًا، وأحب خالتي أنابيل وأيفي ووالدي ..."، ثم صمت تيموثي وقطب جبينه، كأن تذكره والده قد أزعجه.

"ماذا عن والدتك وجميع أصدقائك في تورفيل؟".

تنهد تيموثي، وقال: "أحاول أن أرى شيئًا جيدًا في أمي، أما بالنسبة إلى أصدقائي في تورفيل، فأنا أكرههم جميعًا، إنهم مجموعة من الأغبياء الذين لا يُطاقون".

"ولكن، لماذا..؟".

"لماذا أواصل صداقتي بهم؟ لماذا أقضي كامل وقتي معهم؟ من أجل النجاة: هذا هو السبب الوحيد، إن المدرسة مكان موحش يا فريدي، ألا توافقني ذلك؟".

تلعثم فريدي قليلًا، ثم نظر إلى الأسفل بين قدميه، وقال: "أنا .. لا أعرف، فمدرستي السابقة كانت أكثر قسوة، لقد كُسرت عظمتي الترقوة ومعصمي هناك".

"إنك لم تقضِ ما يكفي من الوقت لتلاحظ مدى قسوة تورفيل، فبها لا تُكسر العظام، بل المعنويات، فخلال أيامي الأولى فيها، حددت مجموعة الصبية - المجموعة التي أصبحت قائدها الآن - التي من المرجح أن تضمن لي نجاتي، ولقد كان خياري صائبًا، على ما أعتقد. في حقيقة الأمر، أعلم أنني لم أكن قويًّا بما يكفي لأواجه كل هذا بمفردي، لهذا السبب أكن لك إعجابًا يا فريدي".

كانت دهشة فريدي عارمة لدرجة أنها منعته من التحدث، فلم يرد عليه بأي شيء.

"إنك لا تشعر بالحاجة إلى أن تقدم التنازلات التي قدمتها؛ لكي تصبح ذا شعبية، إنك تقضي أغلب وقتك مع زوجة دوكيريل الأحمق، وهي امرأة صالحة بوجه عام، وقد شملتك برعايتها، أليس كذلك؟".

"نعم، إنها عطوف معي".

وجد فريدي من الصعب عليه أن يركز، فقد كان يشعر بالكثير من الدهشة مما كان يقوله تيموثي، وتمكن بمشقة من إجابة السؤال، فقد كان على استعداد لتقديم الكثير من التنازلات، لكي يصبح ذا شعبية مثل تيموثي، لكن الفرصة لفعل ذلك لم تسنح له مطلقًا.

ثم قال فريدي: "يمكنني أن أكون صديقك في المدرسة، أعني إن لم تكن تحب أصدقاءك الآخرين، فلن يكون علينا أن نتحدث معًا، ولكن يمكننا أن نعلم سرًّا أننا صديقان، فقط إن .. "، كان فريدي قد خانته شجاعته في تلك اللحظة، وراح يتلعثم قائلًا: "إنها مجرد فكرة، وسأتفهم الأمر إن لم ترغب في تنفيذها".

قال تيموثي بتحدٍّ: "أو يمكننا أن نكون صديقين بالطريقة الطبيعية، على الملأ، ومن لا يعجبه هذا فليذهب إلى الجحيم".

"لا، يجب ألا تفعل هذا، يجب ألا يعرف الجميع أنك صديقي، فسرعان ما ستفقد شعبيتك وتصبح مثلي".

قال تيموثي مفكرًا: "لا أعتقد أن هذا صحيح، لقد أبليت بلاءً حسنًا، وجعلت من نفسي شخصًا ذا شعبية كبيرة عندما التحقت بالمدرسة، وأنا على يقين بأنني يمكنني أن آخذ شعبيتي معي أينما ذهبت، إلى أية مجموعة أنتمي، أو لا أنتمي إليها؛ سنرى. بطبيعة الحال، سنحتاج إلى إجراء بعض التعديلات الجذرية على.. حسنًا، *عليك*، يا فريدي. على سلوكك وعلى طريقة تصرفك في المدرسة".

وافق فريدي على الفور، وقال: "بالطبع، أيًّا كان ما تراه مناسبًا".

"إن ملابسك تبدو ... أعني، أنك ترتدي الزي الموحد للمدرسة، ولكن عليك أن تكون أكثر هندمةً يا فريدي".

"فهمت، نعم بالطبع".

"ولكن، ليس علينا أن نقلق بشأن التفاصيل الآن، الغريب في الأمر أنني كثيرًا ما كنت أحسدك، تلك الشائعات عن والدتك .. أتمنى ألا تمانع في ذكري إياها؟".

قال فريدي: "لا أمانع على الإطلاق"، على الرغم من أنه كان يمانع كثيرًا.

"إن الجميع يعتقدون أن والدتك تقتل الأطفال الرضع؛ إنها قاتلة وحشية، الجميع يقولون ذلك، في حين يعتقد الجميع أن أمي مثال الاحترام، وهي كذلك بالفعل، ولكن لا يقول عنها أحد إنها مرعبة، ما يعني أنه لا يمكنني أن أنضم إليهم، وأقول: "نعم، أعتقد أنكم محقون. أعتقد أنها جعلت والدي يفر بسبب تحجّر قلبها". كم أود أن أقول هذا جهارًا على الملأ، سأحب هذا كثيرًا، ولكن لن تمنحني عيوب *أمي* أي تعاطف لدى الآخرين، وإن حاولت توضيح الأمر، فلن يتفهمني أحد، أو يشعر بالأسف من أجلي".

قال فريدي: "إن الشائعات عن والدتي غير صحيحة على الإطلاق"، قالها في سرعة وهدوء، فلم يكن ليسامح نفسه لو لم يقل هذه الكلمات.

قال تيموثي: "مثل عدم وجود شائعات عن أمي تمامًا".

"كيف يمكن أن يكون عدم وجود شائعات غير صحيح؟".

ابتسم تيموثي، وقال: "إن عقلك يهتم بالمعنى الحرفي فقط يا فريدي. هيا، دعنا نرَ إن أمكننا أن نعثر على بعض الطعام اللذيذ في المطبخ، فإنني أتضور جوعًا".

وهكذا - وعلى الرغم من خوفه من حالة السعادة العارمة التي عثر عليها حديثًا، تلك التي لن تستمر إلا طوال فترة وجوده في ضيعة كومبنجهام هول مع تيموثي، مع عدم وجود أية صبية آخرين في مثل عمرهما - تغيرت حياة فريدي تغيرًا جذريًّا خلال دقائق معدودة، لقد أصبح لديه صديق! لم تكن السيدة دوكيريل - على الرغم من عطفها عليه - تعتبر صديقته، فستظل امرأة بالغة، تشعر بالشفقة عليه وترعاه، ولكن، لم يكن هذا مهمًّا، لأن تيموثي أصبح صديق فريدي الآن.

كان هــذا مــا تعلمه، وهو أنه لا أحد قد يحتاج إلى أكثر من صــديق واحد، وهو لديه صــديق واحد، وتبين أن هذا هو عدد الأصــدقاء المثالي، فلم يكن يشعر بأنه يحتاج إلى أكثر من صديق واحد.

أمــا الدرس الثانــي الذي تعلمه فريدي في كومبنجهام هــول، فهو أن تعريفات الحجم، على غرار "كبير" و"صغير"، نسبية، فحتى وصوله للمرة الأولى إلى هذا المنــزل، كان فريــدي يعتقــد أن منزله في لندن كبير، ولكنــه أدرك أنه لن يتمكن مــن اعتباره كبيرًا بعد الآن، ليس الآن بعدمــا رأى منزل تيموثي، الذي كان عبارة عن قصــر يشــبه قصــور العائلة المالكة، أو العائلات الأرســتقراطية، الذي كان أكثر اتســاعًا من مدرسة تورفيل أيضًــا، كان المنزل كبيرًا للغاية، لدرجة تشعرك وأنــت فيــه بأنك في الهواء الطلق، ولكــن داخل جدران المنــزل، ويمكن للمرء أن يمــر بالكثيــر من الأبواب، مثلما يحدث عندما يســير في الشــارع مــارًّا بالمنازل المتراصــة، ثم يجد في النهاية المزيد من المنعطفات ليلتف من حولها، وسلالم جديدة ليصعدها.

ظل فريدي يعدو بعض الوقت، بحثًا عن تيموثي في أثناء لعبهما، وقد بحث في العشرات من غرف النوم الخالية، وبحث في كل حدب وصوب، وكان على وشك أن يبدأ الآن التجول في المنزل مناديًا: "تيموثي! تيموثي!".

انطلــق فريدي متجــاوزًا أحد الأركان، وكاد يصــطدم بالرجــل عتيق الطراز، الذي قال: "كن أكثر حذرًا أيها الصبي"، ماذا كان اسم هذا الرجل عتيق الطراز؟ كينجزوود؟ كينجزميد؟ ثم أردف: "لقد كدت توقعني على الأرض".

قال فريدي: "آسف يا سيدي". إنه كينجزبيري: نعم، هذا اسمه!

"يجب عليك أن تشعر بالأسف، بالمناسبة، هل رأيت السيد بورو؟".

"من؟".

"الرجل الفرنسي".

أدرك فريدي أن الرجل عتيق الطراز يتحدث عن البيضة ذات الشارب، فقال: "إنه بلجيكي، أليس كذلك؟ ليس فرنسيًّا".

"لا، إنه فرنسي، فقد سمعته يتفوه بكلمات تبدو فرنسية منذ وصوله إلى هنا".

"نعم، ولكن -".

"هل رأيته أيها الصبي؟".

في تلك اللحظة، جاء تيموثي لافينجتون يعدو من خلف الرجل عتيق الطراز، وهو يصيح: "لقد عثرت عليك يا فريدي!".

ترنح الرجل المسن إلى الخلف، وأسند ظهره إلى الجدار، ووضع يده على صدره، وقال: "ستتسببان أيها الصبيان في موتي مبكرًا". كاد فريدي يضحك من سماعه كلمة "مبكرًا"، فقد كان ذلك الرجل يبلغ من العمر ثمانين عامًا على الأقل.

"لماذا تعدوان في أنحاء المنزل مثل الحيوانات البرية، ويقفز أحدكم على الآخر كالقرود على الأشجار؟".

قال تيموثي في مرح: "آسف يا كينجزبيري، لن يتكرر هذا مجددًا، أعدك بهذا".

"ولكنه سيتكرر مجددًا يا سيد تيموثي، أنا واثق بهذا".

"ربما كنت محقًّا أيها الرجل العجوز".

قال فريدي: "كنت أعتقد أنه من المفترض بي أن أعثر أنا عليك؟".

قال كينجزبيري: "وأنا بحاجة إلى العثور على السيد بورو، الفرنسي، لقد بحثت عنه في كل مكان".

قال تيموثي: "إنه بلجيكي! واسمه يُنطق *بوارو* وهو موجود في غرفة المعيشة، حيث يجب علينا جميعًا أن نكون، إن الساعة الآن الثانية إلا عشر دقائق، ونسيت تمامًا أنه من المفترض بنا أن نكون هناك بحلول تمام الثانية، لقد أرسلني بوارو لأخبر الجميع بأن يتجمعوا؛ لذا حضرت إلى هنا، واعتبرا أنني استدعيتكما إلى غرفة المعيشة!".

كان فريدي، مثل تيموثي، قد نسي كل شيء عن الاجتماع في الساعة الثانية، وبدا أن الرجل عتيق الطراز قد نسي هو أيضًا ذلك، ثم أومأ، وقال: "صحيح أنني

لـم أبحث عن السـيد بورو في غرفة المعيشـة منـذ أن دقت السـاعة الثانية، لقد بحثت عنه هناك قبل سـاعة مضـت، ولكنني لم أبحث عنه فيها منذ ذلك الحين، في واقع الأمر، كنت قد يئست من العثور عليه؛ لذا كتبت كل ما أريد في رسالة، لو كنت فقط قد تذكرت.. نعم، لقد *قال بالفعل* إن الاجتماع سـيعقد في تمام الثانية! هل أحمل الرسالة وأعطيها إياه؟".

قـال له تيموثي ناصـحًا: "كنت سـأتجه مباشـرة نحو غرفة المعيشـة لو كنت مكانك، إنه ينتظر وصولنا جميعًا، ألست متحمسًا لسماع ما سيقول؟ أنا متحمس! إننا على وشك أن نكتشف مَنْ قتل جدي".

سأل فريدي: "هل تعتقد *أنه* قُتل؟ تقول أمي إنه لا توجد شكوك في وجود شبهة جنائية في وفاته، وأن هناك مَنْ يحاول إثارة المشكلات".

قـال تيموثي: "حسـنًـا، دعنا ألا نأمل هذا. أنا أفتقـده بالطبع، ولكن .. إن كان يجب على الناس أن تموت، ويبدو أنهم يموتون بالفعل، فسيكون من الأفضل كثيرًا أن يموتوا مقتولين، فالأمر سيكون أكثر إثارة".

صاح كينجزبيري: "صه، سيد تيموثي. إن هذا أمر شرير لقوله".

قـال تيموثـي: "لا، إنـه ليس كذلك، صـراحة يا فريـدي، كلما قلت أي شـيء حقيقي، يوبخني أحدهم بسـببه، أشـعر أحيانًا بأن العالم بأسـره يتآمر عليَّ لكي أتحول إلى كاذب".

الفصل ٣٢

أين كينجزبيري؟

أخيرًا، أصبحت جميع المقاعد في غرفة معيشة منزل كومبنجهام هول مشغولة عدا مقعدين فحسب، وحيث إن عدد المقاعد الموضوعة (بواسطتي، ما سبّب لي ألمًا في الظهر)، كان يتوافق تمامًا مع عدد الأشخاص المفترض حضورهم اجتماع بوارو، ولم يكن هناك شك في أن خلو أحد هذين المقعدين يعد مشكلة كبيرة، فقد كان المقعد الثاني يخص بوارو نفسه؛ لأنه، وبسبب عدم قدرته على السيطرة على نفاد صبره المتزايد، كان يذرع المكان جيئةً وذهابًا، ناظرًا كل ثانية نحو باب الغرفة، ثم إلى المقعد الخالي المواجه لمقعده، ثم إلى الساعة الكبيرة المجاورة للنافذة المطلة على الحدائق، ثم صاح بوارو فجأةً في غضب شديد ما جعل جميع الحضور يفزعون: "إن الساعة توشك أن تكون الثالثة الآن. لماذا لا يمكن للناس في هذا المنزل أن يدركوا مدى أهمية الانضباط في المواعيد؟ لقد ذهبت إلى لندن وعدت قبل موعدي".

قالت لينور لافينجتون: "سيد بوارو، لسنا بحاجة إلى انتظار كينجزبيري، فمن المستحيل أن يكون قد قتل أي شخص، أو أرسل بتلك الخطابات البغيضة، ألا يمكن أن نستمر دونه؟ هلا أخبرتنا الآن جميعًا بسبب تجمعنا هنا؟".

كان المجتمعـون فـي الغرفة عداي وبوارو: رولاند ماكـرودن، وجون ماكرودن، وسـيلفيا رول، وميلدريد رول، ويوسـتيس كامبل براون، وليـنـور لافينجتون، وأيفي لافينجتـون، وأنابيـل تريـدواي، وهيوجـو دوكيريـل، وجايـن دوكيريـل، وتيموثي لافينجتون، وفريدي رول، وكان الكلب هوبسـكوتش حاضرًا أيضًا، حيث كان راقدًا على السجادة متوسدًا قدمي أنابيل.

"لا"، قالهـا بـوارو في إصـرار، ثم أردف: "سـننتظر. لقد دعوتكـم إلى هذا الاجتماع، ولن نبدأ حتى أقول أنا هذا! من الضروري أن يكون الجميع حاضرين".

قالـت أيفي لافينجتون: "معذرة يا سـيد بـوارو، لقد كان من غيـر اللائق منا جميعًـا أن نجعلك تنتظـر، أنا لا أتأخر عادة عن أي موعـد، ولا كينجزبيري، هذا ليس من طباعه".

"لقد كنت يا آنسة أول من يصل.. بعد عشرين دقيقة من الثانية. هل يمكنني أن أسألك عما عطلك؟".

قالـت أيفي: "أنـا.. كنت أفكـر، ولا بد أنني قـد غرقت في أفـكاري أكثر مما اعتقدت".

"فهمت، وماذا عن بقيتكم؟"، قالها بوارو وهو ينقل بصـره ببطء من شخص إلى آخر من الحاضرين، ثم استطرد: "ما الذي جعل كلًّا منكم في مكان آخر عدا هنا في تمام الثانية؟".

قال فريدي: "لقد كنت وتيموثي نلعب الغميضة، ولم ننتبه إلى الوقت".

قالـت جاين دوكيريل: "لقد كنت أسـاعد هيوجو علـى العثور على حذائه الذي تذكر أخيرًا أنه قد تركه في المنزل".

"أكاد أقسـم أنني قد وضـعته في الحقيبة يا عزيزتي، ليتني أعرف كيف يمكن أن أرتكب خطأً سخيفًا مثل هذا".

قالت سـيلفيا رول: "لقـد كنت أعتني بميلدريد، فقد حـدث لها تحول عجيب، حيث ظلت تغني دون توقف فترة طويلة".

قال بوارو: "هل كانت تغني يا سيدتي؟".

غمغمت ميلدريد: "أمي أرجوك".

قالت سيلفيا رول: "نعم، كانت تغني، وعندما تمكنت أنا ويوستيس أخيرًا من جعلها تتوقف، كانت في حالة غير طبيعية على الإطلاق، وكانت بحاجة إلى الراحة".

قال يوستيس مخاطبًا بوارو: "لقد كنت مع ميلدريد، أنا متشوق إلى سماع ما ستخبرنا به يا سيد بوارو، وكنت سأحضر إلى هنا في تمام الثانية، ولكن بدا أن ميلدريد غير قادرة على التحرك أو التحدث بعض الوقت، ويؤرقني أنها كانت كل ما كان يشغل تفكيري في هذا الوقت، لقد أخرج هذا اجتماعنا من تفكيري تمامًا، وربما كنت سأنسى كل شيء عنه إن لم يحضر تيموثي ويذكرني به".

ابتسمت أيفي لأخيها، وقالت: "أحسنت؛ لأنك تذكرت يا تيمي".

قال تيموثي: "لم أتذكر، كنت أبحث عن فريدي، وفكرت في أن أبحث عنه في غرفة المعيشة، مع أنني كنت قد بحثت عنه فيها بالفعل، ولكنني لم أعثر على فريدي، بل -".

قال بوارو: "عثر عليَّ أنا، كانت الساعة قد تخطت الثانية بالفعل، *ولم يكن أي منكم قد* حضر، فقط أنا وكاتشبول، فأرسلت تيموثي، ليس بحثًا عن فريدي فقط، بل بحثًا عنكم جميعًا".

قال رولاند ماكرودن: "لقد كنت أبحث عن جون، كنت قد غادرت غرفتي بقصد التوجه إلى هنا مباشرة، ولكن بينما كنت أسير في الرواق، قررت أنني أود التحدث إلى ابني على انفراد أولًا، قبل أن ننضم إلى المجموعة".

سأل جون: "لماذا؟".

خفض رولاند ماكرودن عينيه نحو الأرض، وقال: "لا أعرف".

"هل كان هناك شيء محدد تود قوله لي؟".

"لا".

أصر جون قائلًا: "لا بد أنه كان هناك أمر ما".

قال بوارو: "ربما كنت تأمل أن تحضر إلى هذا الاجتماع برفقة السيد جون، أليس كذلك يا سيد ماكرودن؟".

"نعم. هذا صحيح".

سأله جون مرة أخرى: "لماذا؟".

"لأنك ابني!"، قالها رولاند ماكرودن محتدًّا، وبمجرد أن تلاشت الصدمة التالية لثورته، قال جون مخاطبًا بوارو: "إن كنت بصدد أن تسألني عن سبب تأخري، فسأقول لك إنني قررت في اللحظة الأخيرة أنه ربما لا يجدر بي أن أنزل عند رغبتك - وربما يجدر بي العودة إلى دياري دون أن أستمع إلى تفسيرك".

رفع بوارو حاجبيه، وقال: "هل قطعت كل هذه المسافة من لندن إلى هنا يا سيدي فقط لتعاود أدراجك؟".

"لم أعاود أدراجي كما ترى، ولكنني فكرت في فعل هذا، ثم عدلت عن قراري".

"ماذا عنكِ يا آنسة تريدواي؟ وأنت يا سيدة لافينجتون؟ لماذا تأخرتما؟".

قالت أنابيل تريدواي: "كنت في الخارج مع هوبي، وكنا نلعب بالكرة، وكان يمرح بسعادة غامرة، ولم أرغب في تخييب أمله بالدخول إلى المنزل. أنا.. أعتقد عندما قلت الساعة الثانية إنني افترضت أنك كنت تعني "أو نحوها"، لقد تأخرت قليلًا عن الموعد، أليس كذلك؟".

"لقد تأخرت ٢٥ دقيقة يا آنسة".

قالت لينور لافينجتون: "وأنا خرجت من المنزل بحثًا عن أنابيل، إذ كنت أعلم أنها قد تنسى كل شيء عن الموعد؛ إنها متساهلة كثيرًا مع هوبسكوتش، وكنت أعلم أنه قد يرغب في اللعب *ساعات*، كما يفعل دائمًا".

قال بوارو: "ولكي تمنعي شقيقتك من الحضور متأخرة، تأخرت أنت أيضًا".

فقالت لينور موضحة: "في واقع الأمر، لقد نظرت داخل الغرفة عبر هذه النافذة عندما سمعت الساعة تدق الثانية.. ورأيت جميع المقاعد خالية، وكنتَ أنت والمحقق كاتشبول وحدكما هنا، وفكرت، "حسنًا، يبدو أن الاجتماع لن يبدأ في موعده"، وهذا ما حدث بالفعل، ولم يفتني أي شيء، والآن، هل تتكرم بأن تخبرنا بما جمعتنا من أجله عصر اليوم، يا سيد بوارو؟ ربما كان كينجزبيري غارقًا في النوم في فراشه، إنه غالبًا ما يأخذ قيلولة في منتصف النهار، إنه مسن، ويتعب بسرعة، وسأحرص أنا وأنابيل على إخباره بجميع المستجدات".

قال تيموثي: "إنه ليس في كوخه، كما أنه ليس نائمًا. لقد تحدثت أنا وفريدي إليه في الطابق العلوي، أليس كذلك يا فريدي؟ وأخبرته بأن بوارو يبحث عنه، وقال إنه نسي كل شيء عن هذا الاجتماع، ولكن عندما ذكرته بالأمر، توجه من فوره نحو غرفة المعيشة".

أكد فريدي رول هذا قائلًا: "لقد فعل، وكان يبدو مستاءً؛ لأنه نسي الموعد وتأخر عنه، وانطلق مسرعًا نحو الدرج، أنا واثق بأنه كان في طريقه إلى هنا، وقال أيضًا -".

قال تيموثي فجأة: "توقف يا فريدي، اصمت"، ثم نهض واقفًا، وقال: "سيد بوارو، هل يمكنني أن أتحدث إليك على انفراد بضع لحظات؟".

"*بالطبع*"، قال بوارو.

ثم غادرا معًا غرفة المعيشة، وأغلقا الباب من خلفهما.

بعدما خرج بوارو من الغرفة، التفت الجميع نحوي كأنهم يتوقعون مني أن أتولى مهمة إدارة الاجتماع، ولم تكن لديَّ أدنى فكرة عما يجب عليَّ قوله، لذا قلت تعليقًا مرحًا عن النار، وكم هي مهمة في يوم بارد مثل ذلك اليوم، حيث قلت: "أتمنى وجود ما يكفي من الوقود في كومبنجهام لتظل النار مستعرة".

لم يرد عليَّ أحد.

لحسن الحظ، بعد بضع لحظات، عاد بوارو وتيموثي لافينجتون، وكانت هناك نظرة حادة تطل من عيني بوارو، وقال: "كاتشبول، بأسرع ما يمكنك من فضلك، *افحص كل غرفة من غرف هذا المنزل*، أما الباقون فسيظلون هنا".

قلت بعدما نهضت واقفًا: "عما سأبحث بالتحديد؟".

"في غرفة نومي .. هل تعلم أين تقع؟".

أومأت برأسي بالإيجاب.

"ستبحث في غرفة نومي عن رسالة تركها لي كينجزبيري هناك".

سمعت شهقة حينها: شهقة متقطعة تنم عن صدمة، بدت كأنها صدرت عن امرأة -نعم، فكرت في أنها لا بد أن تكون من امرأة- ولكن، لم تكن هناك طريقة

لمعرفـة من تكون، ربما لو كنـت أنظر في أنحاء الغرفة في هـذه اللحظة .. ولكن تركيزي كان منصبًّا على بوارو وحده".

ثـم قال بـوارو: "في غرفتـي، وفـي كل غرفة من هـذا المنزل، ستبحث عن كينجزبيري نفسه، أسرع يا صديقي، فلا يوجد وقت لنضيعه!".

وقفـت أنابيل تريدواي، وقالت لبوارو: "إنك تخيفني، إنك تتحدث كأنك تعتقد أن كينجزبيري في خطر".

"بالفعل يا آنسة، إنه في خطر محدق، أسرع من فضلك يا كاتشبول!".

قالت أنابيل: "إذن يجدر بنا جميعًا أن نبحث عنه".

ضـرب بـوارو الأرض بقدمه، وقـال: "لا! أنـا أمنعكم من فعل هذا، سـيذهب كاتشبول وحده، *ولن يغادر أحد آخر الغرفة*".

لا أعلـم كم عـدد الغرف التي يحتـوي عليها منـزل كومبنجهام هـول، كما أن ما أتذكـره عن اندفاعـي المذعور في أنحاء المنزل في عصـر ذلـك اليوم لا يُعتمد عليه، ولكنني لم أكن سـأندهش إن أخبرني أحدهم بأن في المنزل نحو ٣٠ غرفة نـوم، أو ٤٠ غرفة تقريبًا، كنت أهرع من غرفة إلـى أخرى، ومن طابق إلى طابق، شـاعرًا بما لو أنني أعدو في مدينة مخيفة مهجورة، وليس في منزل عائلة. أتذكر بوجـه خاص طابقًا كاملًا يضـم غرف نـوم لم تكن مسـتخدمة ومهجورة تقريبًا، حيث كانت توجد على أسرة بعضها مراتب لا تغطيها ملاءات، وبعضها الآخر دون مراتب.

اكتشـفت أنني لم أكـن أعرف، في الحقيقة، أين توجد غرفـة نوم بوارو، وبدا الوقت كأنه ساعات قد مرت قبل أن أصل إليها، ولكنني أدركت أنها غرفته بمجرد أن دخلتها، حيث وجدت الشـبكة التي يسـتخدمها لحماية شـاربه فـي أثناء نومه موضوعة بشكل منمق ودقيق إلى جانب كتاب وعلبة أقلام.

وكان هنـاك ظـرف خطاب ملقـى على الأرض، بين الفراش والباب. وبخط غريـب كتب شـخص ما، ربمـا كان كينجزبيـري - "إلى السـيد هيـركل بورو". فوضـعت الظرف في جيب سروالي، وعدت أواصـل البحث، كنت أصيح وأنا أعدو

من رواق إلى آخر: "كينجزبيري!"، وكنت أفتح عددًا لا نهائيًّا من الأبواب في أثناء عدوي، وأقول: "هل أنت هنا؟ كينجزبيري!"، ولكنني لم أتلقَّ أي رد، كل ما أمكنني سماعه كان كلماتي التي كان يتردد صداها في الأرجاء.

وأخيرًا، وبعد فترة شعرت بأنها ساعات، فتحت أحد الأبواب، ووجدت أنني أعرف ما هذه الغرفة، كان هذا هو الحمام الذي غرق فيه بارناباس باندي، وكان بوارو قد أصر على أن يريه لي أمس.

شعرت بالراحة عندما وجدت حوض الاستحمام خاليًا: دون مياه، ودون جثة. كنت مشغولًا بطمأنة نفسي بأنه كان من غير المنطقي أن أتخيل أنني قد أعثر على كينجزبيري غارقًا في حوض الاستحمام نفسه الذي مات فيه باندي، عندما لاحظت وجود شيء ما على الأرض، وكان قريبًا من قدميَّ بجوار الباب، كان الشيء عبارة عن منشفة: بيضاء ذات بقع وخطوط حمراء.

وأدركت على الفور أن هذه البقع الحمراء دماء.

انحنيت لفحص المنشفة عن كثب، ورأيت بين قوائم حوض الاستحمام خيالًا مبهمًا، يرقد على الأرض خلفه. كان حوض الاستحمام نفسه قد أعاق رؤيتي هذا الشيء، وأدركت على الفور ماذا قد يكون، ولكنني تمنيت لو يتبين خطأ اعتقادي بينما كنت أسير نحوه لألقي نظرة عليه من قرب.

كان هذا الشيء هو جسد كينجزبيري الراقد على جانبه، وكانت عيناه مفتوحتين، ومن حول رأسه، ومن تحته، كانت هناك بركة حمراء مكونة دائرة كاملة تقريبًا. وبدت لي في هذه اللحظة، من وجهة نظري كأنها هالة أو تاج، ولم يكن أي منهما يناسب كينجزبيري المسكين، فقد كانت نظرة واحدة تكفي أن أعرف أنه قد مات.

الفصل ٣٣

العلامات على المنشفة



في اليـوم التالي، اجتمعنا مجددًا في غرفة المعيشـة في منزل كومبنجهام هول، حيـث كنـا قد اتفقنا علـى أن يُعقد الاجتماع مـرة أخرى في تمام السـاعة الثانية ظهرًا، وعلى النقيض من اليوم السـابق، وصل الجميع في الموعد تمامًا، وأسرَّ لي بوارو فيما بعد بأنه شعر بالإهانة بسبب انضباطهم في موعدهم هذه المرة، فمن وجهة نظره، كان هذا دليلًا على قدرتهم على الحضور في الموعد المحدد عندما يريدون ذلك.

لم يُدْعَ إلى هذا الاجتماع بواسـطة بوارو وحده، بل أيضًـا بواسـطة ضابط من الشـرطة المحلية يُدعى المحقق هيربرت ثرابويـل الذي قال لنا: "إننا نتعامل مع وفاة السـيد كينجزبيري باعتبارها جريمة قتل لسـبب بسـيط للغاية، وهو أنه قد كانت هناك منشفة على أرض الحمام حيث مات، وكان المحقق كاتشبول هو الذي عثر عليها، ولم تكن إلى جوار جثة السـيد كينجزبيري، أليس كذلك أيها المحقق كاتشبول؟".

قلت: "نعم، كانت المنشـفة إلى جوار البـاب، على الجانب الآخر من الحمام، وكنت على وشك أن أخطو عليها في أثناء سيري".

شكرني ثرابويل، وواصل حديثه قائلًا: "عندما فحص الطبيب الشرعي لدينا هذه المنشفة، عثرنا على نوعين مختلفين من الدماء".

قال بوارو: "أنت لا تعني *فصيلتين* مختلفتين من الدم، *يا صديقي*، إن كل الدماء، إن كانت تعود إلى كينجزبيري، فلا بد أنها من النوع نفسه، أنت تتحدث عن العلامات الموجودة على المنشفة، *أليس كذلك؟*".

قال ثرابويل: "نعم، بالفعل، هذا ما أعنيه!"، وبدا مسرورًا لأنه وجد من يصحح له ما قال، ثم أردف: "اكتشف الطبيب الشرعي أن وفاة السيد كينجزبيري جاءت نتيجة جرح خطير في الرأس، إنه إما دُفع، وإما سقط على رأسه فصدم بقوة في الحافة الحادة للخزانة الوحيدة في الحمام، ودون المنشفة التي عثر عليها المحقق كاتشبول كدليل، لكان من المستحيل معرفة ما إذا كان قد دُفع أم سقط، ولكن بفضل وجود المنشفة، يمكنني أن أقول يقينًا إنه قد دُفع، حتى إن لم يكن قد دُفع، فمن المؤكد أنه تُرك ينزف حتى الموت من قبل شخص أراد له أن يموت، وهذا في قاموسي يُسمَّى قتلا". نظر ثرابويل تجاه بوارو الذي أومأ برأسه دلالة على الموافقة.

قالت لينور لافينجتون: "لا أفهم، كيف يمكن للمنشفة أن تثبت أي شيء؟".

قال ثرابويل: "بفضل نوعي العلامات التي تركتها دماء السيد كينجزبيري، فعلى أحد جانبي المنشفة، كانت هناك بقعة كبيرة، وسميكة، وداكنة من الدماء، التي من المؤكد أن السيد كينجزبيري قد وضعها على جرحه، محاولًا إيقاف تدفق الدماء منه لينقذ حياته، والآن، إن كان هذا ما كان يحاول فعله، فكيف انتهى المطاف بالمنشفة على الجانب الآخر من الغرفة، بعيدًا عن حوض الاستحمام؟ لا أعتقد أن السيد كينجزبيري كان يملك القوة الكافية ليلقي بها هذه المسافة، إن الغرفة كبيرة، ولقد كان في حالة ضعف كبيرة، ولم يكن رجلًا قويًا حتى قبل أن يُصاب بجرح في رأسه، ثم لنتحدث عن علامات الدماء الأخرى، فإلى جانب العلامة السميكة الداكنة من الدماء كانت هناك أيضًا خمسة آثار لدماء على جزء مختلف تمامًا من المنشفة، كانت أفتح لونًا من البقعة الكبيرة، وواحدة من هذه العلامات الخمس كانت أقصر، وفي مكان منخفض عن بقية العلامات".

قالت أيفي لافينجتون: "آثار دماء؟". بدا على وجهها الشحوب والقلق، وكانت أنابيل تريدواي، الجالسة على المقعد إلى جوار أيفي، تبكي في صمت، ووقف هوبسكوتش إلى جوارها واضعًا إحدى قدميه في حجرها، وكان في بعض الأحيان يئن، ويمسح بلسانه جانب وجهها، وبدا الوجوم على وجوه أغلب الحاضرين.

قال المحقق ثرابويل: "نعم آثار دماء، لم يستغرق السيد بوارو وقتًا طويلًا قبل أن يعرف أنها بصمات أصابع ملطخة بالدم، وأن الأثر الأقصر والأدنى من البقية تعود إلى إصبع الإبهام".

سألت جاين دوكيريل: "إبهام الشخص الذي ترك السيد كينجزبيري ينزف حتى الموت؟".

قال ثرابويل: "لا يا سيدتي، هذا الشخص راعى ألا يلمس الدم على الإطلاق، إن آثار الأصابع الدامية قد صنعتها أصابع ضحية جريمة القتل: السيد كينجزبيري".

قال هيركيول بوارو: "إليكم ما نعتقد أنه حدث، إما إن القاتل قد دفع كينجزبيري فسقط وصدم رأسه، وإما أن السقوط كان عرضيًّا، دعونا نفترض أنه كان حادثًا عرضيًّا، وأن نفترض حسن نية القاتل، وبعدما سقط، تبين بوضوح أن كينجزبيري ينزف بغزارة، إنه مسن وضعيف، وقد عانى مؤخرًا ألم خسارته صديقه المقرب السيد باندي".

"ويرى القاتل أن كينجزبيري ضعيف للغاية، لدرجة أنه لن يتمكن من طلب المساعدة، ومن المرجح أنه سيموت إن لم يتلقَّ المساعدة، وهذا ما كان يريده القاتل، ولكن كانت هناك مشكلة واحدة، وهي: بعدما سقط وصل كينجزبيري إلى منشفة يبدو أنها كانت معلقة إلى جانب حوض الاستحمام، المنشفة التي أمسك بها ووضعها على جرح رأسه، ويعتقد القاتل أن هذا سيمنع تدفق الدماء، وينقذ حياة الرجل المسن؛ لذا أصبح من الضروري بالنسبة إليه أن ينتزع المنشفة من يد كينجزبيري، الذي يكتشف فجأة أنه لم يعد ممسكًا بها، ويحاول أن يوقف النزيف بيده، وهنا تلطخت أصابعه بالدم، وكان القاتل يقف أمامه ناظرًا إليه وهو راقد على الأرض، وربما كان يغيظه بالمنشفة، ويمد كينجزبيري يده محاولًا الإمساك بها مرة أخرى، ولم يكن لديه أي أمل في استعادتها من براثن معذبه

القوي المعافى، الذي سمح له بأن يمس المنشفة برهة قبل أن ينتزعها منه مرة أخرى، ويلقي بها إلى جوار الباب، ثم يغادر القاتل *الحمام، وبفعلته هذه، ترك كينجزبيري ليموت*".

قال جون ماكرودن: "إنك تفترض وقوع الكثير من الأحداث، أليس كذلك؟ ماذا لو كان كينجزبيري قد تلطخت أصابعه بالدم *قبل* أن يمسك بالمنشفة؟ ماذا *لو أنه* تمكن بالفعل بطريقة ما من إلقاء المنشفة عبر الغرفة؟ إن اقتراب المرء من الموت يمنحه قوة استثنائية".

ردَّ المحقق ترابويل: "لم يكن ليتمكن من إلقاء المنشفة لتصل إلى حيث وجدها المحقق كاتشبول، قد يكون شبه مستحيل إلقاؤها هذه المسافة حتى بالنسبة إلى رجل قوي دون إصابته بجرح في رأسه".

قال بوارو: "ربما كان هذا صحيحًا، أو غير صحيح، سأقر لكم بأنه في ظل غياب جميع الأدلة الأخرى، من الصعب الجزم بصحة هذه الفرضية، فالذي يجب ألا تنساه أبدًا يا سيد ماكرودن، هو *أنني أعرف أن هناك قاتلًا بيننا الآن*. ولديَّ دليل دامغ أعطاني إياه كينجزبيري نفسه".

قال هيوجو دوكيريل: "رائع".

تابع بوارو حديثه قائلًا: "أنا أعرف مَنْ يكون القاتل، وأعرف لماذا أراد قتل كينجزبيري. لهذا السبب، يسعدني أن أخبر المحقق ترابويل بأنني قد وفرت عليه بعض العمل، لقد حللت بالفعل لغز جريمة قتل كينجزبيري قبل أن يصل إلى هنا في كومبنجهام هول".

قال المحقق ترابويل: "وأنا ممتن لك كثيرًا على هذا يا سيدي".

سأل رولاند ماكرودن: "ما الدليل الذي أعطاك كينجزبيري إياه؟ وكيف أمكنه أن يعطيك دليلًا على جريمة قتله، بينما كان لا يزال حيًّا؟ أم أنك تتحدث عن جريمة قتل بارناباس باندي؟".

قال بوارو: "هذا سؤال وجيه، فكما تعلم، قبل أن يموت كينجزبيري، كان يبحث عني، فقد كان هناك أمر مهم يرغب في إخباري به، وعندما لم يتمكن من العثور عليَّ، ترك لي رسالة في غرفة نومي، وعندما قرأت الرسالة، ذكرتني

ببعض الحقائق التي كنت أعرفها بالفعل، ويعني هذا أنني عندما علمت بوفاة كينجزبيري، وعلمت بشأن المنشفة، وعندما جمعت كل هذه الخيوط معًا.. أدركت أنني أعرف من ترك كينجزبيري بهذه القسوة ليموت، لقد كنت أعلم هذا، *وأنا أعلم* هذا الآن- بلا أدنى شك، إن هذا الشخص قاتل قاس بطبيعته، سواء أكان قد دفع كينجزبيري ليسقط أم لا، فماذا سيكون غير هذا إن تركت رجلًا ليموت، على الرغم من قدرتك على إنقاذه؟".

قالت جاين دوكيريل: "ربما كان هذا هو الشخص نفسه الذي قتل بارناباس باندي، أرجو ألا تخبرني بأنني أجلس في غرفة واحدة مع قاتلين اثنين يا سيد بوارو؟ وهو الأمر الذي لا يمكنني أن أصدقه".

"لا يا سيدتي، هناك واحد فقط"، قالها بوارو، ثم أخرج من جيبه ورقة، وتابع حديثه قائلًا: "تلك ليست الرسالة التي تلقيتها من كينجزبيري، ولكنها نسخة طبق الأصل منها. وفيها، على الرغم من استخدامه الخاطئ قواعد اللغة الإنجليزية، تمكن كينجزبيري من توضيح ما أراد قوله، يمكنكم جميعًا أن تفحصوا نسخة خطابه في خلال لحظات، وسترون فيها أن كينجزبيري يخبرني بأنه قد سمع مصادفة حوارًا دار بين أيفي لافينجتون وشخص لا يعرف هويته، كان كينجزبيري قد سمع بكاء هذا الشخص وليس حديثه، وإنه يعتقد أنه ربما يكون رجلًا أو امرأةً، وكان من الصعب أن يتبين نوعه، حيث إنه كان يبكي بكاءً شديدًا ملتاعًا.

"كان الحوار الذي سمعه كينجزبيري، وكان من جانب واحد فقط، قد حدث في غرفة نوم الآنسة أيفي، وكان بابها مغلقًا، ولكنه لم يكن موصدًا بإحكام، وسمع الآنسة أيفي تقول..".

ثم صمت بوارو، وأعطاني الورقة، وقال: "كاتشبول، هلا تتفضل بقراءة الفقرة التي وضعت دائرة حولها، فلم أتمكن من منع نفسي من إجراء التصحيحات الضرورية، فأنا من منشدي الكمال كما تعلم".

أخذت نسخة الرسالة من بوارو، وبدأت أقرأ الفقرة التي أشار إليها.

"كانت تقول عبارات مفادها أن الاستمرار في التصرف كأنك لا تعرف شيئًا عن القانون ليس دفاعًا يُعتد به، فهناك أمور مسموح بفعلها، وهناك أمور غير مسموح بفعلها، والتظاهر بأنه لا يمكنك التفرقة بينها لن ينطلي على أحد، فلن يصدقك أحدٌ، وأنت الوحيد بيننا جميعًا الذي يعرف هذا الشخص الذي يدعى جون مودن.." .

توقفت عن القراءة، وسألت بوارو عما إذا كان كينجزبيري يعني جون ماكرودن.
"نعم، *بالطبع*، انظر حولك يا كاتشبول، *هل هناك* جون مودن في الغرفة؟" ثم واصلت القراءة:

"أنت الوحيد بيننا جميعًا الذي يعرف هذا الشخص الذي يدعى جون مودن، ويجب عليك أن تخبر السيد بورو بالحقيقة كاملة كما أخبرتني بها، وسيتفهم ما حدث، وفي نهاية المطاف لن يحدث ضرر إن قلت الحقيقة الآن، وإن لم تفعل، فسيقولها هو" .

"شكرًا لك يا كاتشبول، *سيداتي سادتي*، ستفهمون، كما آمل، أن أغلب ما سمعتموه كان عبارة عن اقتباس كينجزبيري ما سمع أيفي لافينجتون تقوله، إنه لم يكن بارعًا في الكتابة، كما أنه لم يكن يراعي التفاصيل بدقة، ولكن في جوهر الأمر، في الجزء المهم مما سمعه مصادفةً، كان دقيقًا، لقد عرفنا أن كينجزبيري سمع أيفي لافينجتون تتحدث إلى شخص ما -لا نعلم من يكون- وتحذره، وتقول *عبارات مفادها أن* التظاهر *بالجهل بالقانون ليس دفاعًا يُعتد به*، وأن هذا الجهل بالقانون لن يصدقه أحد، وأن الشخص الذي تتحدث إليه أيفي لافينجتون هو *الشخص الوحيد الذي* يعرف جون *ماكرودن*، وإن لم يخبرني هذا الشخص أنا، هيركيول بوارو، بالحقيقة كاملة، فقد حذرته الآنسة أيفي من أن جون ماكرودن سيخبره بها" .

ثـم قال بوارو: "كل هذا يشـير إلى أن أيفي لافينجتـون كانت تتحدث إلى قاتل بارناباس بانـدي، أليـس كذلـك؟ أو على الأقل إلـى من كتب الخطابـات الأربعة الموقعة باسمي؟".

قالت جاين دوكيريل: "إن ما يشير إليه بالنسبة إليَّ أن أيفي كانت تتحدث إلى رولاند ماكرودن، حيث إن هناك شخصًـا واحدًا فقط على معرفة بابنه، فسـيكون هو بلا شك؟".

قال يوستيس كامبل براون: "نعم، هذه فرضية معقولة".

قالت أيفي لافينجتون: "هذا ليس صحيحًا، لن أخبركم بمن كنت أتحدث إليه، ولكـن يمكنني أن أقسـم لكم أنه لم يكن رولاند ماكـرودن، من البديهي أنه يعرف ابنـه، مـا كنت أعنيه أن الشـخص الذي كنت أتحدث إليه ليـس من المفترض به أنـه يعرف جون ماكـرودن، ولكنه يعرفه. لم أكن أعلم أن كينجزبيري كان يسـمع ما أقوله من وراء الباب، لذا، لم أحاول التوضيح أكثر، ولكن رسـالة كينجزبيري ليسـت دقيقـة، فقد فهم الكثير من الأمور بصـورة خاطئة، إن مـا كتبه.. لم تكن كلماتي، ولم يكن هذا ما قلته أنا".

ابتسـم لها بوارو، وقال: "*حسنًا!* آنستي، يسعدني أنك قلت هذا، نعم، لقد فهم كينجزبيري بعض الكلمات بصـورة خاطئة، ولكنه ساعد هيركيول بوارو على فهم كل شيء بالشكل الصحيح!".

"في رسالته إليَّ، كتب كينجزبيري أيضًا، أنه بينما كان يسمع ما يُقال على الجانـب الآخر من باب غرفة الآنسـة لافينجتون، أصـدر لوحٌ من ألواح الأرضـية صريرًا قويًّا، وكان تحركه هو الذي تسبب في هذا الصوت، فأسرع مبتعدًا، وسمع من خلفه صـوت باب يرتطم بالحائط بعدما انفتح على مصراعيه -أو على الأقل، هكذا بدا الأمر بالنسـبة إلى كينجزبيري، لقد اعتقد أنه ربما كان هناك من رآه، وأنا أيضًا أعتقد هذا، لقد قُتل كينجزبيري -أو تُرك ليموت، إن كنتم تفضلون هذه الصـيغة؛ بسبب ما سمعه مصـادفةً. بعد دقائق من حديثه مع تيموثي لافينجتون وفريـدي رول في الطابق العلـوي، وإما أن أحدهم قد أجبـره على دخول الحمام، وإما تبعه إليه، حيث مات.

"بالطبع، لم يكن قاتله يعلم - قبل أن ينهي حياة الرجل المسن - أنه قد ترك هذه الرسالة المفيدة لبوارو! سيداتي سادتي، يمكنني أن أكشف لكم هوية قاتل كينجزبيري.. وهو الشخص الذي كانت الآنسة أيفي تجري معه ذلك الحوار السري".

سأله جون ماكرودن بغلظة: "ومَنْ يكون؟".

سأل تيموثي لافينجتون شقيقته، قائلًا: "أيفي، ما الذي يعنيه هذا؟ يبدو أنه يقول إنك متورطة في مؤامرة لقتل جدي، وأن شريكك في المؤامرة هو من قتل كينجزبيري".

"*كلَّا على الإطلاق*"، قالها بوارو مخاطبًا تيموثي، ثم أردف: "وستعلم قريبًا سبب كون هذا غير حقيقي، آنسة أيفي، أرجو أن تخبرينا بكل شيء: مع من كنت تتحدثين في غرفة نومك قبل تمام الثانية بعد ظهر أمس بقليل؟".

قالت أيفي لافينجتون: "لن أخبرك، ولا يهمني إن عوقبت على هذا، سيد بوارو، إن كنت تعرف مَنْ قتل كينجزبيري -أو تركه ليموت- فإنك تعلم أنه ليس أنا، وإن كنت تعرف كل شيء، كما تدعي، فلن تكون بحاجة إلى أن أخبرك بكل ما حدث".

ثم قالت أنابيل تريدواي وهي تبكي: "كنت أنا من قتلت جدي، وقد أخبرت المحقق كاتشبول بهذا بالفعل، فلماذا لا يصدقني أحد؟".

قلت: "لأن هذا ليس صحيحًا".

واصل بوارو حديثه: "بحلول الدقيقة الأربعين بعد الساعة الثانية، كنا جميعًا هنا في هذه الغرفة؛ الجميع عدا كينجزبيري، وكنت أنا وكاتشبول هنا في تمام الثانية، ولكن لم يكن أي منكم هنا، وبعد هذا، أرسلت تيموثي لافينجتون وفريدي رول لاستدعاء الجميع للحضور إلى هنا، في نحو الثانية وخمس دقائق، ومن ثم بدأ توافدكم بالترتيب التالي: أولًا، وصلت أيفي لافينتجون في الثانية وعشرين دقيقة، وتبعها بفترة وجيزة كل من جاين وهيوجو دوكيريل، ثم في الثانية وخمس وعشرين دقيقة وصلت أنابيل تريدواي وفريدي رول وتيموثي لافينجتون، ثم جون ماكرودن، ثم والده، رولاند ماكرودن، وكان آخر الحضور كلًا من ميلدريد رول، ويوستيس كامبل براون، وسيلفيا رول، ولينور لافينجتون. ويؤسفني أن أقول إن

جميع من ذُكرت أسماؤهم توافرت لهم فرصة انتزاع المنشفة من يد كينجزبيري، وتركه ليموت. ولن يمكننا أن نزيل من قائمة الشبهات إلا أربعة أشخاص فقط في هذه الغرفة، وهم: المحقق ثرابويل وكاتشبول وأنا.. والشخص الرابع بالطبع هو جون ماكرودن".

قالت سيلفيا رول: "لا أرى سببًا لإزالة السيد ماكرودن من قائمة المشتبه بهم، يبدو لي أنه كان يمتلك ما يكفي من وقت لإلحاق الأذى بكينجزبيري في الحمام، وتركه ليموت قبل أن يأتي إلى غرفة المعيشة هنا".

قال بوارو: "ولكن، فكري في الأمر يا سيدتي، إن كان قاتل كينجزبيري هو الشخص الذي قالت له أيفي لافينجتون، "أنت الشخص الوحيد بيننا الذي يعرف جون ماكرودن..؟"".

قالت جاين دوكيريل: "لقد فهمت. نعم، أنت محق، إن الشخص الذي قال هذا إذن، لا يمكن أن يكون السيد ماكرودن".

قال جون ماكرودن: "يا له من أمر مبشر بالخير، لم أعد مشتبهًا به في جريمة قتل".

قال له والده: "هذا صحيح، لم تعد مشتبهًا به في قتل كينجزبيري، ولكن لا تزال أمامنا جريمة قتل بارناباس باندي".

قال بوارو: "في واقع الأمر، *يا صديقي*، لا توجد جريمة أخرى".

حدَّق إليه الجميع في دهشة عارمة.

فقال: "لقد مات بارناباس باندي في حادث عرضي بالفعل، لقد غرق في مياه استحمامه، كما اعتقد الجميع في البداية، وكان الاعتقاد صحيحًا، فهناك جريمة قتل واحدة فقط قد وقعت: وهي قتل كينجزبيري المسكين، خادم السيد باندي المخلص، علاوةً على هذا، كانت هناك محاولة شروع في قتل ثانية، ويسعدني أن أقول الآن، إنها لم تنجح، أم يجدر بي أن أقول إن قتل كينجزبيري كان جريمة القتل الثانية، وأن محاولة الشروع في القتل كانت الأولى، حيث إن محاولة الشروع في القتل قد بدأت قبل أن يموت كينجزبيري بوقت طويل".

قالت لينور لافينجتون: "شروع في قتل؟ مَنْ؟".

قـال لها بـوارو: "شـروع في قتل شـقيقتك، كمـا ترين يـا سـيدتي، إن كاتب الخطابـات الأربعـة التـي وقعها زورًا باسـمي قـد فعل كل مـا في وسـعه ليتأكد، أو لتتأكد -كما قلت، على الرغم من أنه لم يُقتل- *أن أنابيل تريدواي ستُعدم شنقًا لقتلها بارناباس باندي*".

الفصل ٣٤

ريبيكا جرايس

قالت أنابيل تريدواي: "هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالًا يا سيد بوارو؟".

"بالطبع، يا آنسة. ما هو؟".

"هل قاتل كينجزبيري، وكاتب الخطابات الأربعة، والشخص الذي يريدني أن أُعدم شنقًا لقتل جدي- هم ثلاثة أشخاص مختلفين؟".

"لا، إنه شخص واحد فقط، هو المسئول عن جميع هذه الأمور".

قالت أنابيل، وقد توقفت عن البكاء: "إذن.. يبدو أنني قد ساعدت هذا الشخص دون أن أدري، لقد أسهمت في مؤامرة محاولة الشروع في قتلي عندما ذهبت إلى سكوتلانديارد، واعترفت بأنني التي أغرقت جدي في أثناء استحمامه".

"دعيني أسألك الآن: هل قتلت جدك بارناباس باندي؟".

"لا، لا لم أفعل".

"*حسنًا*، والآن تقولين الحقيقة، ممتاز! لقد حان وقت قول الحقيقة أخيرًا، آنسة أيفي، أنت تؤمنين كثيرًا بقوة الحقيقة، أليس كذلك؟".

قالت أيفي: "نعم، هل اعترفت حقًّا بجريمة قتل لم ترتكبيها يا خالتي أنابيل؟ جريمة قتل لم تحدث من الأساس؟ كان هذا حماقة منك".

قال بوارو مخاطبًا أيفي: "لقد أخبرك قاتل كينجزبيري بالحقيقة أمس عن محاولته تلفيق تهمة قتل جد والدتك لخالتك أنابيل تريدواي، وأنت ترفضين الإفصاح عن اسم هذا الشخص، إنك تحمين قاتلًا لا يشعر بوخز الضمير، لماذا؟ إنه بسبب قوة الحقيقة التي أخبركِ بها!".

قالت أيفي: "لماذا تفترض أن هذا الشخص لا يشعر بوخز الضمير؟".

قال بوارو، وهو ينقل بصره فيمن حوله من أشخاص في الغرفة: "إن كان نادمًا، فليعترف بجرمه هنا والآن"، لم ينطق أحد، إلى أن قال يوستيس كامبل براون: "أليس من الغريب، في ظل ظروف مثل هذه، أن يشعر المرء بالرغبة في الاعتراف؟ أنا بريء، ولكن لا يمكنني أن أتحمل الصمت، إنني أشعر برغبة عارمة في أن أصرخ وأقول أنا من قتل كينجزبيري، و*أنا* بالطبع لم أفعل ذلك".

قال له بوارو: "إذن، اصمت من فضلك".

سألت أيفي لافينجتون بوارو قائلةً: "ماذا لو، بدلًا من كونه لا يشعر بوخز الضمير، كان هذا الشخص المعني يشعر بخوف كبير لم يشعر به من قبل في حياته؟".

"إنني أستمتع بمحاولتك الدفاع عن قاتل كينجزبيري يا آنسة، هذا يؤكد لي أنني محق تمامًا، إن الحقيقة التي أخبرك بها، بينما كان كينجزبيري يستمع من خارج باب غرفتك .. قد مست فؤادك، أليس كذلك؟ على الرغم من الأفعال التي لا تُغتفر التي تعلمين أن هذا المذنب قد ارتكبها، لا تزالين غير قادرة على أن تكوني قاسية عليه".

أشاحت أيفي لافينجتون بوجهها بعيدًا، وقالت: "كما قلت من قبل: أنت تعرف كل شيء يا سيد بوارو، إنك لست بحاجة إلى أن أؤكد لك ما تعلمه بالفعل".

التفت بوارو نحو سيلفيا رول، وقال: "سيدتي، ما عدا ابنتك وزوجها المستقبلي، هل رأيت وجه أي من الحضور الآخرين في هذه الغرفة من قبل؟".

قالت في سخرية: "نعم، بالطبع، لقد رأيت *وجهك* أنت يا سيد بوارو".

"كان يجدر بي أن أضيف أيضًا: "وما عدا هيركيول بوارو"! هل هناك أحد آخر بين هؤلاء الحضور تعتقدين أنك تعرفينه؟".

خفضت سيلفيا رول بصرها نحو يديها، اللتين كانتا مضمومتين في حجرها، وبعد بضع لحظات، أردفت: "نعم، لقد التقيت السيدة لافينجتون من قبل -لينور لافينجتون- لكنني لم أكن أعرف اسمها الحقيقي عندما التقيتها، كان هذا منذ ١٣ عامًا مضت، وأخبرتني حينها بأن اسمها كان ريبيكا شيء ما، ريبيكا جراي، أو.. لا كان جرايس، ريبيكا جرايس".

"لماذا تعتقدين أن السيدة لافينجتون شعرت بأنه من الضروري أن تكذب بشأن اسمها الحقيقي؟ من فضلك، لا تحاولي إخفاء الحقيقة، حيث إن بوارو يعرف كل شيء".

قالت سيلفيا رول: "كانت السيدة لافينجتون حاملًا، ولم تكن ترغب في الاحتفاظ بالجنين، عندما كنت أصغر عمرًا، ساعدت .. نساءً، وجدن أنفسهن في مواقف مثل هذه، وكنت بارعة فيما كنت أفعله، فقد كنت أقدم خدمة آمنة وسرية، وكانت أغلب السيدات اللاتي يحضرن إليَّ يستخدمن أسماءً تختلف عن أسمائهن الحقيقية".

التفت بوارو نحو لينور لافينجتون قائلًا: "سيدتي؟".

قالت: "هذا صحيح، لم أكن وسيسيل سعيدين معًا، واعتقدت أن الأمور ستزداد سوءًا لو أننا رزقنا بطفل آخر، ولكنني، في النهاية، لم أتمكن من حمل نفسي على المضي قدمًا في الأمر، وفي خلال لقائنا الأول، أخبرتني السيدة رول بأنها أيضًا حامل، كانت ترغب في إنجاب طفلها، ولكنها قالت إنها قادرة على فهم عقبات أن يُرزق المرء بطفل غير مرغوب فيه، وعندما سمعت هذه الكلمات - "طفل غير مرغوب فيه" - اعتذرت لها، وانصرفت، فقد أدركت أن طفلي عزيز لديَّ، وبالطبع لم أتمكن من حمل نفسي على التخلص منه".

نظرت لينور لافينجتون إلى سيلفيا رول بكراهية، وقالت: "لقد حاولت السيدة رول إجباري على الاستمرار في الأمر، بمجرد أن رأت أنني قد عدلت عن قراري، كانت تحاول جاهدة ألا تخسر زبونها".

نهض تيموثي لافينجتون واقفًا على قدميه مترنحًا، وكانت عيناه غارقتين بالدموع، وقال: "إن الطفل الذي لم تكوني ترغبينه كان أنا، أليس كذلك يا أمي؟".

قالت أيفي: "إنها لم تمضِ قدمًا في الأمر يا تيمي".

قالت له لينور: "كنت أعلم أنني سأحبك، وأرغب في وجودك بمجرد رؤيتك يا تيمي، ولقد فعلت، من أعماق قلبي".

سألها تيموثي، وقد امتلأ صوته بالاشمئزاز: "هل أخبرت والدي بأنَّك كنت تفكرين في التخلص منِّي بهذه الطريقة البربرية؟".

"لا، لم أخبر أحدًا بهذا".

قال بوارو: "بالطبع، إنك لم تخبري أحدًا بالأمر، فهذه نقطة مهمة للغاية".

أومأ لي بوارو، وكان هذا إشارة لي، فغادرت الغرفة، وعدت بعد بضع لحظات حاملًا طاولة صغيرة، وضعتها في منتصف الغرفة حتى يتمكن الجميع من رؤيتها، وكانت الطاولة مغطاة بمفرش أبيض اللون، وكان بوارو قد رفض أن يخبرني بما يوجد أسفل المفرش، ولكنني كنت واثقًا بأنني أعلم ما ينوي فعله، وكذلك كان رولاند ماكرودن، وفقًا إلى النظرة البادية على وجهه، ثم رفع بوارو المفرش، وكشف عن قطعة أخرى من كعكة نافذة دار العبادة، موضوعة على طبق خزفي، وإلى جوارها كانت هناك سكينٌ، تساءلت كم عدد القطع من هذه الكعكة اللعينة التي أحضرها معه إلى كومبنجهام هول؟ لا بد أنَّ "في سبرينج" كانت سعيدة للغاية؛ لأنها باعت الكثير منها.

قال هيوجو دوكيريل: "هل هذه طريقتك في إخبارنا بأن حل اللغز سهلٌ مثلُ تقطيع الكعك يا سيد بوارو؟ في *سهولة تقطيع الكعك* صحيح؟ إنها دعابة لطيفة، أليس كذلك؟"، ثم بدأ يقهقه، وأخبرته زوجته بأن يلتزم الهدوء، فصمت، وقد بدا عليه الإحراج من توبيخ زوجته إياه.

ثم قال بوارو: "سأعرض عليكم الآن، أيتها السيدات والسادة، إننا عندما نتمكن من حل لغز الأرباع الثلاثة، سنكون قد أوشكنا أن نحل اللغز كله!".

سأل المحقق ثرابويل: "وما لغز الأرباع الثلاثة يا سيد بوارو؟".

"سأشرح لك الأمر أيها المحقق، كما ترى هنا، وكما نرى جميعًا، هناك أربعة أرباع لقطعة الكعك هذه، في الصف العلوي، إن كان من الصحيح أن أطلق عليه هذا، لدينا ذلك المربع الأصفر الصغير، والمربع الوردي، وفي الصف السفلي،

لدينا المربع الوردي، ثم المربع الأصفر، ولكن يظل لدينا هنا قطعة كعك كاملة غير مقسمة؛ لأننا لم نستخدم السكين بعد".

وبأسلوب مسرحي، قطع بوارو قطعة الكعك إلى نصفين، ودفع كلا النصفين نحو الحافتين المتقابلتين من الطبق، وقال: "في البداية اعتقدت أن الأشخاص الأربعة الذين تلقوا خطابات من شخص يتظاهر بأنه أنا، يتهمهم فيها بقتل بارناباس باندي، عبارة عن طرفين، كل منهما مكون من شخصين: أنابيل تريدواي وهيوجو دوكيريل، وسيلفيا رول وجون ماكرودن، الذي لم يبد في البداية أن له صلة بالأمر، فقد أخبرني كلاهما بأنهما لم يسمعا من قبل اسم بارناباس باندي، ثم اكتشفت من السيد هيوجو دوكيريل أن ابن السيدة رول، فريدي، أحد طلبة مدرسة تورفيل، المدرسة نفسها التي يدرس فيها تيموثي لافينجتون، إذن! أصبح الأمر يبدو بالنسبة إلى بوارو على النحو التالي!"، ثم أمسك بالسكين وقطع نصف الكعكة إلى نصفين.

ثم غيَّر مرة أخرى ترتيب وضع المربعات الصفراء والوردية على الطبق: ثلاثة منها قريب بعضها من بعض، وواحد بعيد ومنفصل عنها، وقال: "هذا، يا *أصدقائي*، ما كنت أشير إليه باعتباره لغز الأرباع الثلاثة! لماذا كان السيد جون ماكرودن استثناءً؟ لماذا -بوصفه شخصًا لا يعرف بارناباس باندي، رجلٌ لم يسمع باسمه أيضًا، ولا يوجد أي رابط بينهما- لماذا تم اختياره، في حين كانت للأشخاص الثلاثة الآخرين روابط واضحة بالسيد باندي أو عائلته؟ لماذا اختار كاتب الخطابات هؤلاء الثلاثة، ثم هذا الشخص؟

"فسألت نفسي إن كان كاتب الخطابات أراد أن يلفت انتباهي إلى جون ماكرودن *على وجه التحديد*، ثم حدث أمر حيرني كثيرًا، فقد تصادف أنني كنت موجودًا عندما ذكرت أيفي اسم فريدي رول أمام والدتها، ورأيت كم كانت لينور لافينجتون خائفة ومرعوبة، بدت كأن الاسم قد هبط عليها كالصاعقة، فتساءلت: لماذا كانت ردة فعلها على ذكر اسم صبي من مدرسة ابنها غريبةً بهذه الدرجة؟".

ربما كان بوارو يرغب في أن يجيب عن السؤال بنفسه، ولكنني لم أتمكن من منع نفسي من قول إجابة خطرت على ذهني في تلك اللحظة، فقلت: "لأنها لم

تكن تعلم حتى ذكرت الاسـم أمامها أن فريدي رول يدرس في مدرسة تورفيل، لم تكن تعلم أن ابن سيلفيا رول يدرس مع ابنها في المدرسة نفسها".

"*بالضبط*! كانت قد سـمعت عن صبي وصفته بأنه "فريدي المنعزل غريب الأطـوار"، ولكنهـا لم تكن تعرف اسـم عائلته، كان مجرد طالـب في تورفيل منذ بضـعة أشـهر، ولم تكن لينـور لافينجتون تعلم أن السـيدة رول التـي التقتها منذ ١٣ عامًـا هي والدة فريدي المنعزل غريب الأطوار حتى أخبرتها ابنتها بذلك، ثم لكـي تبعد تفكيري في وجهة أخرى، تظاهرت على الفور بأنها تعترض على فريدي بشـدة، وبأنها حذرت تيموثي من أن يعقد صداقة معه، فلم تكن تريد أن أشك في أن والدة فريدي هي التي جعلتها تشعر بالذعر، وليس فريدي نفسه، ثم فيما بعد، يبدو أنها قد نسـيت أنها أخبرتني بأنها لا تحب فريدي، فعندما ذكرت اسـمه في المـرة التاليـة، لم تبدُ عليها أية عداوة تجاهه، بل لم يبدُ عليها أنها تهتم بانتقاده كذلك، كما أنها لم تعترض على أن يقضي وقتًا مع ابنها هنا في كومبنجهام هول.

"يجدر بي أن أقول، أيتها السـيدات وأيها السادة، إنني في اللحظة التي بدأت أثـق بأن لينور لافينجتون هـي التي كتبت الخطابات الأربعـة، وبدأت خيوط اللغز المتشابكة تنحل".

قال جون ماكرودن: "مهلًا، إن كنت تعتقد أن الشخص نفسه قتل كينجزبيري، وحاول لصـق تهمة القتل بالآنسـة أنابيـل تريدواي حتى تُعدم شـنقًا .. فهل تتهم السيدة لافينجتون بهذه الأمور أيضًا؟".

"وإلـى هـذه اللحظة، أقول إن السـيدة لافينجتون كتبـت الخطابات التي تتهم أربعة أشـخاص - بمن فيهم أنت يا سـيدي- بالقتل، ووقعت عليها باسم هيركيول بوارو، سـيدة لافينجتـون، لقد ارتعبت عندما ذُكر اسـم فريـدي رول؛ لأنك كنت على ثقة تامة بأن العلاقة بينك وبين سـيلفيا رول لن يعرفها أو يخمنها أحد، لقد استشـرتها منذ ١٣ عامًا مضـت من أجل تنفيذ إجراء طبي غير قانوني، وبالطبع يهـم كلًا منكمـا ألا يتم ذكر هذا لأي شـخص، ثـم بمحض المصـادفة والعفوية تخبرك ابنتك بأن ابن السيدة رول، فريدي، يدرس في المدرسة نفسها مع ابنك. وفجأة، أصبح هناك رابط واضح للجميع بين سيلفيا رول وبارناباس باندي.

"وكانت تلك كارثة بالنسبة إليك، فقد أردت أن تكون الكعكة مقسمة إلى هذين النصفين، أليس كذلك؟ لقد أردت أن تبدو الخطابات كأن هناك شخصين قد يعرفان جدك، وشخصين لا يعرفانه على الإطلاق. وبهذا، لن يكون هناك شخص مستثنى، وسيظل من شبه المستحيل اكتشاف هدف كاتب الخطابات في تلك الظروف، ولكن، بفضل مصادفة أن فريدي رول كان طالبًا في تورفيل، أدركت آسفة أنك قد وجهت انتباهي نحو جون ماكرودن باعتباره الشخص المستثنى، الشخص *المختلف*، ثم أدركت أن هناك احتمالين فقط: إما أنه الشخص المختلف عن الباقين، وإما أنه لا يوجد هناك أي شخص مختلف، بل فقط قطعة الكعك الكاملة غير المقسمة".

ثم دفع بوارو أرباع الكعكة جميعها معًا مرة أخرى بحيث تلامس المربعات الأربعة بعضها بعضًا مرة أخرى، وقال: "عندما أتحدث عن الكعكة غير المقسمة، فإنني أشير إلى احتمالية أن كاتب الخطابات ربما تجمعه علاقة شخصية بجميع *الأشخاص الأربعة الذين أرسل بالخطابات إليهم*، بمن فيهم جون ماكرودن.

"لقد اخترتِ أن توقعي الخطابات باسمي يا سيدة لافينجتون، لماذا؟ إنك تعرفين أنني أبرع من يحل ألغاز الجرائم، *أليس كذلك*؟ لا يوجد من هو أبرع مني! وكنت تحتاجين إلى لفت انتباهي، كنت تريدين هيركيول بوارو، بعد أن يتورط بصورة شخصية في الأمر، أن يذهب إلى الشرطة حاملاً فستانًا متصلبًا له رائحة نفاذة، ملفوفًا، وأقول إن شقيقتك أنابيل قتلت جدك بلا شك، فمن سيكون أكثر إقناعًا مني عندما أخبر الشرطة بجميع الأمور التي اعتقدتِ أنك يمكن أن تتلاعبي بي لأقولها؟ سيدتي، لم أشعر قط من قبل بأن هناك من هو معجب بي، ويستخف بي في الوقت نفسه ومن قِبَل الشخص نفسه! لقد كنتِ غبيةً عندما اعتقدتِ أنه قد يمكنك أن تشغلي هيركيول بوارو عن رؤية الحقيقة بواسطة فستان غارق في المياه وزيت الزيتون".

قال المحقق ثرابويل: "سيد بوارو، أنا متحير قليلاً، هل تقول إن السيدة لافينجتون لم تكن تريدك أن تعتقد أن جون ماكرودن هو الشخص المختلف؟".

"نعم، يا سيدي، لم تكن تريد مني أن أتساءل عن مكانه المناسب ضمن الصورة، ولم تكن تريد أن تجعلني أسأل نفسي: إن تبين أن سيلفيا رول على علاقة بأسرة بارناباس باندي، ألن ينطبق الأمر ذاته على جون ماكرودن؟ لأنه، يا أصدقائي، *لينور لافينجتون هي الشخص الوحيد في هذه الغرفة الذي تربطه علاقة شخصية بجميع الأشخاص الأربعة الذين تلقوا الخطابات*، لقد ارتكبت خطأً كبيرًا عندما وضعت خطتها، فإن كانت ترغب في اتهام شخصين غريبين تمامًا، لربما كانت قد تخيرتهما عشوائيًّا من دليل الهاتف، ولكنها تخيرتهما بناءً على علاقة شخصية قديمة تجمعها بهما -وفي كلتا الحالتين، اعتقدت أن سرية صلتها بهما كافيةً لأن تشعر بأنها في أمان من عدم اكتشافها، اعتقدت أن بوارو سرعان ما سيكتشف أن كلًّا من سيلفيا رول وجون ماكرودن لا يمكنهما قتل بارناباس باندي؛ لأنهما غريبان عنه وعن عائلته، *ولم يكونا في أي مكان قريب من كومبنجهام هول يوم وفاته*، كما أن أيًّا منهما لا يمتلك الدافع أو الفرصة؛ لذا اعتقدت السيدة لافينجتون أن اسمي رول وماكرودن سرعان ما سيُمْحَيانِ من دائرة الاشتباه.

"آه، ولكن، كان هذا خطأً آخر من جانبها! فسرعان ما تبين لي أن كلًّا من السيدة رول والسيد ماكرودن كانا قادرين على الحضور إلى هنا يوم وفاة بارناباس باندي، وكذلك كان هيوجو دوكيريل قادرًا على ذلك، وكان أيٌّ منهم قادرًا على التسلل إلى داخل المنزل، بينما بقية القاطنين به إما كانوا مشغولين بالشجار، وإما كانوا منشغلين كما في حالة كينجزبيري - كان يفرغ حقيبة ملابسه - وكان يمكنهم الدخول عبر الباب الأمامي المفتوح دائمًا، وقتل السيد باندي، ثم ينصرف أيٌّ منهم مسرعًا دون أن يراه أحد، ولم يكن أي من الثلاثة يمتلك حجة غياب قوية: حفل رأس السنة الجديدة، الذي كان يمكن لأي شخص أن يتسلل منه خارجًا ساعة أو ساعتين دون أن يلاحظه أحد، وخطابًا من امرأة إسبانية ربما كانت على استعداد لأن تقول أي شيء يُطلب منها قوله".

ثم نظر بوارو نحو جون ماكرودن، وبدا أنه ينتظر منه أن يتحدث.

قال ماكرودن أخيرًا بصـوت خفيضـ: "لم أكن أعرف اسـمها الحقيقي حتى وصلت إلى هذا المنزل، لقد عرفتني بنفسها بأنها ريبيكا جرايس، مثلما فعلت مع السيدة رول"، ثم نظر إليها على الطرف الآخر من الغرفة، وقال: "لينور، إنه ليس اسمًا شائعًا، وأنا سعيد بأنني عرفت اسمك الحقيقي يا لينور".

قـال بوارو: "سـيد ماكـرودن، لفائدتنا جميعًـا، هل يمكنك أن توضـح طبيعة علاقتك بلينور لافينجتون؟ كانت تجمعكما قصة حب، أليس كذلك؟".

"نعم، لقد كنا كذلك فترة قصـيرة؛ قصـيرة للغاية، ولكنها تزوجت بشخص، وكـم لعنـت حظي بعدها؛ لأنني لـم أتزوج بها، ولكن بعد فـوات الأوان"، ثم تهدج صوته وهو يقول: "لقد أحببتها بكل جوارحي، ولا أزال".

الفصل ٣٥

الولاء الأسري

قال جون ماكرودن: "لست خجولًا من الأمر، ولا يمكن لأحد أن يجعلني أشعر بالخجل، كما أثق بأن والدي سيكون سعيدًا بأن يقول لكم ذلك، إن ريبيكا - لينور - هي المرأة الوحيدة التي أحببتها في حياتي، على الرغم من أننا لم نقضِ إلا ثلاثة أيام معًا، ولكنني قضيت كل ساعة من حياتي منذ تلك الأيام الثلاثة متمنيًا لو أنها استمرت فترةً أطول-".

قالت لينور: "جون، أرجوك لا تفعل ذلك، ما الفائدة التي ستحققها هذه الكلمات الآن؟". واستطرد جون: قائلًا: "ولكنها رفضت الزواج بي، وتزوجت بشخص آخر، الذي، مما بدا عليه الأمر، لم يكن رجلًا مميزًا، لقد أدت واجبها".

قال تيموثي لافينجتون معترضًا: "كيف تجرؤ على التحدث عن والدي بهذه الطريقة؟"، ثم قال مخاطبًا أمه ببرود: "هل *قلتِ* له إن والدي لم يكن مميزًا؟ ما الأكاذيب الأخرى التي أخبرته بها؟".

لمست أيفي ذراع أمها، وقالت: "أخبريه يا أمي، يجب أن تفعلي".

قالت لينور: "لقد تُوفي والدك يا تيمي، والخطاب الذي وصل إليك .. أنا من كتبه وأنا من أرسل به".

قالت جاين دوكيريل: "أي خطاب؟".

قال بوارو: "كانت لينور لافينجتون قد أرسلت خطابًا خامسًا، خطابًا لا يعلم أغلبكم شيئًا عنه، وقد كتبته بالآلة الكاتبة نفسها التي استخدمتها مع الخطابات الأربعة الأخرى: التي تحتوي على حرف "ياء" معيب، لم يتحدث هذا الخطاب عن اتهام بالقتل، ولم تتظاهر السيدة لافينجتون بأنها هيركيول بوارو، ولكنها تظاهرت بأن مرسل الخطاب هو زوجها، سيسيل لافينجتون. وكان الهدف من الخطاب أن تخبر ابنها تيموثي بأن والده لم يمت، على الرغم من أن الجميع يعتقدون ذلك، وأنه كان مشغولاً بمهمة سرية لصالح حكومة البلاد".

قال تيموثي: "كيف أمكنكِ أن تكذبي بشأن أمر كهذا يا أمي؟ لقد صدقت أن والدي لا يزال حيًّا!".

أشاحت لينور لافينجتون بوجهها بعيدًا، ولمست أيفي ذراعها، ورمقت شقيقها في الوقت نفسه بنظرة تشير إليه فيها بأن يصمت.

ثم واصل بوارو حديثه قائلًا: "عندما عرض تيموثي لافينجتون على كاتشبول هذا الخطاب الذي من المفترض أن يكون من والده، لاحظ كاتشبول على الفور حروف "الياء" التي تحتوي على فجوة صغيرة بيضاء في الحبر، وأدرك أن هذا الخطاب مرسل من الشخص نفسه الذي أرسل الخطابات الأربعة الأخرى التي تم توقيعها باسم هيركيول بوارو، وأنها قد كتبت بالآلة الكاتبة نفسها، وأنا على يقين بأنكم فهمتم الآن سبب إصرارنا على العثور عليها.

"عندما حضرت للمرة الأولى إلى كومبنجهام هول، سألت السيدة لافينجتون عما إذا كان يمكنني أن أختبر الآلة الكاتبة هنا، ورفضت أن تسمح لي بذلك، ولأنه لم يكن هناك أي دليل على أن هناك جريمة قتل، فلم تكن ملزمة بأن تسمح لي برؤية أي شيء في المنزل، ثم عندما عدت إلى كومبنجهام هول للمرة الثانية، رأيت أنها قد غيرت رأيها، وأصبحت ترغب في التعاون".

قالت أنابيل تريدواي: "لقد رغبنا جميعًا في مساعدتك يا سيد بوارو، ولكنك خدعتنا، لقد جعلتنا نعتقد أنك قادر على إثبات أن جدي قد قُتل، ولكنك تخبرنا الآن بأن وفاته كانت إثر حادث عرضي، تمامًا كما كنا نعتقد طوال الفترة السابقة".

"آنستي، لقد كنت حذرًا في كل مرحلة من ألا أقول أية كلمة قد لا تكون حقيقية، لقد أخبرتك بأنني واثق بأن هناك شخصًا مذنبًا، قاتلًا يجب القبض عليه، وحتى نتمكن من فعل هذا، سيظل هناك خطر محدق، وكنت يا آنسة أعني أن هذا الخطر *يحيط بك أنت*، فشقيقتك كانت تريدك أن تنالي حكم الإعدام شنقًا بتهمة قتل جدك، وعندما أقرت بهذا الأمر للآنسة أيفي -وهي المحادثة التي سمعها كينجزبيري- لم تكن قد قتلت أي شخص إلى تلك اللحظة، فهل كانت ستوقف مؤامرتها لتلفيق التهمة لك؟ لا أعلم، ولكنني أعرف ما يلي: بعد فترة قصيرة، وبعدما وجدت أنها عرضة لخطر أن تُكشف وتُفضح مؤامرتها، تركت *كينجزبيري يموت*، سيدة لافينجتون، أنا لم أكذب أو أحرِّف الحقيقة عندما قلت عنك إنك قاتلة، فالأمر يتعلق بشكل أكبر *بالشخصية*، لقد أصبحت قاتلة منذ لحظة تفكيرك في الإعداد لموت شقيقتك".

نظرت لينور لافينجتون إلى بوارو دون أن تقول شيئًا، وكان وجهها خاليًا من أي تعبير.

ثم سأل جون ماكرودن: "لماذا أرادت لينور أن تُشنق شقيقتها؟".

قالت أنابيل تريدواي: "وماذا عن الخطابات الثلاثة الأخرى؟ بعيدًا عن نيات لينور تجاهي، لماذا أرسلت الخطابات نفسها إلى السيد دوكيريل، والسيدة رول، والسيد ماكرودن؟".

"آنستي، سيدي -من فضلكما، أنا لم أنتهِ بعد من شرح ما حدث، وحيث إن المرء لن يمكنه أن ينهي أمرًا إلا إذا بدأه من نقطة ما، فاسمحوا لي بأن أبدأ بالآلة الكاتبة. لقد استخدمت لينور لافينجتون كامل ذكائها لتحاول خداع بوارو، ولكنها لم تفلح، نعم، لقد كانت بارعة بالفعل، فلقد كانت الآلة الكاتبة التي مُنعت من فحصها عندما أتيت إلى هنا للمرة الأولى .. هي الآلة الكاتبة التي كنت أبحث عنها ذات حرف "الياء" المعيب.

"وخلال الفترة ما بين زيارتَيّ الأولى والثانية لكومبنجهام هول، فكرت لينور لافينجتون في أنه سيكون من الحكمة أن تبدو كأنها ترغب في مساعدتي قدر إمكانها، وقالت لي حال وصولي إنه يمكنني الآن أن أفحص الآلة الكاتبة، وأنها

قد اشترت واحدة جديدة مؤخرًا، وقالت لينور لافينجتون إن الآلة القديمة لم تعد تعمل جيدًا، ولكي تبدو راغبة في مساعدتي، أخبرتني السيدة لافينجتون بأنها قد احتفظت بالآلة الكاتبة القديمة، حيث *لا بد أنها هي الآلة الكاتبة التي أرغب في فحصها*، وبطبيعة الحال، كانت الآلة الكاتبة الجديدة لا تزال في المتجر لم تُبع عندما كُتبت الخطابات الأربعة، ولا يمكن أن تكون هي الآلة الكاتبة التي أبحث عنها، وأخبرتني السيدة لافينجتون بأنها قد طلبت من كينجزبيري أن يقدم إليَّ الآلتين الكاتبتين، الجديدة والقديمة، حتى يمكنني فحص كلتيهما، لقد كانت بارعة، ولكن ليس بما يكفي.

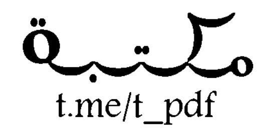
"كانت واحدة من الآلتين الكاتبتين تبدو جديدة، والأخرى تبدو جديدة عدا بعض الخدوش والشقوق- التي من السهل افتعالها، *إذن*، أجرى بوارو الفحص، ولاحظ أمرًا محيرًا، وهو أن حرف "الياء" يعمل كما من المفترض به أن يعمل في كلتا الآلتين الكاتبتين، ومن ثم، يمكن إزالة الآلتين من دائرة الشبهات، ولكن لم يكن حرف "الياء" في كل منهما هو الذي لا عيب فيه، *بل كل شيء آخر أيضًا*، فقد لاحظت أنه لا يوجد أي فارق في الجودة بين الآلتين، على الرغم من وجود الخدوش على إحداهما، *لكن كلتيهما* ربما تم شراؤها جديدة من المتجر في صباح ذلك اليوم نفسه، ففكرت في نفسي، وقلت: ماذا لو أن لينور لافينجتون قد كذبت عليَّ، وبدلًا من أن تقدم إليَّ آلة جديدة وأخرى قديمة، قدمت إليَّ آلتين كاتبتين جديدتين لفحصهما؟ لماذا قد تفعل هذا؟".

قال تيموثي لافينجتون: "قد تفعل هذا إن لم تكن تريدك أن تفحص الآلة الكاتبة القديمة *الحقيقية*، ولم تفعل؛ لأن هذا سيثبت الاتهام عليها".

قالت أيفي: "تيمي، أرجوك، ينبغي ألا تكون أنت مَنْ يقول هذا".

قال لها شقيقها: "إن الولاء الأسري هو آخر ما أفكر فيه الآن، هل أنا محق يا سيد بوارو؟".

"نعم يا تيموثي، أنت محق، لم تكن أمك بارعة بما يكفي، لقد ظنت أن إخباري بأن الآلة الكاتبة القديمة لا تعمل بصورة جيدة سيكون كافيًا، ولم تخشَ



من أنني قد أستخدم الآلتين، وألاحظ أنهما جديدتان، بسبب الخدوش العديدة التي أحدثتها في إحداهما".

"كدت أتعرض للخداع! وسألت نفسي: "هل من المحتمل أن تكون الآلة الكاتبة القديمة في حالة ممتازة، وأنها تعمل جيدًا في بعض الأحيان دون غيرها؟" كنت أطرح على نفسي هذا السؤال عندما ظهرت أنابيل تريدواي، وقالت لي: "أرى أنك قد بدأت عملية فحص الآلات الكاتبة. لقد وجهت إليَّ لينور أوامر صارمة بأن أدعك وشأنك، وأن أتركك تقوم بتحرياتك".

"لماذا قد ترى الآنسة أنابيل *آلتين* كاتبتين *وورقتين* مطبوعًا عليهما الكلمات نفسها، وتستنتج أنني قد *بدأت* عملية فحص الآلات الكاتبة، بدلًا من أنني قد أكملت الفحص؟ لا يمكنني أن أفكر إلا في سبب واحد: وهو أنها تعلم أن هناك *ثلاث* آلات كاتبة في المنزل - آلتين جديدتين، وآلة قديمة أخفتها لينور لافينجتون".

قال يوستيس كامبل براون: "لهذا السبب أخبرت السيدة لافينجتون الآنسة تريدواي بأن تتركك بمفردك، فإن كانت الآنسة تريدواي تعلم أمر شراء آلتين كاتبتين جديدتين مؤخرًا، فربما كانت ستخبرك بهذا".

"*بالضبط*، وتذكّر، لم يكن بإمكان لينور لافينجتون أن تطلب من شقيقتها أن تكذب، وإن فعلت، لشكت الآنسة أنابيل على الفور في أنها هي من كتب الخطابات الأربعة".

قالت أنابيل تريدواي في تردد: "و.. عندما طلبت مني أن ألقي نظرة على الورقتين، ولم أرَ أية فوارق بينهما..".

"لقد كنت محقة! لقد قلت لك حينها إنني قد لاحظت شيئًا مهمًّا، أليس كذلك؟ وهو عدم وجود *أية اختلافات بينهما*، فعادةً ما يكون الأمر الأكثر أهمية لملاحظته هو الأمر غير الموجود. لقد انتظرت حتى هبطت السيدة لافينجتون إلى الطابق السفلي، ولم تعد في غرفة نومها، وفتشت هذه الغرفة. وكما أملت تمامًا، عثرت على الآلة الكاتبة، وكانت موضوعة في حقيبة أسفل فراشها، وكشف اختبار سريع أنها هي الآلة الكاتبة ذات حرف "الياء" المعيب".

حدق تيموثي بغضب إلى والدته، وقال: "لقد كنتِ ستقتلينني قبل أن أولد، ولم تحبي والدي، وقتلت كينجزبيري، وكنت تريدين لخالتي أنابيل أن تُشنق لو لم يمنعك السيد بوارو من هذا، أنتِ وحش".

قال له جون ماكرودن: "هذا يكفي!".

ثم قال ماكرودن موجهًا حديثه إلى بوارو: "بغض النظر عما تشك في أن لينور قد فعلته، أعتقد أنك لا ترى أنه من المقبول أن يخاطب صبي والدته بهذه الطريقة أمام الأغراب، أليس كذلك؟".

"أنا لا أشك في أنها فعلته، يا سيدي. أنا أعرف، أخبرني -حيث إنك لست غريبًا عن لينور لافينجتون- ما الذي فعلتَه وأغضبَها منك؟".

رُسمت الدهشة على وجه ماكرودن، وقال: "أغضبها؟ كيف .. كيف تسنى .. ".

قال بوارو: "كيف تسنى لي أن أعرف ذلك؟ هذا أمر بسيط"، كان بوارو عادةً ما يقول هذا عن الأمور التي تبدو سهلةً عليه دون غيره. "كانت لينور لافينجتون تريد لأنابيل تريدواي أن تُشنق، ولكنها كانت بحاجة إلى إخفاء هدفها الحقيقي، وفعلت هذا عن طريق إرسال خطابات الاتهام نفسها إلى ثلاثة أشخاص آخرين، وكنت أنت يا سيد ماكرودن أحد هؤلاء الأشخاص الثلاثة. كانت السيدة لافينجتون تدرك أن تسلم مثل هذه الخطابات لن يكون بالشيء المبهج؛ لذا اختارت ٣ أشخاص، من وجهة نظرها، يستحقون الشعور ببعض المعاناة، ليس لدرجة أن ينالوا عقوبة الإعدام شنقًا بتهمة القتل - فهذا المصير كانت تحتفظ به لشقيقتها أنابيل فقط- بل ليشعروا بالقلق من أنهم قد يُتهمون بجريمة لم يرتكبوها؛ لذا أسألك مرة أخرى: ما الذي فعلته لتغضب ريبيكا جرايس، التي اسمها الحقيقي لينور لافينجتون؟".

نظر جون ماكرودن إلى لينور، بينما كان يقول: "لقد التقينا في منتجع شاطئ ويتبي. ريبيك -لينور كانت تقضي العطلة هناك مع أصدقائها، إنها .. أخشى من أنه لا توجد طريقة لطيفة لقول هذا، بعد أن التقينا، عرفت أنها كانت على وشك الزواج بشخص آخر، ولكننا وقعنا في الحب، وقضت معي ثلاثة أيام، لا أعلم

مـا قالته لأصـدقائها، لا أذكر بعد مرور كل هذه السـنوات، أعتقـد أنني أذكر أن مبررها لهم أنها كان عليها أن تذهب إلى مكان ما، فهل تذكرين ماذا كان مبررك يا لينور؟".

لـم تجبـه لينور، فمنذ بعض الوقت لـم يعبر وجهها عـن أي انفعال، ولم تفعل شيئًا سوى الجلوس في مكانها محدقة إلى الأمام.

ثـم تابع جون ماكـرودن حديثه، قائلًا: "في نهاية الأيـام الثلاثة لم أتحمل أن أدعها ترحل، ورجوتها أن تفسخ خطبتها وتتزوج بي، وقالت إنها لا يمكنها أن تفعل هذا، ولكنها سـتأتي إلى ويتبي لتراني كلما تمكنت من هذا، فقد كانت تريد لحبنا أن يسـتمر، ولكـن كان هذا أمـرًا لم أتمكن من تحمّله، فكـرة أن تعيش مع رجل لا تحبه أو ترغب فيه .. إنها فكرة خاطئة تمامًا، ولم أكن على استعداد لأكون شريكًا لها في خيانة زوجها".

غمغمت سـيلفيا رول: "كأن الوقوع في حب امرأة على وشك الزواج بآخر ليس فعلًا خاطئًا".

قال لها جون ماكرودن: "اصـمتي، إنك لا تعرفين شـيئًا عن الخطأ والصواب، كما أنك لا تهتمين بأن تعرفي من الأساس".

قال بوارو مخاطبًا ماكرودن: "لذا، فرضـت على السـيدة لافينجتون الاختيار بينكما، أليس كذلك؟".

"نعـم، لقـد فعلت، إما هو وإما أنـا، واختارته هو، ولامتني أنا على ذلك، فمن وجهـة نظرها، أنا مـن أنهى علاقة الحب التي كان من الممكن أن تسـتمر، والتي أرادت لها بشدة أن تستمر".

قال بوارو: "ولم تتمكن من مسامحتك، كما لم تتمكن من مسامحة سيلفيا رول لمحاولة إرغامهـا على التخلص من جنينها الذي قررت أنها ترغب في الاحتفاظ به، ولم تتمكن من مسامحة هيوجو لمعاقبته تيموثي من وقت إلى آخر على سلوكه السـيئ، وكان تيموثي يكرر تصـرفاته السيئة كثيرًا، لهذا السـبب اختارت السيد دوكيريل ليصل إليه أحد الخطابات الأربعة".

ثم سأل ماكرودن: "كيف عرفت أنني ولينور كانت بيننا علاقة حب؟ أنا لم أقل كلمة واحدة عن الأمر لأي شخص، كما لم تفعل هي ذلك، وأنا على يقين بهذا، كان من المستحيل أن تعرف شيئًا عن هذا".

"سيدي، إن معرفة هذا الأمر لم تكن عسيرة. فقد أخبرتني بذلك أنت والسيدة لافينجتون، مع القليل من المساعدة من الآنسة أيفي".

قالت أيفي: "لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا، لقد علمت بالأمر عصر أمس فقط، عندما دخل السيد ماكرودن المنزل ورأته أمي مرة أخرى، وشعرت بالكثير من الانزعاج؛ حتى أجبرتها على إخباري بكل شيء، وقبل أن يحدث هذا، لم أكن أعرف أحدًا يُدعى جون ماكرودن، ولم نتحدث معًا، أنا وأنت، منذ ذلك الحين يا سيد بوارو".

"*هذا* صحيح، ومع ذلك يا آنستي، لقد ساعدتني على معرفة السر دون أن تدركي هذا، لقد جمعت كلمات قلتها مع كلمات سمعتُها من أمك، ومن السيد ماكرودن معًا، ثم ...".

سأل ماكرودن: "أية كلمات؟ ما زلت لا أدري إن كان بإمكاني تصديق أية كلمة تتفوه بها يا بوارو".

"لقد أخبرتني، إن كنت تذكر، أن والدك لم يوافق على خياراتك في العمل، وأشرت إلى أنك عملت عامل مناجم في مكان ما في شمال إنجلترا، على الساحل، أو بالقرب من الساحل، لم يوافق والدك على هذا العمل، الذي كانت يداك تتسخان منه، ولكنك قلت *إنه لم يوافق أيضًا على عملك دون أن تتسخ يداك، في صنع الحلي وبيعها*، كان هذا تعبيرًا غريبًا، تعبير "دون أن تتسخ يداك"، لم أكن أعرف ماذا كان يعني في حينه، واعتقدت أنه ليس مهمًّا بشكل خاص؛ لذا لم أفكر فيه كثيرًا.

"كما أنني لم أدرك في البداية ما كنت تعنيه بكلمة "حلي"، لقد سمعت والدك يقول الكلمة ذاتها مؤخرًا، في واقع الأمر، قالها مشيرًا إلى زينة أعياد رأس السنة، على ما أعتقد، لكن كلمة "حلي" لها معنى آخر أيضًا، فيمكن أن تعني المجوهرات، أما بالنسبة إلى العمل "دون أن تتسخ يداك"، فقد قررت أنك كنت

تشير إلى العمل النظيف من *التعدين*، حيث إن هذا كان هو الموضوع الذي نتحدث عنه، ما كنت تحاول أن تخبرني به يا سيد ماكرودن هو أنك انتقلت من العمل في المناجم -العمل الذي تتسخ فيه يداك- إلى عمل أكثر نظافة، وهو صناعة المجوهرات من المواد التي كنت تستخرجها من المناجم في الماضي، مادة كهرمان ويتبي، أليس كذلك؟

"أخبرتني لينور لافينجتون بأنها كانت تملك سوارًا مصنوعًا من الكهرمان، أعطته فيما بعد لابنتها، الآنسة أيفي، ووصفت السوار لي بأنه من ممتلكاتها الأثيرة إلى نفسها؛ هدية حصلت عليها عندما كانت في عطلة ساحلية مع زوجها سيسيل، وعلمت من أيفي لافينجتون أن زواج سيسيل ولينور لافينجتون لم يكن سعيدًا؛ من جانبها هي على الأقل.

"ثم سألت نفسي، لماذا إذن قد تعتز بهدية أهداها إياها زوجها الذي لم تكن تحبه؟ لم تكن لتفعل! لا بد أن سوار الكهرمان قد أُهدي إليها بواسطة رجل كانت تحبه كثيرًا، وكان جون ماكرودن هو ذلك الرجل.

"كما علمت أن هناك هدية أخرى أهدتها لينور لافينجتون لابنتها: وهي مروحة يد -وصفتها هي الأخرى بأحد ممتلكاتها الأثيرة إلى نفسها، وكانت مرسومةً على المروحة صورة امرأة شعرها في لون شعر الآنسة أيفي نفسه- وكانت المرأة ترتدي *فستانًا من اللونين الأحمر والأسود*، شعر أسود، وفستان من اللونين الأحمر والأسود؟ يبدو هذا بالنسبة إليَّ أنه يشبه كثيرًا *فنانة استعراضية إسبانية*، لقد رأيت مثل هذا الرسم على مراوح يد السيدات التي أُحضرت باعتبارها هدايا تذكارية من أوروبا، ووصل إلى علمي، من رولاند ماكرودن، أن ابنه يمتلك منزلًا في إسبانيا- وإنه يحب هذه البلاد ويزورها باستمرار. فتساءلت: هل جون ماكرودن هو من أعطى لينور لافينجتون هذه المروحة خلال الأيام الثلاثة التي قضياها معًا؟ وقررت أن هذا ليس ممكنًا فحسب، بل من المحتمل، وإلا ما السبب الآخر الذي قد يجعل مروحة يد عادية من المقتنيات الثمينة بالنسبة إليها؟ لم تسامح لينور لافينجتون جون ماكرودن، كما نعلم - ولكنها احتفظت بهذه الهدايا العزيزة التي أعطاها إياها، وهذا مثال على الطبيعة المعقدة للحب!".

وافقه المحقق هيربرت ثرابويل قائلًا: "إنه أمر معقد بالفعل، لا يمكن للمرء أن ينكر هذا يا سيد بوارو".

ثم استطرد بوارو حديثه قائلًا: "سوار الكهرمان ومروحة الفنانة الاستعراضية الإسبانية، ربما كان هذان الشيئان مجرد مصادفة بالطبع، ولم يكونا دليلًا قاطعًا على أن جون ماكرودن ولينور لافينجتون يعرف كل منهما الآخر، ثم فكرت: يمكن الربط بين لينور لافينجتون وسيلفيا رول، عبر فريدي، وربطها بأنابيل، شقيقتها، وربطها بهيوجو دوكيريل، المدرس ورئيس مبنى ابنها في المدرسة، فلِمَ لا يكون هناك رابط بينها وبين جون ماكرودن أيضًا؟ وبدلًا من أن يكون هو الشخص الغريب الوحيد، قررت أن الكعكة من المرجح أن تكون قطعة كاملة، غير مقسمة..."، ثم أشار بوارو بصورة مسرحية إلى الطبق الموضوع على الطاولة، وقال: "ولا يوجد أحد غريب فيها، حيث *إن لينور لافينجتون كانت تعرف الجميع*".

سألها المحقق ثرابويل: "هل لديك شيء لتقوليه عن هذا يا سيدة لافينجتون؟".

لم تصدر منها أية حركة، ولم تنطق أيضًا أية كلمة.

قال جون ماكرودن في ثورة: "لن أسمح لكم بأن تشنقوا المرأة التي أحبها بتهمة القتل، أيًا كان ما فعلته! لا يهمني إن كنتِ لا تزالين غاضبةً مني بعد مرور كل هذه السنوات يا لينور، أنا أحبك بقدر حبي نفسه لك في ذلك الحين، قولي شيئًا بحق السماء!".

قال رولاند ماكرودن: "بوارو، لا أزال لا أفهم سبب حاجتها إلى أربعة خطابات، إن كانت السيدة لافينجتون تريد أن ترى الآنسة تريدواي تنال عقوبة بتهمة قتل جدها، فلماذا لم ترسل خطابًا واحدًا إلى شقيقتها؟".

"هذا يا صديقي؛ لأنها كانت ترغب في إخفاء حقيقة أنها من يتهم شقيقتها، فلم تكن لينور لافينجتون واثقة بنجاح خطتها، وأن الآنسة تريدواي ستُشنق، وإن لم تنجح الخطة، فقد كانت تريد أن تظل حرة لتجرب خطة مختلفة، ربما كان ذلك نوعًا آخر من الانتقام، إذ حينها ستكون في وضع أفضل لتدبير خطة جديدة أكثر براعة إن لم تعلم الآنسة أنابيل أنها العدو الذي يجب أن تخشاه، فإن المرء إذا خشي من شخص ما، فإنه سيتخذ احتياطاته، ولم تكن لينور لافينجتون ترغب

فــي أن تتخــذ أنابيل هذه الاحتياطــات، وكانت تريد أن تأخذ شــقيقتها *على حين غرة.*

إن كانــت الوحيدة التي تم اتهامها بالقتل، فربما كانت أنابيل تريدواي لتســأل نفســها: "من الذي قد يفعل أمرًا كهذا بي؟ ولماذا؟"، وعلى النقيض، إن ســمعت من هيركيول بوارو أن هناك *أربعة* أشخاص قد تم اتهامهم بقتل بارناباس باندي، فقــد يبدو الأمر بالنســبة إليها أنه اتهام من شــخص لا تعرفه من قبلُ، وســيبدو الأمر بالنســبة إلى الآنســة أنابيل أن من اتهمها من المؤكد أنه *ليس* شقيقتها بكل تأكيــد، التي تعــرف أنها لا يمكن أن تكون قد قتلت جدهمــا؛ لأن كلتيهما كانت في غرفة أخرى معًا عندما مات، حســنًا، كانت لينور لافينجتون محمية من الشــكوك في كونها الشــخص الذي ألقى الاتهامات، وظلت ضــحيتها تثق بها، ومن ثم غير محصنة، وهكذا كانت تريدها لينور لافينجتون أن تبقى".

قال جون ماكرودن: "مهلًا لحظة، هل كانت لينور وأنابيل معًا في غرفة واحدة عندمــا توفي جدهما؟ هل أخبرتــك لينور بهذا؟"، بدا الحماس جليًّا في صــوته، ولكنني لم أتبين سبب ذلك.

قال بوارو: "نعم *يا سيدي*، لقد أخبرتني النساء الثلاث بذلك، وهي الحقيقة".

قال ماكرودن: "إذن لقد منحت لينور، أنابيل، حجة غياب، لماذا قد تفعل ذلك إن كنت تقول إنها تريدها أن تُشنق؟".

نظــر بوارو إلــى رولاند ماكرودن، وقال: "أنا واثق بأنك قادر على إيضــاح هذا الأمر لابنك *يا صديقي*".

قــال رولاند ماكرودن: "إن المذنبين يحاولون أن يبــدوا كأنهم لا يفعلون الأمر *الذي* يفعلونه في الحقيقة؛ أي الأمر الذي هم مذنبون بارتكابه، فإن كانت السيدة لافينجتون تأمل أن تُتهم شقيقتها بالقتل، فما هو أفضل من أن تتظاهر بأنها تفعل النقيض عبر الدفاع بقوة عن الآنسة تريدواي، ومنحها حجة غياب؟".

قالــت جايــن دوكيريل في نفاد صــبر: "هــل ســيطرح أحدكم الســؤال الأكثر أهمية؟".

قــال تيموثــي لافينجتون: "ســأطرحه أنا، لمــاذا ترغب أمي من الأســاس في الانتقام من خالتي أنابيل يا ســيد بوارو؟ ما الأذى الذي ســببته خالتي أنابيل يومًا لأمي؟".

الفصل ٣٦

الجاني الحقيقي



التفت بوارو نحو أنابيل تريدواي، وقال: "آنسة، إنك تعلمين تمام العلم الإجابة عن سؤال ابن شقيقتك".

قالت أنابيل تريدواي: "أنا أعلم بالفعل، إنه أمر لا يمكنني نسيانه".

قال بوارو: "بالفعل، إنه سر احتفظت به طوال سنوات، وألقى بظله على حياتك كلها، ظل الشعور الفظيع بالذنب والندم".

قالت: "لا، ليس الندم، فلم يكن أمرًا قررت فعله عامدةً، بل إنه أمر حدث دون قصد، أعلم أنني من تسبب في حدوثه، ولكن، كيف يمكنني أن أندم عليه على الرغم مَنْ أنني لا أذكر أنني اتخذت قرارًا بشأن فعله؟".

قال بوارو: "إذن، ربما كنت تشعرين بالمزيد من الذنب؛ لأنك لا تعلمين ما إذا كنت ستتصرفين بشكل مختلف، إن وجدت نفسك في الموقف نفسه اليوم".

قالت جاين دوكيريل: "هلَّا يفسر أحدكما ما تقولان من فضلكما؟".

قالت أيفي لافينجتون: "نعم، فسر الأمر لننهي هذه المسألة يا سيد بوارو، بالنسبة إلى الكثيرين منا، لا تعتبر تلك تجربة مبهجة. وأتقبل فكرة أنه من الضروري ذكرها، ولكن لا تتطرق إلى الكثير من التفاصيل قدر الإمكان".

"حسنًا يا آنسة، سأخبر الجميع بالسر الذي أخبرتك به والدتك أمس، قبل أن يستمع كينجزبيري ما كنتما تقولانه من خلف الباب".

"قبل فترة قصيرة من وفاة بارناباس باندي، أيتها السيدات وأيها السادة، كانت العائلة مجتمعة على العشاء في هذا المنزل، وعلى الطاولة كان يجلس السيد باندي ولينور وأيفي لافينجتون وأنابيل تريدواي، ووبخت السيدة لافينجتون أيفي؛ لأنها تأكل كثيرًا، وخلال رحلة قامتا بها إلى الشاطئ قبل عدة أشهر، قالت لها إن ساقيها تشبهان جذعي شجرة، وقصّت أيفي لافينجتون هذه القصة في أثناء العشاء وهي غاضبة، وكانت والدتها قد أهانتها مرتين في تلك اللحظة، وانتهت وجبة العشاء نهاية بائسة: فقد تركت النساء الثلاث طاولة الطعام غاضبات، وكذلك كان بارناباس باندي يشعر بالحزن، كان كينجزبيري الراحل قد أخبرني بأنه وجد السيد باندي جالسًا بمفرده إلى طاولة العشاء، يبكي.

"والآن، يجب أن أعود بالأحداث إلى حين كانت أيفي لافينجتون طفلة صغيرة، حين أخذتها أنابيل تريدواي للتنزه إلى جوار النهر، وذهب معهما الكلب سكيتل، فقد رأت الآنسة أيفي أنه من الممتع أن تتدحرج على ضفة النهر، وحينها أحس سكيتل على الفور بوجود خطر، وانطلق مسرعًا نحو ضفة النهر محاولًا إنقاذها، ولكنه فشل في إيقاف تدحرجها نحو الماء، بل خمش وجهها وتسبب في الندوب التي لا تزال موجودة حتى يومنا هذا، وسرعان ما كانت الآنسة أيفي تصارع الأمواج، وكادت تغرق، وكان على أنابيل تريدواي أن تقفز في هذه المياه الفتاكة لتنقذها، كان التيار قويًّا للغاية، وخاطرت الآنسة أنابيل بحياتها لتنقذ ابنة شقيقتها".

"والآن يا أصدقائي علينا أن نتقدم في الزمن مرة أخرى وصولًا إلى الرحلة إلى الشاطئ التي ذكرتها منذ قليل، كانت لينور وأيفي لافينجتون قد اصطحبتا معهما الكلب هوبسكوتش إلى الشاطئ؛ لأن أنابيل تريدواي كانت طريحة الفراش بسبب إصابتها بالإنفلونزا، وكانت الآنسة أيفي تحب السباحة في البحر، ولم تسمح لذلك الحادث الذي كاد يودي بحياتها بأن يجعلها تخشى من الماء".

قال يوستيس كامبل براون: "هوبسكوتش؟ أعتقدت أن اسم الكلب كان سكيتل".

"إنهما كلبان مختلفان يا سيدي، فلم يعد سكيتل معنا، وحل محله الكلب هوبسكوتش من فصيلته نفسها".

انهمرت الدموع من عيني أنابيل تريدواي، وهي تقول: "*حل* محله؟ لا يمكن لأحد أن يحل محل سكيتل، مثلما لن يمكن لأحد أن يحل محل هوبسكوتش عندما... عندما... أوه!"، ثم دفنت وجهها بين يديها.

"معذرة يا آنسة، لقد تحدثت دون مراعاة".

قال رولاند ماكرودن: "حسنًا إذن، إنهما كلبان مختلفان الآن، ولكن، أعتقد أن هذا ليس الوقت المناسب للتفكير في *أية* كلاب".

قال له بوارو: "أنت مخطئ، إن الكلب - أو لتحري الدقة، سكيتل الراحل- هو الكائن الذي يجب علينا أن نفكر في أمره".

"لماذا بحق السماء؟".

"سأشرح لكم الآن، في يوم الرحلة إلى الشاطئ، كانت لينور وأيفي لافينجتون تجلسان بالقرب من بعض الأشجار، وكان هوبسكوتش يعدو نحوهما بعدما سبح في البحر قليلًا، وعندما رأت ساقي الكلب المبتلتين، اللتين تبدوان أنحف كثيرًا مما كانتا وهما جافتان، تذكرت الآنسة أيفي اليوم الذي كادت تغرق فيه، وانهالت عليها الذكريات، ذكريات لم تكن تدرك وجودها حتى تلك اللحظة، وأخبرت أمها بأنها، بينما كانت تصارع الأمواج، وقد انتابها الذعر، خلطت بين ساقي الكلب، وجذوع الأشجار على ضفة النهر، على الرغم من استحالة هذا التشابه؛ لأن ساقي الكلب نحيلتان للغاية، وتتحركان، وليستا ثابتتين، ثم وصلت أنابيل تريدواي لنجدتها، ورأت الآنسة أيفي جذوع الأشجار *الحقيقية*: التي كانت سميكة وثابتة، وأدركت أن ما رأته كان ساقي سكيتل وليس جذوع أشجار على الإطلاق.

"عادت إليها هذه الذكرى بكل وضوح في ذلك اليوم على الشاطئ بعد أعوام، بفضل ساقي هوبسكوتش المبتلتين، وأخبرت أيفي والدتها بالقصة، وبينما كانت تستمع أدركت لينور لافينجتون أمرًا ما، أمرًا لم تدركه الآنسة أيفي نفسها.. وظلت جاهلةً به حتى اعترفت لها والدتها بكل شيء أمس خلال المحادثة التي سمعها كينجزبيري مصادفةً".

سأل رولاند ماكرودن، وقد بدا عليه الآن توقه الشديد إلى أن يفهم: "*ما* الذي أدركته السيدة لافينجتون؟". كنت أنا أيضًا أشعر بالتوق نفسه إلى الفهم.

قال بوارو: "أليس الأمر واضحًا؟ لم تكن ساقا سكيتل ستصبحان على ضفة النهر -وتراهما الآنسة أيفي - إلا إذا كانت أنابيل تريدواي - وقبل أن تنقذ ابنة أختها - قد أخرجت سكيتل من الماء أولًا، لا يوجد استنتاج منطقي آخر عدا هذا، ولا بد أنها *قد أنقذت كلبها أولًا، وبعد هذا أنقذت الآنسة أيفي*".

بمجرد أن تفوه بوارو بهذه الكلمات، أدركت ما يعنيه، وقلت: "إن كان سكيتل قد فشل في إيقاف تدحرج أيفي لافينجتون نحو مياه النهر، لم يكن ليستسلم ويقف على ضفة النهر منتظرًا ما يحدث، ولم يكن أي كلب وفيٍّ ليفعل هذا، بل كان سيقفز إلى الماء، ولم يكن ليتوقف عن محاولة إنقاذ أي فرد من العائلة معرض للخطر، أيًّا كان".

قال بوارو، وقد بدا أنه فخور بي، على الرغم من أن كلًّا منا كان يعلم أنني لم أكن لأكتشف هذا بمفردي: "بالضبط *يا صديقي*، وبمجرد أن قفزت صاحبته، الآنسة أنابيل، إلى الماء أيضًا، كان سكيتل قد أصبح أكثر إصرارًا على مواصلة مهمة الإنقاذ، ولم يكن ليبتعد عن الماء بخياره، وبخاصة إن كان لا يزال شخصان يحبهما في خطر، كانت حياته هو أيضًا معرضة للخطر، لذا، وبسبب التيار القوي السريع، كان ثلاثتهم عرضة لأن يلقوا حتفهم".

قال رولاند ماكرودن: "وإن كانت أيفي لافينجتون قد رأت ساقي سكيتل نحيلتين ومبتلتين على ضفة النهر، فلا بد من أنه كان قد دخل إلى المياه في وقت ما، وأنت محق يا بوارو، لا يوجد كلب يقرر أن ينقذ نفسه، وأن يعود إلى ضفة النهر في مثل هذا الموقف، لا بد من أن هناك شخصًا أخرجه من المياه، و.. وربطه إلى شيء ما".

"نعم، لقد ربطته أنابيل تريدواي بإحكام لتمنعه من القفز إلى النهر، وتعريض نفسه إلى الخطر مرة أخرى، ثم بعد هذا، عادت إلى المياه لتنقذ الآنسة أيفي، إنكِ لم تلحظي دلالة ذكرياتك يا آنسة عندما وصفتها لوالدتك، ولكنها أدركت دلالتها، لقد أدركت دلالتها على الفور، لقد تخيلت ساقي سكيتل المبتلتين على ضفة النهر، بينما كان يحاول جاهدًا أن يتخلص من قيده الذي قيدته به صاحبته، لقد أدركت ما يعنيه هذا تمامًا، ولكن هنا تكمن المعضلة..

"هل سألت لينور لافينجتون نفسها إن كانت شقيقتها تعاملت مع الكلب بهذه الطريقة؛ لأنه يتخبط بقوة في الماء لدرجة أنه كاد يتسبب في فشل محاولتها لإنقاذ ابنة أختها؟ إن كانت *هذه* هي الحالة، ألم يكن من الأفضل أن تقول الآنسة أنابيل الحقيقة؟ نعم، كان عليها أن تفعل -إذن، فالعكس هو الصحيح. لقد كانت أنابيل تريدواي تهتم بحياة كلبها أكثر من حياة ابنة شقيقتها، واختارت أن تنقذ سكيتل أولًا، وبهذا تكون قد خاطرت بحياة الآنسة أيفي، كان من الممكن أن تكون أيفي قد غرقت خلال الفترة التي استغرقتها أنابيل لتضع سكيتل على بر الأمان".

في هذه اللحظة، كانت أنابيل تريدواي تنتحب، ولكنها لم تحاول إنكار أي مما قاله بوارو.

تحدث إليها بوارو بعطف قائلًا: "أنت يا آنسة، خلال لقائنا الأول، أخبرتني بأن أحدًا لن يفكر كثيرًا إن مات شخص مسن، ولكن إن مات طفل، فسيرى الجميع أن هذا مأساة. هذا كان شعورك بالذنب يتحدث، لقد كنت تتألمين؛ لأن الحياة التي خاطرت بها كانت حياة طفلة صغيرة أمامها الكثير من الفرص في الحياة، وسنوات عديدة لتعيشها، وكنت تدركين أن المجتمع سيحكم عليك بقسوة شديدة على هذا التصرف، لقد كانت مصادفة غريبة .. عندما تحدثت إلى زوجة ابن فينسنت لوب، عدو جدك اللدود الذي كان يسعى أخيرًا إلى التصالح معه، إن أسوأ شيء هو أن *يفعل المرء التصرف الصحيح بعد فوات الأوان*، وكان هذا ما فعلته يا آنسة: لقد أنقذت حياة ابنة شقيقتك، ولكن بعد فوات الأوان".

قالت أنابيل باكية: "وظللت أتعذب منذ ذلك الحين".

"لقد أخبرتني خلال لقائنا الأول بأنك قد "أنقذت أكثر من حياة"، ثم صححت على الفور ما قلت، أو هكذا بدا لي، وقلت إنها حياة واحدة التي أنقذتها: وهي حياة الآنسة أيفي، واعتقدت حينها أنك شعرت بالإحراج من مبالغتك في الوصف، وأنك كنت تريدين أن تكوني دقيقة للغاية، وألا تنسبي إلى نفسك فضلًا أكبر مما تستحقين، ولكن، بعد فترة، فكرت في أنه ربما كان هناك احتمال آخر، ويحمل القدر نفسه من المنطقية: وهو *أنك بالفعل أنقذت أكثر من*

حيـاة، *ولكنـك أردت إخفاء هـذه الحقيقة*، كانت كلماتك الأولـى، *أكثر من حياة*، بصيغة الجمع هي الحقيقة.

"وخـلال حديثي مع الآنسـة أيفـي أتتني هذه الفكرة، كنـت حينها أعلم أن هنـاك من يحاول تلفيـق تهمة القتل لأنابيل تريدواي لتُشـنق، وكنـت أتحدث عن الحاجة إلى إنقاذ حيوات الناس، وسألتني الآنسة أيفي عما إذا كانت حياة شخص واحد أم حياة أكثر من شـخص تلك التي بحاجة إلـى إنقاذ، وأخبرتها بأن هناك حياة واحدة فقط معرضـة للخطر، وبالطبع لم أكن أعلم أن كينجزبيري سـيُقتل، ولاحظت أن حديثي مع الآنسـة أيفي قد ذكرني بأمر ما، وتسـاءلت عما يكون، ولم يسـتغرق الأمر مني إلا لحظات فقط من أجل حل اللغز: كان ما تذكرته هو لقائي الأول بأنابيـل تريـدواي، وحوارنا عن إنقاذ الحيوات، أو ربمـا إنقاذ حياة واحدة، وفجأة، وفي ضـوء ما اسـتنتجته عـن اليوم الذي كادت الآنسـة أيفـي تغرق فيه، وجدت أن ما قالته الآنسة أنابيل عن إنقاذ أكثر من حياة كان منطقيًّا".

لم أتمكن من منع نفسي عن هز رأسي مبهورًا بطريقة بوارو في التفكير، وبدا الانبهار في عيون الآخرين أيضًـا، وجلسـنا جميعًا متسـمّرين في أماكننا، نستمع إلى ما يقول.

"عندما التقينا للمرة الأولى، وبعد أن تسـلمت خطابًا كانت تعتقد أنني مَنْ وجهتـه إليها، والذي يتهمها بقتل السـيد باندي، قالت أنابيل تريدواي شـيئًا آخر رأيـت أنه غير معتاد؛ فقـد قالت: "لا يمكنك أن تعرف.."، ثم أوقفت نفسـها عن الاسترسال في الحديث قبل أن تقول أي شيء آخر، كانت تشعر بأنها تستحق، من الناحية الأخلاقية، أن يصـل إليها خطـاب يتهمها بالقتل، على الرغم من أنها لم تقتل أحدًا، وأن الآنسـة أيفي لم تمت في ذلـك اليوم في النهر. ما كانت تعنيه هو أننـي أنا، هيركيول بوارو، *لا يمكننـي أن أعرف* ما إذا كانت مذنبة أم لا، كان هذا مستحيلا".

"لـن تتمكـن أبدًا من التوقف عن اعتبار نفسـها مذنبة، أيتها السـيدات وأيها السـادة، لقد بذلت قصـارى جهدها لكي تكفر عن ذنبها، وقد أخبرتني يا سـيد دوكيريـل بأنها رفضـت عرضـك للزواج بهـا، وقالت إنهـا غير مؤهلـة للاعتناء

بالصبية في مدرسة تورفيل، وهذا أيضًا أصبح مفهومًا الآن: إنها لا تعتقد أنها يمكن أن تكون مسئولة عن رعاية الأطفال؛ لذا لم تسمح لنفسها بأن تتزوج وتُرزق بأطفال من صلبها، وفي الوقت نفسه، أصبحت شغوفة للغاية بابني شقيقتها، وأغدقت عليهما كل الحب الكامن في قلبها، في محاولة منها للتعويض عن فشلها الذي احتفظت به سرًّا طوال هذه السنوات".

قال رولاند ماكرودن: "لا بد أنه كان هناك الكثير من الخوف، فضلًا عن الذنب، فربما تمكنت الآنسة لافينجتون من تذكر ما حدث لها في النهر في أية لحظة".

وافقه بوارو، قائلًا: "لا شك في أن هذا قد يحدث، وهذا ما كانت أنابيل تريدواي مرعوبة منه، ثم بعد عدة سنوات، تحققت أسوأ مخاوفها، فخلال ذلك العشاء الكارثي، قصت الآنسة أيفي قصتها عن ملاحظة جذوع الأشجار، ورأت أنابيل تريدواي في وجه شقيقتها أنها تعلم الحقيقة، وأنها كانت تعلمها منذ ذلك اليوم على الشاطئ، وأدرك السيد باندي أيضًا دلالة ذكرى الآنسة أيفي المكتشفة حديثًا، وأدركت أنابيل تريدواي هذا أيضًا".

التفت بوارو نحو أيفي لافينجتون، وقال لها: "ربما كنت يا آنسة أيفي الوحيدة على تلك الطاولة في تلك الليلة التي تعتقد أن الأمر برمته يدور حول السيقان والبطاطس، وحول رأي والدتك في حجمك وشكل جسمك، وهو ما أثار هذه المشكلة، أما الثلاثة الآخرون حول الطاولة، فكانوا يفكرون في أمر مختلف تمامًا".

قالت أيفي: "نعم، لم أكن أملك أدنى فكرة عن هذا، وعلى الرغم من هذا، خالتي أنابيل، كان يجدر بك أن تخبريني بالحقيقة بمجرد أن أصبحت كبيرة بما يكفي لأستوعبها، كنت سأسامحك، وأنا أسامحك *بالفعل*، أرجو ألا تشعري بالذنب أكثر من هذا؛ لن يمكنني تحمل هذا، إنه مضيعة للوقت، ولقد عذبت نفسك بما يكفي بالفعل، أعلم أنك تشعرين بالأسف، وأعلم أنك تحبينني، وهذا كل ما يهمني".

قال لها بوارو: "يؤسفني أن شعور خالتك بالذنب لن يمكنه أن يتلاشى بهذه السهولة، فمن دُونه، أخشى من أنها ستشعر بالضياع، إنها لن تعرف نفسها على الإطلاق، فبالنسبة إلى أغلب الناس، يعتبر هذا احتمالًا مخيفًا للغاية، ولو مجرد التفكير فيه".

قالت أنابيل: "قد تسامحينني أنت يا أيفي، لكن لينور لن تسامحني أبدًا، وكذلك جدي.. لم يتمكن من مسامحتي أيضًا، وكان سيحرمني من الميراث في وصيته، ويتركني معدمة".

"كانت هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير بالنسبة إليك يا آنسة، أليس كذلك؟ هذا ما جعلك تقررين الذهاب إلى سكوتلانديارد، وتعترفين بقتل السيد باندي، على الرغم من أنك تعلمين أنك بريئة".

أومأت أنابيل برأسها، وقالت: "*كنت* قد فكرت: "إن كان جدي قد قرر أن يعاملني بهذه الطريقة، إن كان كل عطفي وإخلاصي طوال السنوات الماضية بلا طائل .. فلم لا أُعدم شنقًا أيضًا بتهمة القتل، ربما كان هذا ما أستحقه تمامًا".

ولكن، حبيبتي أيفي، أريدك أن تعلمي هذا: في ذلك اليوم إلى جوار النهر، كنت مثل المجنونة، أدركت أنني اتخذت *خيارًا خاطئًا* فقط بعدما قيدت سكيتل إلى عمود من خلال الرسن الخاص به، كان الأمر يشبه الاستيقاظ من حلم، بل من كابوس! وكنت أنت لا تزالين تصارعين الأمواج، وأنقذتك *بعد ذلك* بالطبع، ولكن .. لا أستطيع أن أتذكر حينها، ولا يمكنني أن أتذكر الآن أنني قررت ألا أنقذك أولًا، لا أذكر هذا حقًا".

سألت لينور لافينجتون: "كم كان عمر سكيتل في ذلك الوقت؟".

سمعت بعض الحضور يشهقون، فقد مرت فترة طويلة للغاية منذ أن تحدثت آخر مرة.

"كان في الخامسة من عمره، أليس كذلك؟ كان سيعيش، على أقصى تقدير، سبع سنوات أو ثماني أخرى، وأعتقد أنه مات عندما كان في العاشرة من عمره، في واقع الأمر، لقد خاطرت بحياة ابنتي، حياة ابنة شقيقتك، لكي تنقذي كلبًا لم يكن ليعيش إلا خمس سنوات أخرى".

قالت أنابيل بصـوت خافت: "أنا آسـفة، ولكن .. لا تتظاهري بأنك لا تعرفين شـيئًا عن *الحب*، يا لينور، وماً الذي يمكنه أن يجبر المرء على فعله، لقد سـمعنا جميعًا بعلاقة الحب التي جمعتك بالسـيد ماكرودن، الذي قضـيت معه ثلاثة أيام فقـط، ولكنك أحببته بجنون، أليس كذلـك؟ ويمكنني أن أرى -على الرغم من أن أحدًا آخر لا يسـتطيع ذلك؛ لأن أحدًا لا يعرفك مثلمـا أعرفك أنا- أنك *لا تزالين* تحبينه، لقد أحببت سكيتل، على الرغم من قصر *عمره*".

ثـم التفتت أنابيل نحو بوارو، وقالت: "إنه الحب! الحب هو الجاني الحقيقي يا سـيد بوارو، لماذا حاولت شقيقتي أن تلصق تهمة القتل بي؟ بسبب إصرارها على الانتقـام من خطأ ارتكبته في حق ابنتها منذ سـنوات؛ وهذا بسـبب *حبها لابنتها* الشديد، لقد ارتُكبت الكثير من الآثام والجرائم باسم الحب".

قـال رولانـد ماكـرودن: "قد يكون هذا صـحيحًا، ولكـن هل يمكننـا أن نؤجل الحديـث عـن الأمـور العاطفيـة، وأن نلتزم بالحقائـق بعض الوقت؟ في رسـالته إليك يا بوارو، كتب كينجزبيري أنه سمع الآنسة لافينجتون تقول لمن تتحدث معه -والذي نعلم الآن أنه كان والدتها، السـيدة لافينجتـون- أن الجهل بالقانون ليس دفاعًـا يُعتـد به، هل لي أن أسـأل، ما علاقة هذا بموضـوعنا؟ في أي موقف، وفي أية علاقة بماذا، ادعت السيدة لافينجتون جهلها بالقانون؟ معذرة إن كان السؤال متحذلقًا".

ابتسـم لـه بوارو، وقال: "صـديقي، إن هيركيـول بوارو هو من يجـب أن يكون متحذلقًـا، فما كتبه كينجزبيري في رسـالته لي كان أنه سـمع الآنسـة أيفي تقول *عبارات مفادها أن* الجهل بالقانون ليس دفاعًا يُعتد به، ويعني هذا أن هذه الفكرة ربما قيلت بكلمات مختلفة، أليس كذلك؟ *كلمات تعطي المعنى نفسـه*. تذكَّر أيضًا أن كينجزبيري قد كتب "جون مودن" بدلًا من "جون ماكردون"، إنه لم يكن يشغل نفسه كثيرًا بدقة اللغة أو الأسماء".

قال رولاند ماكرودن: "صحيح، صحيح، ولكن، بغض النظر عن صياغة الآنسة لافينجتـون للأمـر، لا بد أنها كانت تعلـم أن والدتها تعلم - مثـل أي من مواطني

هـذه البلاد - أن اتهام شـخص ما زورًا بالقتل، ومحاولـة زرع الأدلة التي تدينه، أمـر يعاقب عليه القانون، ولن يكون معقولًا أن يقول شـخص ما: "معذرة سـيدي القاضي، لم أكن أعلم أن هذا التصرف غير مسموح به، وأن الجميع يرونه مخالفًا للقانون"".

قالت جاين دوكيريل: "ألم تكن هذه هي الملحوظة نفسـها التي سُمعت الآنسة أيفـي وهي تقولهـا لوالدتهـا؟ إن ادعاء الجهـل بالقانون *لن* يكون مقبـولًا في أية محكمة باعتباره دفاعًا يعتد به؟".

"يمكنني فهم سبب تفكيرك في هذا يا سيدة دوكيريل، مثلما يمكنني أن أفهم منطق الملحوظة التي عرضها السيد ماكرودن، ولكن جانبي هذا الحوار لا علاقة لهمـا بالأمر، حيث إن كلًّا من لينور وأيفي لافينجتون لم تتحدثا *على الإطلاق* عن الدفاع عن نفسهما باستخدام حجة الجهل بالقانون، أو عما إذا كان سيجدي نفعًا في هذه الحالة أم لا، إنهما لم تتحدثا عن هذا الأمر بتاتًا".

سأل المحقق ثرابويل: "ما الذي تعنيه بأنهما لم تتحدثا عنه يا سيد بوارو؟ لقد كتب السيد كينجزبيري في رسالته لك أنه سمع-".

"نعم، نعم. دعني أوضـح لك ما سـمعه كينجزبيري، فالأمر بسـيط للغاية: لقد سـمع الآنسـة أيفي تحذر والدتها من أن سرها سيُكشف قريبًا، حيث إنها هي الشـخص الوحيد الذي على علاقة بالأشـخاص الأربعة الذيـن تلقوا الخطابات، وإنني أتخيل أنها قالت شيئًا على غرار: "سيُكتشف في القريب أنك وجون ماكرودن يعرف كل منكما الآخر، وأن ابن سـيلفيا رول، فريدي، يدرس في مدرسـة تيموثي نفسـها، *لذا، لن يكون مجديًا أن تقولي إنك لا تعرفين*، حيث إن هذا لا طائل منه، ولن يصدقك أحد"، توقف بوارو عن الحديث، وهز كتفيه، ثم قال: "أو كما كتب كينجزبيري في رسالته المفيدة للغاية، "عبارات مفادها"".

كررت في سـري هامسًـا: "رول، لم تكـن أيفي تتحدث عـن القانون، بل كانت تتحدث عن عائلة رول والتي قد يعني اسمها القانون".

قال رولاند ماكرودن: "فهمت، شكرًا لك على التوضيح يا بوارو".

"العفو يا صـديقي. والآن، لا يزال هناك أمر واحد يحتاج إلى توضـيح، سـيدة لافينجتـون، هناك أمر لا بد أن أخبرك به، وأعتقد أنه سـيهمك كثيرًا، لقد ظللت جالسـة في صبر تسـتمعين إليَّ وأنا أفسـر للجميع أمورًا تعرفينها تمام المعرفة، والآن، لديَّ مفاجأة لك.. ".

الفصل ٣٧

الوصية



قال جون ماكرودن: "دعنا نسمع المفاجأة إذن يا بوارو، ما اكتشافك الأخير؟"، كان يتحدث في تهكم كأن كل ما قاله بوارو إلى الآن كذبٌ وافتراءٌ.

قال بوارو: "لم يكن بارناباس باندي ينوي حرمان الآنسة أنابيل من الميراث، على الإطلاق! كانت الحفيدة التي ينوي حرمانها من الميراث هي لينور لافينجتون".

قالت أنابيل: "لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا، لقد كان يحب لينور كثيرًا".

قال بوارو: "لقد أجريت تجربة صغيرة، ليس على الآلة الكاتبة هذه المرة، بل على أشخاص، هناك امرأة تعمل في مكتب شركة رولاند ماكرودن -امرأة كان ينزعج منها منذ فترة، ويجدر بالمرء أن يقول، دون سبب وجيه".

شعرت بأنني ملزم بأن أقول: "إنها امرأة من الصعب التعامل معها".

قال بوارو: "هذه المرأة اسمها إيمرالد مايسون، ومن أجل اختبار نظريتي عن توجه بارناباس باندي نحو أنابيل تريدواي، وكيف أن هذا التوجه ربما أثر في سلوكه تجاه عدوه القديم فينسنت لوب، لقد مارست خدعة صغيرة على السيد ماكرودن، لقد أخبرته بأن إيمرالد مايسون قد وقع لها حادث سيارة رهيب، وأنها

ستفقد ساقيها، لم يكن هذا صحيحًا، وسرعان ما أخبرته بأنني قد ابتكرت هذه الخدعة الصغيرة، ولكن قبل أن أفعل، اعتذر السيد ماكرودن إلى كاتشبول على تصرفه معه بفظاظة، بينما كانا آتيين معًا من لندن، حيث إنه لم يكن ودودًا على الإطلاق طوال الرحلة، وغيَّر رولاند ماكرودن سلوكه على الفور بمجرد أن سمع أن الآنسة إيمرالد المسكينة ستفقد ساقيها، وأصبح رجلًا متواضعًا، أنبه ضميره، وتمكن من رؤية كيف أنه كان قاسيًا مع من حوله حتى تلك اللحظة.

"لماذا حدث هذا التغير؟ لأن رولاند ماكرودن شعر بذنب كبير، حيث أدرك أنه كان يتعامل بقسوة غير مبررة مع تلك المرأة الوديعة، التي تعرضت الآن لمصير مريع، وشعر بأنه المسئول عن هذا، كأن مصيرها المأساوي هذا كان خطأه، وهذا قاده على الفور إلى التفكير في الأشخاص الآخرين الذين ربما تعامل معهم بقسوة، وعلى الفور قفز كاتشبول إلى ذهنه؛ لذا اعتذر رولاند ماكرودن إليه، وهو الأمر الذي لم يكن ليحدث لو أنني لم أخترع قصةً عن فقدان الآنسة إيمرالد مايسون ساقيها".

قال هيوجو دوكيريل: "سيقان مرة أخرى، يا إلهي!".

ابتسم بوارو له، وقال: "ربما كنت محقًّا يا سيدي، ربما لعب تأثير العقل الباطن دورًا في هذا، على أية حال، عندما سمعت رولاند ماكرودن يعتذر إلى كاتشبول، أدركت على الفور سبب الارتفاع المفاجئ لروح بارناباس باندي المعنوية؛ الأمر الذي لاحظه محاميه بيتر فاوت، وأدركت أن السبب في هذا كان فهمه، أخيرًا، للألم الذي شعرت به حفيدته الخجول الحزينة، التي كثيرًا ما كان قاسيًا في الحكم عليها، وكان يرى أنها معيبة، واستوعب فجأة كم ظلت تعاني طوال سنوات، وندم كثيرًا على أحكامه الجائرة عليها، ووجد نفسه فجأة لا يشعر بالعداوة تجاه فينسنت لوب، وأنه لم يكن قادرًا على مسامحة أنابيل تريدواي على ضعفها فحسب، بل أيضًا مسامحة لوب على ضعفه، أمَّا ما اكتشف أنه لا يمكنه تحمله هو الأحكام الجائرة التي يراها في عيني حفيدته الأخرى، ويسمعها في صوتها، لينور لافينجتون، التي كانت تذكره بطريقته العقابية التي كان ينظر بها إلى العالم

خلال وقت طويل للغاية من حياته. حسنًا، لقد قرر أن يتأكد أن لينور لافينجتون لن تستفيد من ثروته بعد وفاته -وقرر أن يعوض أنابيل تريدواي عن السنوات الطوال التي كان يفضل فيها شقيقتها عليها، الأمر الذي أسهم بشكل كبير في زيادة معاناة الآنسة أنابيل".

قالت لينور لافينجتون: "ماذا تقول؟ هذا محض هراء".

"أقول لك يا سيدتي إنك أنت من كان جدك سيحرمها من الميراث لو أنه بقي على قيد الحياة".

قالت أنابيل تريدواي: "ولكن .. لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا"، وبدت عليها الحيرة الشديدة.

قال بوارو: "لقد ذهبت إلى لندن هذا الصباح، وسألت السيد بيتر فاوت: هل صرح لك السيد باندي جليًّا بأن أنابيل هي التي كان يخطط لحرمانها من الميراث؟ وحصلت على الإجابة التي كنت أتوقعها: فقد قال لا، إنه لم يحدد الحفيدة التي كان يريد لها هذا المصير السيئ، في واقع الأمر، أخبرني السيد فاوت بأن السيد باندي كان يتحدث بطريقة غامضة على غير عادته عندما يتحدث عن وصيته الجديدة، وافترض محاميه، مثلما فعلت لينور لافينجتون عندما أخبرها بنياته دون أن يذكر أسماءً، أن الآنسة أنابيل هي التي ستُحرم من الميراث؛ لأنها كانت دائمًا الأقل تفضيلًا لدى جدهما".

سألت جاين دوكيريل: "لماذا تصرف السيد باندي بتلك الطريقة المضللة عمدًا؟ لا شك في أن المرء قد يفعل هذا فقط إن كان يريد أن يوصل عقابًا مفاجئًا من قبره؛ عقابًا يريد له أن يكون بمنزلة صدمة كبيرة".

"*بالضبط*، سيدتي، لا شك في أن لينور لافينجتون لم تكن تشك لحظة في أنها ستكون من ينتهي بها المطاف وقد أصبحت أكثر ثراءً ضعف ما كانت ستصبح عليه بفضل الوصية الجديدة، فكيف يمكن لهذا ألا يتحقق؟ ألم يعلم السيد باندي، قبل يوم أو يومين، أن أنابيل تريدواي تركت ابنة حفيدته لتغرق في النهر، بينما كانت تنقذ كلبًا؟ لقد فعل! كما أنها هي، لينور لافينجتون، التي استدعاها جدها سرًّا ليخبرها بنيته في تغيير الوصية، وأتوقع أنه قال -مقتبسًا عبارة كينجزبيري

مرة أخرى- *عبارات مفادها* "سيحصل الجميع على ما يستحق بعد أن أموت، ومن لا يستحقون، لن يحصلوا على شيء"".

قالت لينور لافينجتون: "أنت مخطئ. حتى إن كان قادرًا على مسامحة أنابيل وفينسنت لوب، لم يكن جدي يملك أي سبب ليحرمني فجأة من الميراث".

قال بوارو: "أعتقد أنه كان يملك سببًا، فخلال ذلك العشاء في ليلة الشجار تلك، أعتقد أنه لاحظ نظرة القسوة وعدم التسامح في عينيك، عندما أدركت أنه عرف الحقيقة عن حادث الآنسة أيفي، وما فعلته شقيقتك في ذلك اليوم، رآك تنظرين إليه بتمعن، آملة أن تتسبب هذه المعرفة الجديدة في قتل أية مشاعر حب أو ولاء قد لا تزال في داخله تجاه شقيقتك إلى الأبد، لقد رأى في عينيك تجسيدًا للكراهية، وعدم التسامح، وقد صدمه هذا كثيرًا، وشعر بأنه لن يتمكن من احتمال هذا، هل أخبرك بالسبب؟ لأن هذا ذكره بنفسه! لقد أدرك فجأة كم كان غير متسامح بصورة قاسية مع الرجل الذي كان في يوم من الأيام صديقه المقرب، فينسنت لوب، وربما أدرك أن أسوأ إثم على الإطلاق هو عدم القدرة على غفران آثام الآخرين، ولهذا السبب يا سيدة لافينجتون رأى أنك لا تستحقين شيئًا".

قال جون ماكرودن: "إن ما قلته مجرد اختراعات وقحة من قبلك يا بوارو، حقيقة، لا يمكنني أن أتخيل كيف يمكنك ادعاء أنك تعرف كل هذا".

"أنا أخمن بناءً على الحقائق التي أعرفها يا سيدي".

ثم التفت بوارو نحو لينور لافينجتون، وقال: "بعد الكارثة التي حدثت في أثناء العشاء، قرر جدك أن يضعك في اختبار، وكان يريد أن يختبر ما إذا كنت -بعدما علمت أن الشعور بالذنب قد دمر حياة الآنسة أنابيل، واستنزف روحها، وبعد أن علمت مدى حبها الآنسة أيفي، ومدى الأسف الذي تشعر به- ستترجينه أن يعيد التفكير ومسامحتها، وكان هذا هو سبب إخبارك بنيته كتابة وصية جديدة، وكان هذا هو السبب الوحيد لفعله هذا، فإن كنت قلت له: "أرجوك، لا تعاقب أنابيل فقد عانت بما يكفي"، فكان سيرضى بأن يُبقي على وصيته السابقة كما هي، ولكنك لم

تفعلي هذا، بل أظهرت له أنك مسرورة بفكرة أن تعيش شقيقتك معدمة لما تبقى من حياتها، لقد أظهرت له أنك لا تملكين أي تعاطف".

قال تيموثي لافينجتون: "سيد بوارو، إن فهمت ما تقول بالشكل الصحيح، فإنك تقول إن أمي كانت تملك بالفعل دافعًا قويًا لقتل جدي، إلا أنه أولًا لم يُقتل، وثانيًا، إن أمي *لم تكن تعلم* أن لديها دافعًا لقتله، فقد كانت تعتقد أن خالتي أنابيل هي التي ستُطبق عليها شروط الوصية الجديدة وليس هي".

قال بوارو: "هذا صحيح تمامًا، فبارناباس باندي لم يُقتل، لكن حادثة غرقه هي التي تسببت في قتل كينجزبيري المسكين، ومحاولة قتل الآنسة أنابيل، لا أعتقد أن لينور لافينجتون كانت ستحاول قتل شقيقتها إن لم يمت السيد باندي، فقد كان سيغير وصيته، وكانت لينور لافينجتون تفترض أنها تصب في صالحها وضد شقيقتها، وربما كان سيكفيها كعقاب للآنسة أنابيل أن تُحرم تمامًا من ثروة العائلة، على الأقل حتى يموت السيد باندي، وتعلم أمر تغيير الوصية".

"ولكن، الجد توفي *قبل* أن يجري التغييرات التي وعد بها مع المسئول عن شئونه الوصائية، وكان هذا أمرًا لم تحتمله السيدة لافينجتون، فلم تكن الآنسة أنابيل لتلقى عقابها بأن تعيش فقيرة! *وحينها*، أيتها السيدات وأيها السادة، قررت لينور لافينجتون أن ترى إن كانت ستتمكن من إيصال شقيقتها إلى حبل المشنقة بتهمة قتل لم ترتكبها، الجزء الأخير بالطبع مجرد افتراض لا يمكنني إثباته".

قال جون ماكرودن بيرود: "هذا إلى جانب كل ما قلته لنا اليوم، ما دليلك على أن السيد باندي كان سيحرم لينور من الميراث، على الرغم من أنها كانت المفضلة لديه، كما قلت أنت بنفسك ذلك؟ إن تجربتك السخيفة لا تثبت شيئًا".

"هل تعتقد هذا يا سيدي؟ لا أتفق معك على هذا، وأعتقد أن كل الحاضرين في الغرفة، غير الواقعين في حب لينور لافينجتون، يمكنهم رؤية المنطق فيما قلت، دعني أخبرك بأمر آخر قد يقنعك: لقد أخبرني كينجزبيري بأنه، في ليلة العشاء الكارثي، رأى السيد باندي جالسًا إلى الطاولة يبكي، بمجرد أن غادرت حفيدتاه وابنة حفيدته وتركنه وحده، وقال كينجزبيري إنه ذرف دمعة واحدة

فقط، فهل كان هذا يعني أنه كان غاضبًا من الآنسة أنابيل؟ لا، *يا أصدقائي*. قد يبكي المرء من الغضب، ولكن سيكون هناك فيضان من الدموع الناتجة عن العواطف، أليس كذلك؟ لم يكن غاضبًا من الآنسة أنابيل، بل شعر بالشفقة عليها، كان حزينًا -حزينًا ومليئًا بالندم، وعندما لم يكن يعلم بالذنب الرهيب الذي كانت تعانيه كل يوم، كان يعاملها بنفاد صبر. وفجأة، أصبحت حفيدته التي لا يفهمها تلك *مفهومة تمامًا بالنسبة إليه*: الطبقة غير المرئية من المأساة التي تبدو كأنها تحيط بها دائمًا، ورفضها الزواج وإنجاب أطفال".

"ليس من الصعب أن ترى كيف لأفكار مثل هذه -مثل هذا التغيير المذهل في المنظور- قد تؤدي به إلى أن يفكر في شخص آخر كان قد تعامل معه بقسوة كبيرة: عدوه، فينسنت لوب. كان التشابه، عندما فكرت فيه، قويًّا للغاية، وأقنعني بأنني محق، فقد كان فينسنت لوب، مثل أنابيل تريدواي، مذنبًا بالجبن، وبسبب خوفه الشديد من العواقب المحتملة لاختيار فعل التصرف الصحيح، تخير التصرف الخاطئ، ومن ثم ظل يشعر بالذنب لما تبقى من حياته، تمامًا مثل أنابيل تريدواي مجددًا، لقد ارتكب لوب خطأً فظيعًا، وكذلك فعلت الآنسة أنابيل، وكلاهما عانى كثيرًا، ومن ثم، لم يتمكن كل منهما من الاستمتاع بحياته على أكمل وجه، وفي تلك اللحظة، بينما كان يجلس إلى طاولة العشاء، قرر بارناباس باندي أنه يجدر به أن يسامح كلًّا منهما، وكان قرارًا حكيمًا ذلك الذي اتخذه".

قال جون ماكرودن: "لا بأس أن تظل تتشدق بالحديث عن التسامح يا سيد بوارو، عندما لا تكون أنت، بشكل شخصي، من لديه أمر ما عليه أن يتسامح فيه، ليس لديك أطفال، أليس كذلك؟ ولا أنا، ولكنني أملك مخيلة، فهل تعتقد أنك قد تسامح شخصًا ترك طفلك الذي في الرابعة من عمره يغرق في النهر لينقذ *كلبًا*؟ أعلم يقينًا أنني لن أفعل".

"أعرف يا سيدي أنني لن أدس فستانًا مبللًا في الجزء السفلي من حامل الفراش على أمل أن يعثر عليه هيركيول بوارو، ما ينتج عنه إرسال الإنسانة التي

لـم أتمكن من مسـامحتها إلى حبل المشـنقة جراء جريمة قتل لـم ترتكبها، هذا أعلمه جيدًا".

ثم أردف بوارو مخاطبًا لينور لافينجتون: "لقد أخطأت في حساباتك سيدتي، لقد أمدني العثور على الفستـان بدليل دامغ، لقد أخبرني بأنه إما أن شقيقتك قد قتلت السـيد باندي، وإما أن شخصًا ما يريد مني أن أعتقد ذلك، وكانت هذه هي اللحظة التي أدركت فيها أن هناك قاتلًا ينبغي القبض عليه: إما القاتل الذي قتل بالفعل، وإما الذي يرغب في التسـبب في قتل أنابيل تريدواي، وإما كلاهما ربما، ودون الفسـتان المبلل، ربما لم أكن لأسـتمر في تحقيقاتي بهذه الجدية، وربما لم يكن العالم ليعلم بالذنب الذي اقترفته يا سيدتي".

نهضـت أنابيل تريدواي واقفة، وأصـدر هوبسكوتش صـوتًا، بينما كان ينهض أيضًـا من وضعية جلوسـه؛ ليقف إلى جوارها، وبدا الأمر كأنه كان يعلم أن لديها شيئًا مهمًّا لتقوله، حيث قالت: "لا يمكن أن تكون شقيقتي هي من قتلت كينجزبيري يا سـيد بـوارو، فقد كانت معي عندمـا قُتل، أليس كذلك يا لينـور؟ لقد كنت معي طيلة الوقت، بداية من السـاعة الثانية حتى وقت وصـولنا معًا إلى غرفة المعيشة؛ لذا لا يمكن أن تكون قد فعلتها، كما ترى".

"أرى أنك ترغبين في السير على نهج جدك، وأن تتعاملي بعطف يا آنسة، إنك تنوين مسـامحة شـقيقتك، أليس كذلك، على محاولتها إنهـاء حياتك؟ لا يمكنك خـداع هيركيـول بوارو. إن كنـت أنت والسـيدة لافينجتون معًا بداية من السـاعة الثانية حتى وصولكما إلى غرفة المعيشة معًا، لكنت قلت هذا في وقت مبكر".

قالت أنابيل: "لا، هذا غير صحيح، لينور أخبريه، لقد كنا معًا، ألا تذكرين؟".

تجاهلت لينور لافينجتون شـقيقتها، ثم نظرت إلى بوارو، وقالت: "أنا أم تحب ابنيها، هذا كل ما في الأمر".

قـال جون ماكرودن وهو يجثو على ركبته إلى جوارها، ويضـع يدها بين راحتي يديـه: "لينور يجب أن تكوني قوية، فأنا أحبك يا حبيبتي، إنه لا يمكنه أن يثبت أي شـيء مما قاله، وأعلم يقينًا أنه يدرك هذا"، وانسـلت دمعة من ركن عين لينور،

وبدأت تنحدر ببطء على جانب وجهها، دمعة واحدة فقط: مثل الدمعة الذي ذرفها بارناباس باندي ووصفها كينجزبيري لبوارو.

وقالت: "أحبك يا جون، ولم أتوقف عن حبك قط".

قال بوارو: "تبين في نهاية المطاف أنك قادرة على التسامح يا سيدتي، وهذا أمر جيد، أيًّا كان ما فعلته أو ستفعلينه، سيظل هذا دومًا أمرًا جيدًا".

الفصل ٣٨

رولاند من دون الحبل

"لقد وصل الزائر الذي تنتظره يا سيدي"، قالها جورج لبوارو بعد ظهر أحد أيام الأربعاء، بعد مرور نحو أسبوعين من مغادرتي أنا وبوارو كومبنجهام هول وعودتنا إلى لندن.

"السيد رولاند ماكرودن؟".

"نعم يا سيدي، هل أدخله؟".

"نعم، من فضلك يا جورج".

دخل رولاند ماكرودن إلى الغرفة بعد لحظات، يبدو مرتبكًا، ثم هدأ قليلًا عندما رأى بوارو، وسمع ترحيبه الحار به.

قال بوارو: "يجب ألا تكون مرتبكًا، أعلم ما حضرت لتخبرني به، لقد كنت أتوقعه، ومن الطبيعي أن يحدث".

قال ماكرودن: "لقد سمعت بما حدث إذن؟".

"لم أسمع شيئًا، ولم يخبرني أحد بشيء، ولكنني أعرف".

"مستحيل".

"لقد حضرت لكي تخبرني بأنك ستشارك في الدفاع عن لينور لافينجتون، أليس كذلك؟ وستدعي أنها غير مذنبة بتهمتي القتل ومحاولة القتل".

"لا بد من أن أحدًا *أخبرك* بهذا؛ لقد تحدثت إلى جون".

"صديقي العزيز، لم أتحدث مع أحد، *أنت* من تحدث إلى جون كثيرًا، أليس كذلك، منذ أن كنا في كومبنجهام هول؟ لقد نحيتما جانبًا جميع المشكلات التي كانت بينكما، وعادت المياه إلى مجاريها، *أليس كذلك؟*".

"نعم، ولكنني لا أعرف كيف أمكنك أن..".

"قل لي، هل ثمة احتمال الآن أن يسير جون على دربك، ويعمل محاميًا مثلما كنت تأمل دائمًا؟".

قال رولاند ماكرودن متشككًا: "نعم، بالفعل، إنه.. لقد أفصح لي عن نيته أن يفعل هذا أمس فقط؛ لماذا لا تكون صريحًا معي يا بوارو؟ من غير المعقول أن أعتقد أن أحدًا يمكنه أن يخمن بهذا القدر من التفصيل بشكل صحيح، حتى أنت".

شرح له بوارو الأمر قائلًا: "إنه ليس تخمينًا، إنها معرفة بالطبيعة البشرية، فالسيد جون يتمنى لو تمكن من الدفاع بنفسه عن المرأة التي يحبها، ولكنه ممتن للجهود التي تبذلها نيابة عنه وعنها، وعبَّر لك عن تقديره هذا من خلال إقراره، في النهاية، بأنه لن يكون أمرًا سيئًا لو مارس مهنة المحاماة؛ وبخاصة الآن بعدما غيَّر والده رأيه بشأن أولئك الذين يرتكبون جرائم القتل".

قال ماكرودن: "إنك تتحدث عن رأيي، وكيف تغير كأنك تعرفه أكثر مما أفعل أنا".

قال بوارو: "ليس أكثر منك - فقط مثلك تمامًا، أعلم ما تكون عليه الحقيقة دائمًا، وفي هذه الحالة كان التخمين سهلًا للغاية، فابنك يحب لينور لافينجتون، وأنت يا صديقي، تحب ابنك كأي أب صالح، ولكنك تقرر، على الرغم من أنك تدرك يقينًا أن بوارو محق، وأن السيدة لافينجتون مذنبة، أن تشارك في الدفاع عنها، إنك تعلم أنها إن شُنقت بتهمة القتل، فسينفطر قلب ابنك، وستتحطم آماله في عيش مستقبل سعيد معها، إنك على استعداد لأن تفعل أي شيء لتمنع حدوث هذا، أليس كذلك؟ ولأنك فقدته من قبل - فترة طويلة للغاية، وبدا أنك لن تستعيده أبدًا - لن تخاطر بأن تفقده مرة أخرى، ليس بسبب خلاف بشأن القانون

وأخلاقياته، ولا بالتسبب في حزن ولدك؛ لذا فإنك ستساعد لينور لافينجتون، وغيرت رأيك بشأن موضوعات معينة تخص القانون والعدالة، أتخيل أنك تعتقد الآن أنه يجب ألا يُشنق أي قاتل عقابًا على جريمته؟ هل نطلق عليك الآن اسم رولاند من دون الحبل؟".

"لم آتِ من أجل هذا يا بوارو".

"هل ستظل تنصح بتنفيذ عقوبة الإعدام في القضايا الأخرى خلاف هذه القضية؟".

قال ماكرودن وهو يتنهد: "هذا سيجعل مني منافقًا، ألا توجد احتمالية أخرى؟ ألا يمكنني أن أعتقد أن لينور لافينجتون بريئة؟".

"لا، أنت لا تعتقد هذا".

جلس الرجلان صامتين بضع لحظات، ثم قال ماكرودن: "لقد حضرت إلى هنا لأنني أردت إخبارك شخصيًّا بأنني سأساعد لينور، كما أود أن أشكرك، في البداية عندما علمت أن جون قد تسلم ذلك الخطاب الرهيب..".

"هل تتحدث عن الخطاب الذي أرسل به إليه *بواسطة لينور لافينجتون* المرأة التي تنوي مساعدتها؟".

"أنا أحاول أن أشكرك يا بوارو، أنا ممتن للغاية على تبرئة ساحة ابني".

"إنه ليس قاتلا".

قال ماكرودن: "ربما تكون قد علمت أن الآنسة تريدواي مصرة على روايتها لما حدث".

"أتعني أنها لا تزال مصرة على أن تقول إنها كانت مع شقيقتها عندما توفي كينجزبيري؟ هذا أيضًا توقعته، فشعورها بالذنب الذي يحركها -يحركها لتعمل بصورة مخالفة للعدالة، لا شك في أن السيدة لافينجتون محظوظة بوجود الآنسة أنابيل لتساعدها، وكذلك محظوظة بوجودك أنت وابنك، ولكن أولئك الذين ستقتلهم في المستقبل لن يكونوا في مثل حظها، إن نجحتم في مسعاكم، فأنا على يقين بأنك تعلم يا صديقي أنه بمجرد أن يسمح المرء لنفسه بأن يسلب إنسانًا آخر حياته، فسيكون من السهل عليه أن يقتل أكثر من مرة، لهذا السبب، أتمنى

ألا تنجحوا في مسعاكم هذا، وأتمنى أن تصدقني هيئة المحلفين، ليس بفضل سمعتي، بل *لأنني سأقول الحقيقة*".

قال ماكرودن: "إن جميع الأدلة التي تدين لينور أدلة ظرفية، ولا توجد لديك أدلة ملموسة يا بوارو، لا توجد لديك حقائق دامغة".

"صديقي، دعنا ألا نتحدث عن مزايا جانب كل منا في القضية الآن، إننا لسنا في محاكمة في جريمة القتل، وسنلتقي في القريب في ساحة المحكمة، وسنرى من ستصدقه هيئة المحلفين".

أومأ ماكرودن برأسه في اقتضاب، وقال: "لا توجد في قلبي أية ضغائن من ناحيتك يا بوارو"، ثم قال وهو في طريقه نحو الباب: "بل عكس ذلك تمامًا".

"*شكرًا لك*، وأنا.."، وجد بوارو أنه من الصعب عليه أن يقرر ما عليه قوله، ثم قال أخيرًا: "أنا سعيد بسماع أن العلاقة بينك وبين ابنك قد تحسنت، إن العائلة مهمة للغاية، ومن أجلك أنت، أنا سعيد لأنك لا تجد أنك قد دفعت مقابلًا باهظًا من أجل هذه المصالحة، من فضلك، أسدِ إلى بوارو معروفًا: اسأل نفسك كل يوم إن كان هذا هو المسار الذي ترغب في أن تسلكه، وما إذا كان هو المسار *الصحيح*".

قال ماكرودن: "لم يكن لدى كينجزبيري أي أقارب أحياء، وأنابيل تريدواي لن تُشنق على جريمة لم ترتكبها".

"إذن، لن يحدث ضرر إن أفلتت لينور لافينجتون من العقاب؟ أنا لا أتفق معك، عندما يتم تضليل العدالة وعرقلة سيرها عن عمد، فقد حدث الضرر بالفعل. أنت وابنك ولينور لافينجتون..، نعم، وأنابيل تريدواي وأكاذيبها.. إن كنتم محظوظين جميعكم، فقد لا تدفعون ثمن أفعالكم خلال حياتكم. وبعدها، لن يعود الأمر بيد هيركيول بوارو ليخمن ماذا سيحدث".

"إلى اللقاء، بوارو، شكرًا لك على كل ما فعلته من أجل جون".

وبهذه الكلمات، استدار رولاند ماكرودن وانصرف.

الفصل ٣٩

آلة كاتبة جديدة



أكتب لكم هذا الجزء الأخير من قصتي عن "لغز الأرباع الثلاثة" بعد مضي ستة أشهر من الأحداث التي ذكرتها في الفصل السابق، وعلى آلة كاتبة جديدة تمامًا. لهذا، فإن جميع حروف "الياء" في هذا الفصل الأخير ستكون سليمة تمامًا، فصديقنا الأنقليس لن يكون في حاجة إلى أن يجعل المركب يميل.

والغريب في الأمر أنني كنت أشعر بالنفور الشديد من رؤية حروف "الياء" المعيبة، بينما كنت أكتب هذه القصة، ولكن بعد أن اختفت الآن، أشعر بالحنين إليها.

كانت الآلة الكاتبة الجديدة هدية من بوارو، فبعد مرور بضعة أسابيع على نهاية محاكمة لينور لافينجتون، بعدما لاحظ أنني لم أرسل إليه أية صفحات جديدة لقراءتها منذ بعض الوقت، حضر إلى سكوتلانديارد حاملًا صندوق هدايا مغلفًا بزينة هي الأكثر أناقة مما رأيت في حياتي، وقال لي: "هل توقفت عن الكتابة؟".

أصدرت صوتًا لا ينم عن شيء.

"كل قصة تحتاج إلى خاتمة يا صديقي، حتى إن لم ترق لنا النتيجة، فسيظل من الضروري أن ننهي ما بدأناه، يجب وضع كلمة النهاية على الموضوعات العالقة".

ثم وضع اللفافة على المكتب أمامي، وقال: "أتمنى أن تشجعك هذه الهدية على استكمال قصتك".

سألته: "لماذا تلك القصة مهمة؟ فثمة احتمال قوي بألا يقرأ أحد كتاباتي التافهة تلك".

"أنا، هيركيول بوارو سأقرؤها".

وبمجرد أن غادر مكتبي، فككت اللفافة، وحدقت إلى الآلة الكاتبة الجديدة اللامعة، وقد تأثرت لأنه اهتم بما يكفي ليشتريها من أجلي، وشعرت بالإعجاب، كما هي حالي دائمًا، من ذكائه، فلا شك في أنني سأكمل كتابة القصة بعد هذه اللفتة اللطيفة؛ لذا هأنذا أنهيها، ويعني هذا أنه من واجبي أن أقول لكم إن محاكمة لينور لافينجتون لم تسر كما كنت آمل لها أن تسير، فقد تمت إدانتها بقتل كينجزبيري، ومحاولة قتل أنابيل تريدواي، ولكن بفضل دفاع رولاند ماكرودن عنها، لم يُحكم عليها بالإعدام شنقًا، وتبادر إلى علمي، على الرغم من أنني كنت أفضل ألا أعلم، أن السيدة لافينجتون تتلقى زيارات دورية من المخلص لها جون ماكرودن، في حين أن كينجزبيري الوفي يرقد في قبره ميتًا.

وسألت بوارو عندما علمنا أن السيدة لافينجتون لن تدفع حياتها مقابل الجريمة التي ارتكبتها: "هل تعتقد أن العدالة قد تحققت؟".

قال: "لقد وجدتها هيئة المحلفين مذنبة *يا صديقي*، وستقضي ما تبقى من حياتها وراء القضبان".

"إنك تعلم مثلما أعلم أنها كانت ستُشنق لولا جهود رولاند ماكرودن، التي بذلها في الاتجاه الخاطئ، إن جميع القضاة في البلاد يعلمون أنه الأكثر شغفًا بالمطالبة بتنفيذ عقوبة الإعدام، وفجأة وجدوا أنه يتعاطف مع امرأة مضطربة، ارتكبت خطأً بشعًا في لحظة ضعف؟ كان ذلك الخطاب المؤثر الذي ألقاه محامي لينور لافينجتون من صنع ماكرودن، وكان القاضي يعلم هذا، إنه رولاند روب "الحبل" نفسه الذي أرسل العشرات من تعساء الحظ إلى المشنقة دون أن يفكر لحظة فيمن يحبونهم هم، أو من أحبهم، فقط لأن أيًّا منهم لم يصادف أن كان ابنه! هذا ليس من الصواب يا بوارو، هذه ليست عدالة".

ابتسم لي بوارو، وقال: "لا تعذب نفسك يا صديقي، إن كل ما يهمني هو كشف حقائق القضية، وضمان عقاب المجرم، ولا يهمني كيف يكون العقاب نفسه، إنني أترك تلك الاعتبارات إلى سلطات أعلى مني، لقد عرفت المحكمة جميع الحقائق، وهذا كل ما يهمني".

جلسنا صامتين بضع لحظات، ثم قال: "ربما لا تعلم أن هناك شخصًا أعلن عن نيته التصرف كأن لينور لافينجتون قد ماتت، حيث تعهد بألا يرسل إليها أية خطابات، وأن يحرق أية خطابات قد ترسل هي بها إليه".

"من؟".

"ابنها تيموثي، وأعتقد أن هذا سيكون عقابًا إضافيًا، أن يتم تجاهل المرء من قبل ابنه، بغض النظر عما فعل، إنه أمر رهيب".

لم أعلم إن كان ما يعنيه بوارو، بهذه الملاحظة، هو أن يقول لي ألَّا أقسو في حكمي على رولاند ماكرودن، وقررت، إن كانت هذه نيته، أنه قد لا يكون من الحكمة أن أطيل مناقشة هذا الموضوع أكثر من هذا، فالتزمت الصمت.

والآن، ها قد وصلنا إلى نهاية هذه القصة، وأرى أن بوارو كان محقًّا تمامًا: إن القصة التي تنتهي نهاية غير مرضية، ستظل أفضل نوعًا ما من عدم وجود أية خاتمة لها على الإطلاق.

تلك إذن هي نهاية "لغز الأرباع الثلاثة".

إدوارد كاتشبول



مؤلفات أخرى بقلم صوفي هانا

جرائم الأحرف المزخرفة

"إنها الكراهية التي تجعل الناس تقتل.. وليس الحب".

كان هيركيول بوارو يتناول عشاءً هادئًا في أحد المقاهي في لندن، عندما قاطعته امرأة شابة: لتسر له بأنها على وشك أن تُقتل، كانت مرعوبة للغاية، ولكنها رجت بوارو ألا يعثر على القاتل، أو يعاقبه، وأصرت على أنها بمجرد أن تموت ستكون العدالة قد تحققت.

وفي وقت لاحق من تلك الليلة، نمى إلى علم بوارو أن ثلاثة نزلاء في فندق بلوكسهام الراقي قد قُتلوا، وأن أزرار أكمام قميص قد وضعت في فم كل ضحية، هل هناك علاقة بين هذه الجرائم والمرأة المرعوبة؟ وفي أثناء محاولة بوارو الجهيدة ربط خيوط هذا اللغز الغريب معًا، كان القاتل يُعد غرفة في الفندق لضحيته الرابعة..

"قصة تجذبك منذ بدايتها. لقد أبلت هانا بلاءً حسنًا في الرواية كلها".

صحيفة ذي تايمز

"مُرضية للغاية - نهاية مبدعة".

صحيفة إندبندنت

"رواية بوليسية سهلة القراءة. شديدة الغموض، تحتوي على تحوّل مستساغ في الأحداث".

صحيفة مايل أون صنداي

"تمت صياغتها على نحو رائع.. شديدة التعقيد مثل جميع أعمال كريستي".

صحيفة صنداي تايمز

مؤلفات أخرى بقلم صوفي هانا

التابوت المغلق

"ما أنا على وشك أن أقوله لك، سيكون صادمًا..".

كانت السيدة أثيليندا بلايفورد قد خططت لإقامة حفل في منزلها، ولكنه لم يكن تجمُّعًا عاديًا، فقد أعلنت أنها قد قررت تغيير وصيتها، وأنها ستحرم أبناءها من الميراث، وأنها ستترك ثروتها كلها لشخص لن يعيش إلا بضعة أسابيع فقط..

من بين ضيوف السيدة بلايفورد، كان المحقق البلجيكي هيركيول بوارو، والمحقق إدوارد كاتشبول من شرطة سكوتلانديارد، اللذان لم يكونا يملكان أدنى فكرة عن سبب دعوتهما.. حتى بدأ بوارو يتساءل عما إذا كانت السيدة بلايفورد تتوقع حدوث جريمة قتل، وعندما ارتُكبت جريمة القتل، لم تكن الضحية هي الشخص الذي توقعه بوارو، فهل سيتمكن من حل اللغز؟

"رواية ثانية من إبداع هانا أعادت الحياة إلى شخصية بوارو".

صحيفة صنداي تايمز

"تُقدم تحولًا بارعًا في الأحداث كانت لتصفق له ملكة الجريمة".

صحيفة دايلي إكسبريس

"إضافة أخرى مُرضية إلى مجموعة أجاثا كريستي القصصية".

صحيفة أيريش تايمز

"رواية تزخر بالأفكار والحوارات اللاذعة".

صحيفة صنداي إكسبريس

مجموعة مؤلفات أجاثا كريستي

الألغاز
الرجل ذو السترة البنية
سر جريمة تشيمنيز
لغز المنبهات السبعة
الجريمة الغريبة
جريمة في قطار الشرق السريع

جريمة من ثلاثة فصول
موت في السحاب
أبجدية القتلى
إعلان عن جريمة
خداع المرايا
جيب مليء بالحبوب
قطار ٤:٥٠ من بادينجتون
المرآة المتصدعة من جانب لآخر
السيد كوين الغامض
لغز سيتافورد
جريمة في بلاد الرافدين
أوراق لعب على الطاولة
لغز الكاريبي
كلب الموت
لماذا لم يسألوا إيفانز؟
جريمة قتل في الإسطبلات
الشاهد الصامت
الموت على ضفاف النيل
لغز فندق برترام
جريمة وانتقام
الجريمة النائمة
الموعد الدامي
القضايا الأخيرة للآنسة ماربل
تحريات باركر باين
القتل السهل
تومي وتوبينس
واختفى كل شيء
شجرة السرو الحزينة
العدو الخفي

شركاء في الجريمة
ساعة الصفر
ن أو م؟
الموت يأتي في النهاية
شر تحت الشمس
السيانيد الساطع
الخمسة المشتبه بهم
المنزل الأعوج
الأجوف
بوابة المصير
جريمة في بغداد
أعمال هرقل
ركوب التيار
وجهة مجهولة
موت السيدة ماجنتي
بعد الجنازة
جريمة في شارع هيكوري دوك
روايات منشورة باسم ماري
ويستماكوت
شبكة العنكبوت*
بيت الرجل الميت
ضيف غير متوقع*
قطة بين الحمام
الجواد الأشهب
الساعات
ليلة لا تنتهي
الفتاة الثالثة
راكب الى فرانكفورت
مشكلة في خليج بولينسا
الأفيال تستطيع أن تتذكر
قضايا بوارو الأولى
طالما استمر الضوء
الستارة، القضية الأخيرة للمحقق
بوارو
الآنسة ماربل
بوارو

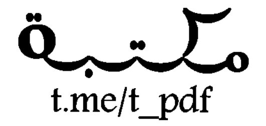
القضية الغامضة في مدينة ستايلز
جريمة قتل في المعبد
لغز المشكلات الثلاث عشرة
جثة في المكتبة
مذكرات
تحريات بوارو
الأصابع المتحركة
من الذي قتل السيد روجر أكرويد؟
المسرحيات والقصص
الأربعة الكبار
لغز القطار الأزرق
القهوة السوداء*
خطر في إند هاوس
جريمة قتل في المكتبة
*حولها إلى رواية تشارلز أوزبورن



نبذة عن المؤلفتين

صوفي هانا: مؤلفة روايات أدب الجريمة الأكثر مبيعًا على مستوى العالم، وقد تمت ترجمتها إلى أكثر من ٣٥ لغة، وفازت روايتها *The Carrier* بجائزة أفضل رواية إثارة بوليسية عام ٢٠١٣، في حفل توزيع جوائز سبيكسيفرز الوطنية للكتاب، وتعيش مع زوجها وأبنائها وكلبها في مدينة كامبريدج، حيث تعمل عضو الهيئة الرئاسية لكلية لوسي كافنديش، وبوصفها شاعرة وُضِعت ضمن قائمة أفضل المرشحين لنيل جائزة تي. إس. إليوت، كما ألفت صوفي روايتين سابقتين بطلهما هيركيول بوارو، وهما جرائم الأحرف المزخرفة، والتابوت المغلق*، وكلتاهما حلت على قائمة صحيفة صنداي تايمز لأعلى خمسة كتب مبيعًا.

أجاثا كريستي: اشتهرت في جميع أنحاء العالم بلقب ملكة الجريمة، وقد بيع من كتبها أكثر من مليار نسخة باللغة الإنجليزية، ومليار أخرى مترجمة إلى لغات أخرى، لذا تعتبر أكثر مؤلف نشرت كتبه على نطاق واسع على مر التاريخ، ولم يتفوق عليها في المبيعات سوى أحد الكتب الدينية الشهيرة، وشكسبير، وقد ألفت ٨٠ رواية بوليسية، ومجموعة قصص صغيرة، وأكثر من ٢٠ مسرحية، و٦ روايات ألفتها باسم ماري ويستماكوت.



* متوافر لدى مكتبة جرير

مكتبة | سُر مَن قرأ
t.me/t_pdf

عاد أشهر محقق في العالم مع لغز جديد مذهل

بعدما عاد إلى منزله بعد تناول الغداء، وجد هيركيول بوارو امرأة غاضبة تنتظره أمام منزله. طلبت منه المرأة أن يخبرها بسبب إرساله خطابًا لها يتهمها بقتل بارناباس باندي، الرجل الذي لم تسمع عنه أو تلتقه في حياتها من قبل.

لم يكن بوارو أيضًا قد سمع عن بارناباس باندي من قبل، ناهيك عن اتهام أحدهم بقتله. دخل بوارو إلى منزله مرتجفًا، ليكتشف أن هناك زائرًا ينتظره – رجل يدعي أنه قد وصله خطاب من بوارو في ذلك الصباح، يتهمه بقتل بارناباس باندي أيضًا.

كم عدد الخطابات التي أُرسلت باسم بوارو؟ من أرسلها، ولماذا؟ والأهم من كل هذا، من هو بارناباس باندي هذا وهل مات بالفعل، وإن كان قد مات، هل مات مقتولا؟ وهل يمكن لبوارو أن يتوصل لإجابات كل هذه الأسئلة من دون تعريض حياة المزيد من الأشخاص للخطر؟

مكتبة | سُر مَن قرأ
t.me/t_pdf

صوفي هانا كاتبة عالمية لروايات أدب الجريمة الأكثر مَبيعًا، والتي نُشرت بأكثر من 35 لغة مختلفة. فازت روايتها *The Carrier* بجائزة أفضل رواية إثارة بوليسية لعام 2013 في حفل توزيع جوائز سبيكسيفرز الدولية للكتاب. تعيش صوفي مع زوجها وأبنائها وكلبها في كامبريدج، حيث تعمل في كلية لوسي كافينديش. وكشاعرة، رُشحت صوفي من بين قلة من الشعراء للحصول على جائزة تي إس إليوت. ألفت صوفي روايتين سابقتين بطلهما هيركيول بوارو - *جرائم الأحرف الأولى* و*التابوت المغلق* - وكلتاهما حققت أعلى المبيعات على مستوى العالم.

أجاثا كريستي تشتهر في جميع أنحاء العالم بكونها ملكة الجريمة. وبيع من كتبها مليار نسخة باللغة الإنجليزية ومليار نسخة أخرى بلغات أخرى. وتعتبر أكثر الكتاب توزيعًا للكتب في التاريخ، ولم يتفوق عليها في المبيعات إلا شكسبير فحسب. ألفت 80 رواية بوليسية ومجموعات قصص قصيرة، وأكثر من 20 مسرحية، و6 روايات ألفتها باسم مستعار هو ماري ويستماكوت.

telegram @t_pdf





"لقد أبلت هانا بلاءً حسنًا في جميع جوانب الرواية"

جريدة ذي تايمز

"تحتوي على الكثير من الحب والطاقة... لقد عرضت بوارو مثلما ابتكرته كريستي تمامًا، وبالروح نفسها التي تذكرك بأفضل رواياتها".

جريدة دايلي تلجراف

"لغز جريمة قتل جديد رائع يكمل المسيرة من النقطة التي توقفت عندها ملكة الجريمة".

ميل أون صنداي

"القاسم المشترك بين صوفي وأجاثا هو الموهبة النادرة لتأليف المفاجآت المذهلة. ويجعلانك ترى كيف يمكن للمستحيل أن يصبح ممكنًا".

صنداي تلجراف

من تأليف صوفي هانا أيضًا:

التابوت المغلق

وجهة مجهولة



لشراء النسخة الإلكترونية

قارئ جرير JARIR READER

مكتبة جرير JARIR BOOKSTORE

ISBN 628-1072-10-564-8

6 281072 105648

282207400

